دلندة الأرقش
عبد الحميد الأرقش
جمال بن طاهر

المغرب العربي الحديث

من خلال المصادر



مركز النشر الجامعي
ميدياكوم

المغرب العربي الحديث
من
خلال مصادره

المغرب العربي الحديث
من
خلال مصادره

دلندة الأرقش

جمال بن طاهر

عبد الحميد الأرقش

مركز النشر الجامعي

ميدياكوم

2003

توطئة

هذا الكتاب هو قبل كل شيء وليد قناعة اصبحت راسخة لدى عدد من الجامعيين والباحثين المغاربة. فلم يعد من الممكن تناول دراسة تاريخ بلدان المغرب العربي بصورة منفصلة أي دراسة كلّ بلد على حدة.

لكن هذا الوعي، وإن كان مترسخا في الخطاب فإنه لم يجد بعد طريقه إلى الانجاز بالقدر المقنع والنسق الكافي. فالدراسات الاجتماعية والتاريخية التي ركزت على المقاربات المقارنة أو التأليفية التي تأخذ المغرب العربي في وحدته وتنوعه في نفس الوقت ما تزال على أهميتها في خطواتها الأولى.

ولئن كان هذا الكتاب، لا يطمح الى أن يكون مساهمة حاسمة في دفع هذا التوجه ودعمه، فإنه يستجيب لمتطلبات بيداغوجية ومنهجية تتطابق مع ذلك الاختيار العلمي والمعرفي.

ويتناول الكتاب تاريخ البلدان المغاربية الثلاث (تونس ـ الجزائر ـ والمغرب الأقصى) في العصور الحديثة، وهي حقبة تاريخية هامة على الصعيد العالمي، بدأت بتبلور مميزات النهضة الأوروبية وبداية النقلة النوعية التي ستدفع بتلك البلدان الى المسك بزمام المبادرة التاريخية والارتقاء الى مركز قيادة العالم.

ومقابل ذلك المسار، فان العصور الحديثة بالنسبة إلى بلدان المغرب العربي تقترن بمسار الأزمة والركود ثم الانهيار، فقد بدأ العصر الحديث في بلداننا بأزمة القرن السادس عشر وانتهى بأزمة القرن التاسع عشر والسقوط في التبعية والاستعمار. بيد أن هاتين الأزمتين تخللتها حالات متفاوتة من الاستقرار ومحاولات التكيف والتحرك.

فالمسار العام للعصور الحديثة على تأزمها، لم يمنع قيام الدول واستقرار أنظمة حكم قطعت مع النمط الخلدوني للدولة. كما استعادت المجتمعات المغاربية توازناتها ووجد النسيج الاجتماعي حيوية جديدة وتماسكا

بفعل الزوايا والطرق الدينية وبفعل المؤسسات والنخب السياسية والعسكرية والاجتماعية التي أطرته، فتشكلت حياة المدن من جديد حول نخب العلم والحرف والمال.

فكان لا بد من مقاربة تأخذ بعين الاعتبار هذا التواصل وهذا الخيط الرابط بين مختلف المستويات ومختلف العوامل والمؤثرات الداخلية والخارجية دون طمس خصوصيات ذلك البلد أو غيره ودون نفي التباين أو التفاوت الذي يظهر بين مستوى وآخر في التركيبات الاجتماعية.

تبعا لذلك اخترنا أن تكون المقدّمات التأليفية مبنية على محاور تعتمد في نفس الوقت التسلسل الزمني والمرحلية التاريخية والمستويات المختلفة للتركيبة الاجتماعية والعلاقات مع الخارج.

من جهة أخرى، كان التركيز على وثائق ونصوص مصدرية نابعا أيضا من قناعة علمية ومعرفية، وهي أهمية النص المصدر والوثيقة في إبراز الظاهرة التاريخية على حقيقتها، وليس معنى ذلك أن المجهود التحليلي أو التأويلي أمر ثانوي، بل لأن القراءة التاريخية متحولة والوثيقة هي الثابتة.

غير أن عملية انتقاء الوثائق، لا تخلو من مزالق، فقد تؤثر في اتجاه دون غيره على القراءة التاريخية، وذلك بالتركيز على نوع من الوثائق او المصادر دون غيرها، ووعيا منا بتلك المزالق حاولنا جاهدين تنويع النصوص والوثائق بقدر يمكننا من تقديم عينات من أغلب أنواع الوثائق والمصادر.

فالى جانب الوثيقة الأرشيفية والرسمية يجد القارئ نصوصا من مختلف المصنفات والمصادر الاخبارية، كما اخترنا أيضا بعض العينات من كتب الرحالة الأوروبيين، كل ذلك حتى نعيد الى القارئ صورة مكتملة لمختلف القراءات التي كانت تتشابك حول واقع واحد أو حدث واحد.

المؤلفون

الباب الأوّل
الأطوار السياسية الكبرى

مقدمة

إذا كان التاريخ الأوروبي الحديث ينطلق من النهضة التي بدأت في المدن الايطالية وشملت تدريجيا بقية بلدان القارة لتصبح السّمة المحدّدة للتحوّلات الكبرى المادية منها والفكرية والسياسية، فان المسألة تبدو أكثر تعقيدا بالنسبة إلى بلدان المغرب العربي.

ففي الوقت الذي سجلت فيه أوروبا قفزة نوعية مكّنتها من امتلاك أدوات الحداثة وأهّلتها لكي تتبوأ مرتبة التفوّق فالهيمنة لتصبح بسرعة المنوال العالمي، دخلت بلدان المغرب مرحلتها الحديثة وهي منهوكة القوى متأزمة الأوضاع، دولها متداعية متساقطة، مجتمعاتها مفككة وأبوابها مفتوحة أمام الغزو الخارجي.

وهو وضع يجرّنا ضرورة الى الحديث عن مفارقة تاريخية ميّزت هذه الحقبة من تاريخ بلدان المغرب.

كيف ستواجه هذه البلدان الحداثة وقد ضعفت قدراتها الذاتية وتداعت قواها وهياكلها؟ أي نمط من الحداثة ستستنبط مجتمعاتها بعدما شهدته من انكماش وتفكّك؟ أي أدوات ستفرز وهي تواجه نمطا عالميا مهيمنا جسّم الحداثة وكرّسها؟

لم ينته القرن 15 حتى بدت معالم أزمة جلية في البلدان المغاربية، اجتاحت بسرعة كل المستويات وأدّت الى تحوّلات خطيرة طبعت المرحلة الحديثة من تاريخ هذه المنطقة، وأثرت أيّما تأثير على مسارها التاريخي.

في المستوى الاقتصادي وبالتوازي مع المدّ الأوروبي الذي اقترن بالاكتشافات التقنية والجغرافية، انكمشت أوضاع بلدان المغرب وانغلقت المجموعات على ذاتها بحيث سيطر الاقتصاد الرعوي والاكتفاء الذاتي بعد أن تراجعت الحركة التجارية ومعها الاقتصاد النقدي.

لقد كان لسيطرة أوربا على الملاحة البحرية ولاحتكارها الطرق التجارية وتحوّل مركز التجارة العالمية من البحر الأبيض المتوسط الى المحيط الأطلسي أكثر من أثر على أوضاع البلدان المغاربية لما كرسه من تهميش هذه المنطقة وإقصائها من الدورة الاقتصادية العالمية.

ولم يقتصر هذا الانكماش على الميدان الاقتصادي فحسب بل كان أيضا سمة الحياة الفكرية التي اصطبغت بالانغلاق والجمود بعدما شهدته من تراجع العلوم والاجتهاد وانتشار الفكر الغيبي وهيمنته على المجتمع بالارتباط مع تفشّي ظاهرة الولائية والطرقية.

في هذه الظرفية التي اتسمت ببروز قوى متعاظمة على الضفة الشمالية من المتوسط، خاصة بعدما شهده البرتغال واسبانيا من تدعيم مركزية السلطة وتوحيد النفوذ، كانت سلطات البلدان المغربية مشتتة محدودة الامكانيات المادية والدفاعية، غير قادرة على احكام السيطرة على قواعدها والمحافظة على وحدتها، ضعيفة أمام التحديات الخارجية. ففي الداخل لم تتمكّن السلط القائمة سواء بني وطاس في المغرب الأقصى او بني زيان في المغرب الاوسط أو حتى الحفصيين في تونس من الابقاء على نفوذها حيث خرجت عن نطاقها العديد من المجموعات لتستقلّ بمناطقها تحت قيادة قبائل قوية تمحورت في غالب الاحيان حول طريقة دينية تجسّمت في زاوية ولي صالح.

هذا الوضع كان من شأنه أن يجعل المنطقة المغاربية مسرحا للتوسع الاوروبي - المسيحي الذي رفعت مشعله مملكتا البرتغال واسبانيا. ولئن اقتصرت حركة التوسع هذه على البرتغال حتى أواخر القرن 15 فانها جرّت اسبانيا داخلها بعد استكمال حركة الاسترداد وسقوط غرناطة وبناء وحدتها.

ومثلما اقتسمت اسبانيا والبرتغال ما وراء المحيط فقد اقتسمتا الفضاء المغاربي الذي تكاثفت فيه مصالحهما وحدّد ذلك حسب اتفاقية «تورد اسيلاس» لسنة 1494. واعتبر خطّ مليلة الحدّ الفاصل بين المجالين، ففي حين اقتصر المجال البرتغالي على سواحل المغرب الأقصى امتد المجال الاسباني من مليلة الى طرابلس الغرب.

كان من الحيوي على البرتغال واسبانيا تحويل المجال المغربي الى امتداد للفضاء الايبري المرتكز على البحر بحيث تكتمل السيطرة على المتوسط وتضرب كل محاولات التصدّي التي كانت تشكل خطرا على استقرار أوضاع هذه الدول المسيحية لا سيما بعد انتهاء اسبانيا من حركة استرداد الاراضي وتهجير المسلمين وما أدّى اليه من تركيز اعداد وافرة منهم على الموانى المغاربية.

لذا رفعت حركة التوسع الإيبري في بلدان المغرب الراية الصليبية مجنّدة وراءها الكنيسة والعالم المسيحي لضمان دعم متين يوفر لها شروطا كافية للنجاح.

لكن ولئن كان اثر الوازع الديني حاضرا في هذه الحملات التوسعية فقد كان يخفي أطماعا كبيرة في السيطرة على كل مسالك التجارة وضرب الحصار على البلدان المغاربية، ولعل تركيز ذلك التوسع على النقاط الساحلية لدليل واضح على هذه الغاية.

أما المواجهة المغاربية تجاه الغزو الايبري فقد تمحورت حول قوى اختلفت مصادرها باختلاف خصوصيات كل بلد وظرفيته رغم الالتقاء في خاصيّة واحدة صبغت مختلف ردود الفعل.

من الطبيعي أن ترفع راية الاسلام وأن يشهر سيف الجهاد والبلاد من غربها الى شرقها مستهدفة من طرف القوى الأوروبية المسيحية. لكن ولئن برزت في المغرب الأقصى قوى محلية كانت مؤهلة لقيادة حركة الجهاد ولطرح نفسها سلطة بديلة للسلطة الوطاسية الفاشلة مغلقة بذلك الباب أمام الوصاية الدينية للعثمانيين، فقد اختلف الوضع في كل من المغرب الأوسط وتونس حيث فشلت كل القوى المحلية في صدّ الغزو الاسباني، فكان من الطبيعي ان يتزعّم العثمانيون حركة الجهاد وأن يعتلوا كرسي الحكم.

الفصل الأول

تشكل السلطة الشريفة بالمغرب الأقصى :
من السعديين إلى العلويين

I ـ التجربة السعدية

1 ـ المدّ الطرقي وانبثاق سلطة الشرف السعدي

في الوقت الذي بدأت فيه السلطة المرينية تتداعى وتتقلص قاعدتها بعد أن قطعت قبائل الجبال والأرياف صلتها بها لما كانت تسلطه عليها من جباية مجحفة، لاقت الحركة الطرقية صدى واسعا في أوساط هذه القبائل فتوزعت الزوايا على مختلف مناطق البلاد وتحولت الى مراكز تأطير وتجنيد تبلورت فيها شعارات الحركة وأهدافها بعد أن سادت الفوضى البلاد واحتلّت القواة البرتغالية أهم الثغور الساحلية الشمالية.

فما إن قام الشيخ محمد بن سليمان الجزولي مناديا لدعوته حتى إلتفّ حوله الاتباع ومن افُوقال ببلاد حاحة حيث أسّس الامام الجزولي طريقته الشاذلية انطلقت الحركة الجزولية لتتمركز ويشتدّ عودها في بلاد السوس على يدي التابع سيدي أحمد أو موسى الجزولي، وفي بلاد حاحة على يد سيزدي سعيد أو عبد النعيم.

وبسرعة برز الوليّ رمزا للرّفض القبلي وسلطة بديلة عن السلطان الفاشل والمتواطئ مع العدوّ المسيحي.

الى جانب هؤلاء الصلحاء المتميزين بكراماتهم وأخلاقياتهم كان للشرفاء شأن لبركتهم فكان نداء القبائل البربرية بالسوس، التي أطّرتها الطريقة الجزولية، لشرفاء بني سعد المستقرين بتكمدرت بدرعة لقيادة حركة الجهاد ضدّ الغزاة البرتغاليين.

هل يعني ذلك أن بروز الشرفاء السعديين ناتج عن رغبة العامة في التبرك بهم لمواجهة الغزو الإيبيري ؟

من السهل أن نجيب بالإيجاب، لكن ذلك يعني حصر مفهوم الشرف في المستوى الديني بيد أن الواقع المغربي يفرض علينا التمييز بين الشرف كمفهوم ديني وبين الشرف كشعار سياسي، وإلاّ فكيف نفهم عدم إلتجاء

العامة بالمغرب الأوسط، الذي كان هو الآخر عرضة الى الغزو المسيحي، الى شرفائهم ؟ كيف نفهم أيضا الفشل الذريع للأشراف الشابيين بتونس وانسياقهم لواقع الاحتلال الاسباني ؟

لم يتميز المغرب الاقصى عن بقية البلدان المغاربية بكثافة وثقل حضور الشرفاء فحسب، بل تميّز كذلك بالطابع السياسي الذي اتخذه هذا الحضور.

كان للتجربة الادريسية في الحكم دور كبير في تمكين الأشراف، الأدارسة أولا ثم الأشراف الجدد كالصقليين والسعديين والعلويين من البروز على الساحة السياسية، وأول حضور سياسي للشرفاء سجّله الصقليون الحسينيون في القرن 13 مع «بني العزفي » حكام سبتة الذين كانوا أول من احتفل بعيد المولد النبوي في المغرب، وكانوا وراء النفوذ الذي أصبح عليه هؤلاء الشرفاء في سبتة حيث انتظموا وتهيكلوا في «رئاسة الشرفاء» وتمتعوا بامتيازات كبيرة.

وتدعّم هذا التوجّه مع المرينيين الباحثين عن دعم معنوي ضدّ منافسيهم بني عبد الواد، وعن رموز دينية يزايدون بها على التيار الديني المعارض.

ولئن أدّت سياسة الدعم المريني للشرف والشرفاء الى ادماج فئات من الشرفاء في فضاء السلطة، فان فئات أخرى من الأشراف بقيت بعيدة عن السلطة.

لقد وجدت الطرق الصوفية في هؤلاء الأشراف خير رموز لقيادة حركة الجهاد التي آمنت بها مجموعات واسعة في الارياف والصحاري وعلى المرتفعات.

لكن لماذا بالذات صلحاء السوس وأشرافها ؟

ليس من باب الصدفة أن تتأهل بلاد السوس برموزها لقيادة حركة الجهاد وينطلق منها المشروع السياسي التوحيدي لأجزاء البلاد المشتتة والحال أن الواجهة الصحراوية احتلت المكانة الرئيسية في اقتصاد المغرب في هذه المرحلة التاريخية وتكاثف عليها الطلب البرتغالي.

ففي القرن 17 عند تراجع دور هذه المنطقة وتحول المحور الاقتصادي الى الواجهة الشرقية، سيأفل نجمها ويأخذ شرفاء تافلالت المشعل ليواصلوا « التجربة الشريفة» انطلاقا من نفس الأهداف وبالاعتماد على نفس الأسس.

لقد تجندت قبائل السوس وحاحة بعد التعبئة الجزولية لخوض الجهاد بقيادة الأشراف السعديين الذين وجدت فيهم الفصائل الثائرة أحسن رمز لتطلعاتها في وقت تشتتت فيه السلطة وتعددت مراكز القرار.

بعد استسلام السلطة الوطاسية وتواطؤ قبائل السهول العربية مع المحتل البرتغالي الذي شدد الحصار على المنطقة، أصبحت الظروف ملائمة لأن ينجز الأشراف السعديون مشروعهم الذي اتخذ من الجهاد قوامًا ومن السلطة هدفًا.

وما أن دعي محمد القائم السعدي الى تارودنت في 1509 حتى تجمهر حوله الأتباع وبويع أمير المؤمنين وانطلقت حركة المقاومة من رباطه مستهدفة البرتغاليين وحلفائهم عرب السهول.

وفي تدنست وأفوقال في اقليم حاحة تكثفت الهجومات على المواقع البرتغالية ولاحت بوادر الانتصار معلنة قيام سلطة الأشراف السعديين وتأسيس ملك لبنيهم.

لقد تمكن أحمد الأعرج ومحمد المهدي المتمركزان على التوالي في حاحة وفي تارودنت من تثبيت حجر الأساس الذي وضعه أبوهما في البناء السعدي وتدعيمه بالسيطرة على مقاطعات هامة.

واقترنت المرحلة الأولى في تركيز النفوذ السياسي السعدي بافتكاك مراكش من يد الشيخ الهنتاتي المستقل بها سنة 1524 والسيطرة على السهول حتى وادي أم الربيع شمال الأطلس. بعد ذلك اتجهت التحركات نحو جنوب الأطلس لافتكاك أغادير من البرتغاليين سنة 1511 وارجاع الأمن بدرعة.

لقد وجدت السلطة السعدية القائمة كل الدعم من القبائل البربرية التي لم تتردد عن معاضدتها في صراعها ضد السلطة الوطاسية المتداعية

وأتراك الجزائر الذين يترصدون الفرص للانقضاض على المغرب وضمه لفضائهم الجديد. فكانت هذه القبائل قاعدة الدولة السعدية مثلما كانت الطريقة الجزوليّة ـ الشاذلية أداتها الأيديولوجية.

هل فرض ذلك على السعديين انتهاج سياسة عصبوية أو اتباع عقيدة دينية ضيقة ؟

ان متطلبات المرحلة وطموحات السعديين كانت أوسع من أن تحصر في الحيز العصبوي الضيق وفي العقيدة الطرقية المكبّلة. فارتكاز سلطة الأشراف السعديين على قبائل السوس لا يعني ضرورة انحصارها في العصبية السوسية. ولعل التجاء صلحاء جزولة الى الشرفاء لتسليمهم قيادة الحركة وتكليفهم ببناء سلطة جديدة دون غيرهم من رموز المنطقة كان يمثل ضربًا من الوعي بأهمية مشروعية الشرف الواسعة في انجاح المشروع في فترة تفكّكت فيها السلطة وانفصلت المجموعات وتناحرت وتعمق الكسر بانفتاح البلاد أمام الغزو الأوروبي.

لكن هل كانو أيضًا واعين بما تفرضه متطلبات بناء سلطة مشروعيتها الشرف، من تكسير العصبيات واخضاعها للمخزن ومن سلوك سياسة دينية تهدف الى الهيمنة على كل المؤسسات واخضاعها ؟

بهذه التوجهات الجديدة تميّزت السلطة الشريفة عن سابقاتها من السلط. فمن منطلق الهيمنة السياسية ـ الدينية واحتكار السلطة، كان لا بد على السعديين من اخضاع جميع القبائل، بما في ذلك قبائل السوس، الى سيادتهم الجبائية مناهضين العصبية القبلية رغم ارتكازهم على قاعدة قبلية، وكان لا بد عليهم أيضًا من اخضاع الفقيه والمتصوف واستعمالهما كأدوات تبرير ومباركة.

هكذا إذا قامت سلطة الشرف السعدي واستنبطت أدواتا هيمنت بها على كل المجموعات والعصبيات، لتكرس ميلاد دولة المخزن على أنقاض دولة العصبية.

2 ـ السلطة السعدية بين المعارضة الداخلية والضغط الخارجي

بعد أن ركز الأخوان أحمد الأعرج ومحمد الشيخ النفوذ السياسي للأشراف السعديين شرعا في وضع أسس السلطة الجديدة فعيّنا العمّال على مختلف المناطق وكوّنا من العرب مخزنهم وتمّ اقرار الضرائب وسحبت على كل المجموعات بما في ذلك قبائل السوس التي أوصلتهم الى التسلطة.

إنّ واقع السلطة حوّل الشرفاء بسرعة من «مجاهدين» الى رجال سياسة، من الصعب أن تتلاقى مصالحهم بمصالح قبائل السوس وزواياها، تلك القوى التي وضعت كل آمالها فيهم. وعكس ما كانت تطمح اليه هذه القوى، فقد وضع الأشراف سلطتهم مكان سلطة القبيلة والزاوية وانقلبت بذلك العلاقة بين الأشراف السعديين ومنطقة السوس. فمن قاعدة ارتكزت عليها سلطتهم تحولّت المنطقة إلى قطب معارض يترصّد الفرص للثّورة والتّمرّد. فكان نزاع الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ مناسبة لانطلاق شرارة الانتفاضة التي قادها الفقيه عبد الله الذي نسب نفسه للموحدين وحرك في أنحاء البلاد ذاكرة الموحدين المجيدة ليبقى رمزاً في ذاكرة مصمودة.

لم يكن تركيز السلطة السعدية وتثبيتها أمرًا هينًا، فبالاضافة الى هذه الأخطار كان الضغط من الخارج قويًا.

من الجزائر كان الأتراك ينظرون بكل استياء لقيام مثل هذه السلطة بمنطقة مجاورة لفضائهم الجديد. فكانت الوسائل لضربها متعدّدة وتأرجحت السياسة العثمانية بين التدخل المباشر لمساعدة السلطة الوطاسية المنهارة والورقة الديبلوماسية في شكل سفارات لاقناع السعديين بالاعتراف بالخلافة العثمانية.

وفي البداية لم يتردد حسن باشا والي الجزائر في اقتبال السلطان الوطاسي أبي حسون المهزوم والاستعداد لشن الحملة على السعديين.

ولئن حاول السلطان سليمان القانوني التملص من هذا الموقف بارسال سفارة أولى تدين موقف باشا الجزائر وتؤكد على حسن الجوار بين السلطتين

فإنّ الحملة التي شنها صالح رايس باشا الجزائر على فاس لارجاع أبي حسون الوطاسي الى حكم المغرب سنة 1554 أكدت الأهداف التوسعية للعثمانيين.

ولما كان الانتصار حليف السعديين الذين تصدوا بكل قوة للمواجهة الوطاسية ـ التركية وقضوا نهائيًا على الوطاسيين بعد مقتل السلطان أبي حسّون، فقد التجأ الباب العالي مرة أخرى الى الديبلوماسية فأرسل السفارة الثانية للسلطان السعدي المهدي الشيخ. وخلافًا للسفارة الأولى التي ركزت على تطبيع العلاقة، فان هذه السفارة هدفت بوضوح الى مطالبة السلطان الشريف بالاعتراف بالخليفة العثماني والدعاء له على المنابر ورسم اسمه على السكة.

من المنطلق السعدي كان من الطبيعي جداً أن يرفض الطلب حيث رأى فيه المهدي الشيخ تحديًا للسيادة السعدية الشريفة. كيف للسلطان السعدي أن يقبل بخليفة آخر وهو الشريف الذي بايعه أهالي البلاد أمير المؤمنين ووضعوا في يده خلافة المسلمين ؟

من الصعب أيضًا على سليمان القانوني الذي لم يخامره شك في أحقيته بخلافة المسلمين أن يسكت عن رفض محمد المهدي الشيخ الخضوع وطعنه في استحقاق آل عثمان للخلافة.

إنّ أغلب المصادر تشير الى أن مقتل محمد المهدي الشيخ الذي تم في 1557، كان بايعاز من السلطان العثماني الذي خطّط له عن طريق جماعة من جند الترك استخدمهم المهدي في جيشه الذي خرج به لتمهيد الأطلس بعد الانتفاضة التي عمت كامل المنطقة.

وتولى مولاي عبد الله الغالب السلطة في ظروف صعبة تعددت فيها الأخطار وتشعبت فيها السبل.

لم يكتف الأتراك باقتبال الأخوين عبد الملك وأحمد المنصور الفارين من عمّهما عبد الله الغالب بعد رفضهما لحكمه، بل عملوا أيضًا على تغذية نار الفتنة في شمال البلاد معتمدين في ذلك على الطريقة القادرية منافسة الطريقة الشاذلية.

ولئن استجاب صلحاء السوس لطلب عبد الله الغالب ومساعدته في ضرب هذه المعارضة، فانهم لم يترددوا في الخروج عليه والتمرّد عليه عندما التجأ الى الاسبان «الأعداء المسيحيين» للبحث عن دعم يعتمده لضرب الأتراك.

وتفاقم ضعف السلطة السعدية بانسحاب هذه الرموز الدينية من حولها بعد أن رفعت شعار الاستقلال وجمعت حولها جلّ القبائل.

3 ـ واقعة وادي المخازن والنفس السعدي الجديد

اشتعل فتيل الحرب برجوع عبد الملك وأحمد المنصور معزّزين بالجيش التركي لافتكاك السلطة من يدي المتوكّل بن أخيهما الذي آل اليه العرش السعدي إثر موت أبيه الغالب سنة 1574.

لقد كانت القوى غير متكافئة فكان من الصعب على المتوكّل أن يتصدى بنجاح لعمّه المدعم بأقوى وأحدث جيش في حين كانت جيوشه ضعيفة وقاعدته هشّة وسلطته حديثة العهد ومشكك فيها.

لم يجد المتوكل المخلوع حلاً آخر سوى الالتجاء للبرتغاليين عندما فشلت كل محاولاته في تجميع الأنصار لاستعادة سلطته. فكان حبّه السّلطة أقوى من أن يستجيب لنداءات العلماء ويكترث لإنكارهم التجاءه للبرتغاليين المسيحيين.

في تلك الآونة بالذات أصبح استقلال المغرب مهدداً والبيت السعدي منقسماً شقين كل واحد يحوم حول قوة خارجية طالما حاولت الانقضاض على هذه المنطقة الواعدة من بلاد المغرب العربي.

اندلعت الواقعة في صائفة 1578 عندما هب ملك البرتغال دون سبستيان بجيشه ملبيا طلب المتوكل.

كانت كل الاشارات تنبئ بنهاية استقلال المغرب وخضوعه لاحدى القوتين الماسكتين بخيوط المعركة. لكن الهزيمة الشنعاء التي مني بها دون

سبستيان وحليفه المتوكل وموت الملك المعتصم وبروز أحمد المنصور غيّر مجرى الأحداث.

لم يعلن عن موت عبد الملك المعتصم ثالث الملوك ضحايا الواقعة، الا بعد أن تمت البيعة لأحمد المنصور الذي بويع في حرارة الانتصار وعلى أرض المعركة.

هكذا خرج البيت السعدي من هذه الواقعة معززًا وموحداً أكثر من ذي قبل، فالانتصار كان عظيمًا بحيث مكّن السعديين من استعادة هيبتهم وتدعيم استقلالهم، وهو انتصار قدّرته كل الأطراف بما في ذلك البلدان الأوروبيّة فتوالت السفارات والهدايا على باب المنصور اعترافًا بسلطانه وإكباراً لقدرات بلاده.

دخلت الدولة السعدية مع أحمد المنصور فترة مجدها وعظمتها، واقترن اسمه بالذّهب لما جمّعه من ثروات خاصة بعد حملته الضّارية على السودان وبلاد غانة في 1590 ـ 1591. فكانت سيطرة المغرب على التجارة الصحراوية كلّية.

لقد برزت آثار هذه العظمة على هيكلة المخزن السعدي وعلى جيشه الذي تغذّى بعبيد السودان أولائك الذين وجد فيهم المنصور أداة طيّعة لتدعيم نفوذه والتخلّص من مساومة القبائل.

لكن هذه القوة ولئن مكنت المنصور من امداد الدولة السعدية بنفس جديد، فانها لم تمكنه من القضاء نهائيًا على اضطرابات منطقة السوس وتمرّد قبائلها الرافضة للمطالب المخزنية المرهقة.

وعلى غرار محمد المهدي الشيخ، لم يتوصّل المنصور الى السيطرة على المنطقة واكتفى بالتركيز على الطرق الكبرى والمراكز الهامة التي حماها بقصبات أوكل أمرها لحراسه، أما تارودت المدينة ـ المخزن، فكانت مطوّقة ومحاصرة بحيث لم يتجاوز نفوذ أبي فارس أخ المنصور المتولّي قيادة السوس المدينة نفسها. واعتمدت سياسة المنصور تجاه التمرّد والعصيان القبلي العنف والقوة من جهة، والمراوغة والاستمالة من جهة أخرى.

فالى جانب الحركات العديدة التي استهدفت المنطقة لجأ المنصور الى استمالة بعض رموزها.

لم يخف على المنصور مراوغة هذه القبائل وعدم انصياعها، فكان شديد الحذر منها وهذا ما يفسر انكاره على ابنه المأمون الاعتماد على قبائل «الخلط» مخاطبًا اياه «وما زال جرحهم الى الآن لم يبرؤ».

لن يبرؤ الجرح حتى ينهار البيت السعدي الذي تتالت عليه المحن منذ موت السلطان المنصور. ومثلما قال أحمد بن أبي محلي في كتابه **اصليت الخريط في قطع بلعوم العفريت** : « اجتمع على أهل المغرب منذ مات المنصور ... الجوع والهرج والوباء ... تفاقم واتسع بين أولاده ووقعت وقائع ومات فيها خلق كثير ...».

4 ـ الصراعات الداخلية وانهيار السلطة السعدية

بموت المنصـــور في 1603 اشتـعل لهـيب الفـتنة ودخلت السلطة السعدية في طور الانهيار والتفكك. ابان موته، تناحر أبناؤه وتقاسموا الملك وأدخلوا البلاد في دوامة الحرب الأهلية التي وجدت فيها القوى الدينية المعارضة خير مناسبة للانقضاض على السلطة وافتكاكها.

بايعت فاس ابن المنصور المولى زيدان، في حين بايعت مراكش أخاه أبا فارس. وبدأ الصراع داخل البيت السعدي يتعمّق وحدّته تتزايد خاصة بعد الفتوى التي أصدرها علماء فاس والتي تقرّ بقتل الخليفة في صورة مبايعة خليفتين.

دارت المعركة بين أبناء المنصور حول فاس وانهزم فيها المولى زيدان امام جيش أخويه أبي فارس والمأمون. ولم يكن المولى المأمون أقل طموحًا من أخويه فدخل فاس واستقل بالأمر بعدما خلع طاعة أخيه أبي فارس. لكن المولى زيدان لم يستسلم فالتجأ أولاً الى الأتراك بتلمسان ولما رفضوا مساعدته توجه الى سجلماسة التي كانت تحت نفوذ ابن أخيه محمد الشيخ الأصغر سنة 1607 وبايعه أهاليها.

ولم تتوقف طموحات زيدان عند هذا الحد فقد كان يرمي الى اعادة وحدة المغرب الأقصى. فهاجم فاس ودخلها بينما فرّ منها أخوه محتميًا بالعرائش. لكن الظرفية كانت معاكسة لطموحاته، ولن يمكنه هذا الانتصار من اعادة وحدة الملك السعدي ومجده. فكانت النهاية حتمية وأعاد أبو فارس ومحمد الشيخ الكرّة على فاس وهاجموا المولى زيدان في 1609.

لقد تعمّق الكسر وتأزم الوضع فهبّت القوى الدينية المعارضة لتأتي نهائيًا علي السلطة السعدية المتداعية ولم يجد المأمون سنداً لدى علماء فاس الذين آخذوه على تسليمه مدينة العرائش للاسبان وخرجوا عليه ونادوا بنقض بيعته وعمت المطالبة بالجهاد جميع الفئات والجهات، وحملت رايته حركات دينية متعددة.

- حركة أبي محلي

اغتنم الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي المدعو بأبي محلي الضعف السعدي وتخلي السلاطين عن الجهاد للقيام على المولى زيدان ونقض بيعته منطلقًا في دعوته من النصوص وتأويلها.

ولاضفاء شرعية واسعة على حركته، نادى أبو محلي بالمهدوية وبالخلافة الاسلامية مجمّعا بذلك رصيداً رمزيًا قويًا دعّم حركته ومكّنها من اشعاع كبير، فاتسعت بسرعة الى أقاليم عديدة هدّدت بصفة جدّية السلطة السعدية. تجمّع حول الفقيه الثائر الأنصار والتفّت حوله القبائل الرافضة وبسهولة تمكّن من الانتصار على جيش المولى زيدان بسجلماسة في 1611 ومنها تحول الى درعة، مهد السعديين، واستولى عليها.

بعد هذه الانتصارات الباهرة تحرك أبو محلي بجيشه نحو مراكش وأخرج منها زيدان وانتصب عليها في 1612.

بذلك فقد السلطان السعدي كل أدوات المقاومة وأصبحت سلطته محلّ شكّ بعد أن فقدت وزنها الديني وصلابتها السياسية، ولم يبق له خيار آخر سوى الاستغاثة بالفقيه ابن أبي زكريا الحاحي.

يقول الأفراني في كتابه «نزهة الحادي ...» ... «ولما رأى زيدان ما رأى وتحقق فشل ريحه وضعفه عن مقاومة ابي محلي، كتب للفقيه أبي زكريا بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي مستغيثا ومستصرخًا».

لبّى الفقيه الحاحي دعوة زيدان وخرج لملاقاة أبي محلي في مراكش في السنة نفسها 1612 فهزم جيشه وقتله ووضع حداً لحركته.

لم تكن معاضدة الفقيه أبي زكريا يحيى الحاحي للسلطان زيدان دفاعًا عن السلطة السعدية بقدر ما كانت طموحًا الى النفوذ والسلطة، وقد برز ذلك جليًا في الرسالة التي بعثها الفقيه للسلطان حيث أكّد على دور الفقيه في المجال السياسي ومسؤوليته في توجيه السلطان وهو بذلك يكون «الوصي» و«القيّم» على السلطة، ويذهب الفقيه بعيداً ليفرض على السلطان «البيعة المشروطة» ويقيّد تحركه.

من الطّبيعي أن يرفض السلطان الشريف، ذو الهيمنة المطلقة، شروط الفقيه ويجيبه :

«أما بعد فان كنت انما جئت لنصرتي وكفّ يد ذلك الثائر عني، فقد أبلغت المراد وشفيت الفؤاد، وان كنت انما رمت أن تجر النار لقرحك، وتجعل الملك من قنصك، فأقر الله عينك به والسلام». كان اذا قرار المولى زيدان اقصاء الفقيه المخزني من المجال السياسي الذي ليس له أن يستوعب إلا السلطان.

ـ الحركة العياشية

قامت هذه الحركة في الشمال بزعامة المجاهد محمد العياشي الذي استغلّ رصيده الديني لتجميع الأنصار ومواجهة السلطة السعدية تحت شعار الجهاد. لقد تكرست القطيعة بين محمد العياشي والسعديين في 1645 عندما تبلور المشروع وتهيكلت الحركة بعد أن حققت انتصارات بارزة على المسيحيين فاستولت على مدينة سلا وجعلتها مركزاً وقاعدة لتوسعاتها الجهادية.

ولئن ضربت الحركة وتلاشت بمقتل زعيمها سنة 1641. فانها ساهمت بقسط وافر في هدم البناء السعدي.

ـ الحركة الدلائية

تمركزت الحركة بالأطلس الأوسط، بلاد القبائل البربرية المستقلّة، حول الزاوية الدلائية التي أسسها سيدي أبو بكر بن محمد بن سعيد بن أحمد الزموري خلال النصف الثاني من القرن 16 بمنطقة الدلاّء.

وانطلقت الحركة على يدي ثالث شيوخها سيدي محمد بن سيدي محمد بن أبي بكر عندما تحولت الزاوية الى قوّة سياسية نافست السعديين. كان لهذه الحركة شأن ونفوذ عظيمان استمدتهما من الرفض البربري الذي أطّرته الزاوية واستهدفت سهول الشمال الخصبة مناطق القبائل العربية.

لقد تمكنت الحركة الدلائية التي اتخذت طابع التمرّد البربري من الحاق هزائم كبرى بالجيش السعدي من أهمها هزيمة معركة «بوعقبة»، فطرح الزعيم الدلائي نفسه سلطانًا بديلاً عن السلطان السعدي وتحولت الحركة الى سلطة قائمة، خاصة بعد سيطرتها على مدن الشمال وبعد مقتل آخر أمراء السعديين أبي العباس سنة 1659.

II ـ التجربة العلوية

1 ـ المنافسة الدلائية والولادة العسيرة للسلطة العلوية

لم يكن من السهل على أشراف تافلالت إعادة صياغة دولة والبلاد منذ رحيل المنصور سنة 1603 في فوضى شاملة وتمزّق لا محدود تحت الضغط الانفصالي. وهو وضع انتعشت في ظلّه كلّ المغامرات، فغدت البلاد فسيفساء سلطات دينية ـ قبلية تتقاسم الأقاليم وتتطلّع الى افتكاك المبادرة السياسية بعدما فقدها الأشراف السعديون.

ولئن قبرت محاولة أحمد ابن أبي محلّي في مهدها ولم تدم تحرّشات محمد العياشي الجهادية طويلا وصدّ الباب أمام توسعات السملاليين التي استهدفت تافلالت فضاء العلويين بعد تأسيس إمارتهم بإقليم السوس

حول حصن اليغ وانفراد أبي حسون السملالي بالنفوذ بعد وفاة زعيم الزاوية الحاحية ابي زكرياء الحاحي، فقد اصطدمت تطلعات الأشراف العلويين الى سلطة المغرب بالحركة الدلائية المتماسكة حول زاويتها والمتعطّشة للسّلطة السياسية.

من الطبيعي أن يطمح الشيخ الدلائي الى عرش المغرب، في مثل هذه الظروف وقد نجح بسرعة في تجاوز حدود زاويته وتحويل الرصيد العقائدي الى مشروع سلطة استقطب الغضب البربري وصاغ طموحات ذلك اللفيف القبلي الذي سئم الضغط العربي - السعدي.

فبعد اخضاع الساحل الاطلسي، اتجه الشيخ الدلائي بجيوشه نحو الجنوب لمقابلة منازعه وخصمه العلوي سيدي محمد بن الشريف الذي أعاد الاعتبار لمفهوم الشرف وهبّ بحركته من درعة وتفلالت (بالجنوب الشرقي) لغزو السلطة وإعادتها الى الأشراف من جديد.

كانت المواجهة فصعب الانتصار وتعطّل الحسم بين قوّتين ركّزت كلاهما ذاتها على أسس متينة وانطلقت من رصيد متجذّر سبق له أن حدّد سلطة المغرب وطبع شكلها.

ولئن تمكن سيدي محمّد الحاج الدلائي من الحاق الهزيمة بجيوش الشريف العلوي في واقعة سنة 1646 إلاّ أنّه أبقى على التوازن بين الطرفين فحدّدت مناطق نفوذهما وتأجّل الحسم.

لكن ذلك التوازن لم يكن الاّ مؤقتا وسرعان ما تجاوزته الأحداث حيث هبّت مدينة فاس - رمز السلطة - لاقتبال الشريف العلوي ومبايعته في 1649 والتخلّص من النفوذ الدلائي - البربري.

بذلك بدأ المسار العلوي يخطو خطاه الثابتة، فحتّى انتصار دار الرمكة في 1650 لم يعد للحركة الدلائية قوتها، وتوالت عليها الهزائم وتراجع نفوذها وتقلّصت رقعتها، ولم تحل سنة 1677 حتّى تمكّن العلويون من القضاء نهائيا على طموحاتها السياسية وارجاعها الى حيّز الزاوية، فدخلت بذلك بلاد المغرب الأقصى تجربتها الشريفية الثانية.

2 ـ اكتمال البناء العلوي وتحديث أدوات السلطة

اقترن اسم المولى الرشيد الذي افتكّ السلطة بعد مقتل أخيه محمد الأول بمعركة أنقاد 1664 باستكمال مراحل التأسيس وتركيز البناء العلوي. فالمغرب لم يخرج بعد من تجزئه الاقليمي هذا بالاضافة الى التصدّع الذي ظهر بالبيت العلوي الحديث العهد.

فكان على الرشيد أن يعيد تماسك البناء العلوي ويقضي على تمرّد ابن أخيه المولى محمد الصغير الذي احتمى بسجلماسة وأعلن العصيان.

أمّا فاس والتي بدون ولائها تبقى سيادة السلطة منقوصة، فقد صدّت أبوابها في وجه الرشيد واستعدّت مع حلفائها الحياينة لمهاجمته إبّان توليه الملك في أفريل 1665م فأجبر أهلها على مبايعته بعد أن «... حكم السيف في رؤسائها وافناهم قتلا فتمهدّت البلاد واجتمعت الكلمة...» كما قال صاحب النزهة.

مكّنه ذلك الإنتصار من تدعيم نفوذه وتعزيز صفوفه لمواصلة الطريق واسكات ما تبقّى من الأصوات الانفصالية، فقصد بلاد الهبط لملاقاة الثائر الخضر غيلان، ومن ثمّة اتجه الى أهل زاوية الدلاء الذين هزموا ببطن الرّمان في 1667 ورجعوا ثانية الى زاويتهم.

وكانت المحطة الموالية مراكش التي تغلّبت بها «الشبانات» تلك المجموعة القبلية العربية الواسعة والتي كانت محور الجيش السعدي، فكان انتصار آخر سجّله الرشيد يوم اقتحام المدينة في 1668 وقتل من وجد بها من الشبانات.

أما نهاية المطاف فكانت مع ابي حسون السملالي في 1670 المتحصّن بقلعة إيليغ حيث تمّ للرشيد الايقاع به والاستيلاء على تارودنت والسيطرة على بلاد السوس.

عند ذلك استقرّت الأوضاع واستعادت البلاد حركيتها الاقتصادية فضربت العملة الرشيدية ورجع تجار فاس الى نشاطهم فظهرت بوادر نهضة نجد صداها عند جلّ مؤرّخي العصر، فيشيد اليفرني بتلك الحقبة قائلا :

« ... فكثر العلم في أيامه، واعتبر أهله وظهرت عليهم أبهته وكانت أيامه سكونا ودعة ورخاء عظيما».

ويكمن سرّ ذلك النجاح في القوة المحاربة التي كوّنها الرشيد من العرب والبربر وجمّعها في جيش «الشراقة».

عندما مات الرشيد سنة 1672 ترك ارثا متماسكا سينجح المولى اسماعيل في دعم قواعده وتطويره تمشيا مع مقتضيات المرحلة.

لذلك كان عليه أولا مواجهة التمرّد الاقليمي وتوطيد مركزية السلطة التي باتت مهدّدة، فقضّى حوالي الخمس والعشرين السنة الأولى من عهده في قمع الثورات التي شملت المدن والبوادي وغذّتها أصوات من داخل البيت العلوي، من ذلك تمرّد أخيه المولى الحرّان وابن أخيه المولى أحمد بن محرز.

لقد فهم المولى اسماعيل ضرورة تجاوز المضمون التقليدي القبليّ للقوّة العسكرية لتثبيت مركزية الدولة وضمان دوامها. ودون أن يتخلّى عن الجيش التقليدي أحدث جيشا جديدا من الزنوج جمّعه من بقايا عبيد المنصور الذهبي سمّاه بعبيد البخاري، فكان جيشا حديثا منفصلا عن المجتمع ومرتبطا بالمخزن وبشخص السلطان نفسه. نظم هذا الجيش على النمط التركي الانكشاري فكانت أداة طيّعة مكّنت العلويين من بلورة دولة ـ فوق قبلية وفوق طرقية، مثلما كان الشأن مع دولة السعديين ولا سيما على أيام سلطانها المنصور الذهبي.

لكن هذه القوة العسكرية كانت مصاريفها كثيرة، الشيء الذي دفع بالسلطان الى إعادة النظر في الجباية ذلك المورد الرئيسي لعائدات المخزن.

فالى جانب الضرائب التقليدية كالعشر والزكاة، كان الارتكاز على ضريبة «النائبة» التي استنبطت في ظروف الجهاد لتحرير الثغور من الاحتلال الأوروبي، فشكلت هذه الضريبة ركنا أساسيا من القائمة الجبائية رغم طابعها الاستثنائي، هذا كما وقع الترفيع في المكوس على التجارة الخارجية والداخلية.

لقد استخلص المولى اسماعيل الدروس من فشل الاشراف السعديين والضربات التي سددتها لهم الحركة الطرقية، ففهم أنه لن يتمكن من بناء دولة ثابتة دون أن يقضي على نفوذ الطرق ويحدّ من اشعاعها وتأثيرها. فحاصر الحركة الطرقيّة بأن فرض عليها أن تتّخذ فاس مركزا لها. وبذلك طوّقت الحركة وحوصرت في اطارها الديني. أما مهام الجهاد فقد أوكلت الى الجيش الجديد وفقدت الحركة الدينية بذلك مشروعية طالما تغذّت بها واجبرت على الالتزام ببيعة السلطان الشريف.

لقد نجح المولى اسماعيل، بالاعتماد على هذه السياسة وبالارتكاز على مشروعية الشرف في بناء المغرب الحديث، الذي شرع فيه السعديون.

لكن سياسة اسماعيل هذه وان وطّدت السلطة العلوية، فقد كان توازنها هشّا وحملت في طياتها جذور الأزمة التي اندلعت مباشرة بعد وفاته. فبمجرّد رحيل المولى إسماعيل، انقلب عبيد البخاري الى عنصر تفكّك السلطة واضعافها بعد أن كانوا أداة أمنها وتنظيمها، بحيث أصبح هذا الجيش يتدخّل لتنصيب هذا الأمير أو عزل ذاك حسب هواهم ومصالحهم، وباتت السلطة رهينة عبيد البخاري. ولعلّ ما وقع للسلطان عبد الله الذي خلع خمس مرات في فترة ما بين 1727 ـ 1757 وما عاشته البلاد من أزمة عرفت بأزمة الثلاثين سنة، لأحسن دليل على ما أصبح عليه عبيد البخاري من تنفّذ وتسلّط، هذا بالاضافة الى ما لعبته مسألة ولاية العهد في تصدّع البيت العلوي وتتالي تمرّد الاخوة والابناء.

3 ـ اهتزازات النظام العلوي ومحاولات التجاوز

لقد فهم المولى محمد III أنّ السياسة المركزية التي انتهجها أبوه مولاي عبد الله كان وزنها ثقيلا وحرمت السلطة من قاعدة اجتماعية واسعة احتاجها البيت العلوي في أصعب أيامه.

فكان لا بدّ عليه من إعادة النظر في أمّهات القضايا وصياغة أساليب جديدة تعيد السلطة العلوية استقرارها وتضمن دوامها.

ومن الطبيعي أن يقع التركيز على الهيبة السلطانية ويبرز السلطان الشريف صاحب البركة كرمز ديني ذي هيبة وسيادة، ولعل مصاهرة المولى محمد لشريف مكة كانت تهدف الى تمتين الصلة برموز الشرف الديني بالمشرق وبالتالي لمزيد من المشروعية استغلّها لضرب كل محاولة نهضة طرقية ولاقامة علاقات متكافئة مع الاتراك العثمانيين الذين خاطبهم مخاطبة الاكفاء، وخاطبوه مخاطبة السادة.

أمّا عن جيش العبيد الذي مثل أداة المولى اسماعيل في بناء الدولة الحديثة، فلم يتردّد مولاي محمد في ضربه وكسر شوكته لا سيما بعد قيامه عليه ومبايعته لابنه المولى اليزيد سنة 1189هـ.

هكذا تجرأ مولاي محمد على فعل ما لم يقدر عليه ابوه فوجّه ضربة قاضية لعبيد البخاري بان ابعدهم عن الجندية وفرقهم بين القبائل التي استعادت مكانة بارزة في المخزن العلوي، وكما قال الناصري في كتابه الإستقصاء ... «قصد بتفريقهم دفع غائلتهم وتوهين عصبيتهم ... فاستراحت الدولة من شرّهم ...»، وحتى عندما غفر عنهم وأرجعهم الى الجندية جعلهم قبائل من الخلط.

خيّر المولى محمد إذا التخلّي عن هذا الجيش المتنطّع والشغوف وتوثيق الروابط بالمجموعات القبلية عوضا عن البقاء رهينة لهذا السيف ذي الوجهين.

وقام بإعادة النظر في التنظيم الجبائي والتركيز على مصادر أخرى تدعّم مداخيل الدولة، من ذلك كان الاهتمام الواسع بالتجارة الخارجيّة فعقد المعاهدات مع الدول الأوروبية واهتم ببناء المواني وتحديثها وأصبحت المكوس القمرقية تمثل أهم مصدر لمداخيل الدولة.

هذا واقترنت هذه السياسة باعادة تنظيم الجهاز المخزني فكان الرجوع في ذلك الى المخزن المريني وبرز الوزير كعضد أيمن للسلطان.

ولم تمنع النهضة ولا الاستقرار اللّذان عرفهما المغرب الأقصى في عهد مولاي محمد من قيام ابنه اليزيد عليه والرجوع بالبلاد مرّة أخرى الى حرب السلالات.

ولئن فشل اليزيد في افتكاك السلطة فانه تمكّن منها ابّان موت أبيه وهو ما زال بحرم الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي تحصّن به عند فشل تمرّده.

ورغم قصر مدّة حكمه 1790 ـ 1792 فان عهده لم يخل من أزمات حيث ثارت عليه قبائل الحوز وبايعت أخاه المولى هشام. لكن الفتنة الكبرى التي اعادت طرح قضية مشروعية السلطة، بالتوازي مع ظاهرة التمرّد القبلي، اندلعت اثر مقتله بمراكش حيث انقسمت البلاد بين أولاد سيدي محمد الثلاثة، فبايع أهالي الحوز ومراكش المولى هشام، أما بلاد الهبط فبايعت المولى مسلمة في الوقت الذي بايعت فيه فاس وأعمالها المولى سليمان.

وتمكن المولى سليمان الذي بويع في فاس سنة 1792 من السلطة، «مطلوبا لا طالبا ومرغوبا لا راغبا» وتجاوز الازمة نسبيا بعد افشال تمرّد أخويه ونجح في التقريب بين القبائل لا سيما قبائل الحوز، لكن السيادة العلوية لم تسترجع اشعاعها الا بعد انتصاره على الاتراك بوجدة وافتكاك المدينة من ايديهم في سنة 1796.

ومع نهاية حكم المولى سليمان 1822 وبداية حكم السلطان عبد الرحمان بن هشام، دخل المغرب في طور جديد بدأ فيه المدّ التصاعدي للتأثيرات الأوروبية وأصبح من الصعب الحفاظ على العلاقات التقليدية المتمحورة حول القرصنة والمعاهدات.

فالصدمة الخارجية هذه المرّة هي التي ستغيّر جذريا المعادلات الداخلية، ومع احتلال الجزائر ستصبح مسألة تحديث الدولة مسألة حياتية رغم أن صمود الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري سيؤجّل ذلك الخطر لبضع سنوات.

ورغم تواصل الخطاب القديم حول اسبقية الجهاد، ومحاولات السلطان عبد الرحمان إحياء النشاط القرصني، فان الظرفية الجديدة ستفرض إعادة النظر في كل شيء بما في ذلك الخطاب الديني ذاته الذي سرعان ما أصبح يبرّر الهدنة والتكيّف مع ميزان القوى الجديد وبذلك يدخل المغرب الأقصى في القرن 19 في جدلية المقاومة بردود الفعل الاصلاحية الدفاعية .

الفصل الثاني

الأتراك العثمانيون بالمغرب الأوسط



I ـ الاستنجاد بالقراصنة العثمانيين وتحول المغرب الاوسط الى ايالة عثمانية

انتصب الاسبان على سواحل المغرب الأوسط، فركزوا حامياتهم بالموانئ وسيطروا على مجاله البحري بحيث سقطت المدن الواحدة تلو الأخرى دون أن تتمكن السلط القائمة من المواجهة نتيجة الضعف المتأصل وتقلّص قاعدتها الترابية والبشرية والاقتصادية.

وبالفعل، فقد فشلت تلمسان في توحيد بلاد المغرب الأوسط على اثر ما حلّ ببني زيان من ضعف وتناحر وما تلى ذلك من انهيار ملكهم بعد تقلّص تجارة تلمسان مع المغرب [illegible]

وفي الجزائر استقلّ الش[illegible]ا في ذلك إلى عصبية قبيلته «الثعالبة» من [illegible] الارستقراطية التجارية ذات الاصول الاندلسـ[illegible] على تجارتها وحرفها.

كما استقلت تينس ([illegible]es) [illegible] مولاي عبد الله الحفصي الذي رفع شعار الاستقلال وتوسّع بنفوذه الى عنّابة والكولو.

أما الفضاء الريفي، فقد تقاسمته القبائل المتجمعة في عدّة صفوف بزعامة قبيلة أو عائلة متنفّذة ومن أبرزها قبيلة النمامشة في منطقة تبسّة، وزناتة في الأوراس والذواودة برئاسة الشيخ بوعكاز في الحضنة، وسيطرت عائلة بن جلأب على واحات وادي الغير، بينما تنفذت عائلة المقراني حول قلعة بني عباس.

وكونت القبائل البربرية فوق الجبال والمرتفعات مناطق منيعة، منعزلة ومستقلة يصعب الاقتراب منها.

في خضم هذه الفوضى وهذا التفكّك، تحرك السطول الاسباني مستهدفا موانئ المغرب الأوسط، الذي فقد كل قدرة على المقاومة والمواجهة.

ليس من الغريب وأوضاع البلاد على تلك الحالة، أن يبرز القراصنة العثمانيون بقدراتهم الحربية ومهاراتهم البحرية كقوة بديلة قادرة على التصدّي والمواجهة.

وبسرعة فائقة اتخذ النشاط القرصني أبعادا جهادية طبعت صورته الايجابية المخيال الجماعي، فبرز القرصان الملقب بالغازي كبطل يتسارع الاهالي بأعيانهم لتبجيله وربما لتقديسه.

إنه جيل جديد من القراصنة أنجبته الظرفية الجديدة، وكان خير ممثل لهذا الجيل، الأخوان عروج وخير الدين.

ولئن كانت الغنيمة وراء تحول عرّوج من الحوض الشرقي الى الحوض الغربي للمتوسط، فإنه استجاب أيضا بدون تردّد لنداءات موريسكي الاندلس الفارين من محاكم التفتيش ومن القمع المسيحي، فأصبح مثالا للبطل الايجابي وتسارعت مدن المغرب الأوسط للاستنجاد به لتخليصها من السيطرة المسيحية.

لقد وجد عرّوج في ميناء حلق الوادي أحسن قاعدة لتحركاته القرصنية ـ الجهادية، فركّز فيها قوته بموافقة السلطان الحفصي الذي كان يحظى بخمس الغنيمة، فأصبحت حلق الوادي ملجأ لمراكبه ومشتى لرجاله.

فجمّع رجاله، وأعدّ ذخيرته وعتاده وانطلق بسفنه لإجلاء الإسبان عن بجاية وعن جيجل في 1514 وفي السنة الموالية خلّص مدينة شرشل، ثم تبعتها مدينة الجزائر سنة 1516. تلك الانتصارات الحاسمة التي حققها «بطل البحر» على الاسبان، أذكت فيه طموحات سياسية خطيرة.

ومن منقذ تحول «الغازي» بسرعة الي حاكم فرض سلطانه على أعيان وأمراء مدن المغرب الأوسط المستنجدين به ولعل من أبرز الأدلّة على التحول في شخصية عرّوج وأهدافه، ذلك الصراع الذي كان له مع حاكم الجزائر سليم التومي ثم مع حاكم تلمسان.

هذا وتشير المصادر الى ان مقتل عرّوج في الحصار الاسباني على تلمسان سنة 1518، مهّد له الي حدّ كبير انقلاب أعيان المدينة وشيوخها عليه.

مات عرّوج وهو ملك على مدينة الجزائر وقد أرسى دعائم قويّة لمواصلة المواجهة الاسلامية للخطر المسيحي على الأراضي المغاربية.

ولئن قتل عرّوج دون ان يصل بذلك المسار الى نهايته، فقد ترك وراءه رصيدا «جهاديا» ذا وزن وغزاة محنّكين، فكان أخوه خير الدين الذي تمرّس على يديه وعمل معه طويلا خير خليفة له،فاتّعظ بتجاربه واستخلص الدروس من فشله.

لم يتردّد خير الدين في ضمّ «ملك» أخيه الى الامبراطورية العثمانية، وطلب حماية السلطان العثماني بعد أن أبهر شيوخ الجزائر وأعيانها باقتراحه.

هكذا إذا، وبدون تخطيط رسميّ مسبّق، اتّسعت أرجاء الامبراطورية العثمانية الى غربي المتوسط لتزاحم الامبراطورية الاسبانية في بحرها وتنتزع منها السواحل المغاربية.

فرفعت راية السلطنة على مشارف المدينة، ونودي على منابر مساجدها باسم السلطان، وتحوّلت بذلك الجزائر الى ولاية عثمانية وعين خير الدين بيلر بايا عليها منذ 1519.

انطلاقا من ولاية الجزائر عمل الأتراك على توسيع النفوذ العثماني في منطقة المغرب والتصدّي الى الحملات الاسبانيّة وأسندت مهمة انجاز المشروع الى خير الدين، بعد أن مكنه السلطان من فرمان التولية ومدّه بألفي جندي إنكشاري وأربعة آلاف مقاتل وذخيرة حربية هائلة.

ولتثبيت نفوذه وتركيز البناء العثماني، كان عليه أولا أن يجمع شتات منطقة المغرب الأوسط ويوحّد مناطقه ومجموعاته المنفصلة ويخضعها لسلطته.

وكان من الصعب ان تقبل القوى الانفصالية المتنفذة في مناطقها الخضوع للحكم الجديد، فالتجأ خير الدين الى المواجهة المسلّحة ومقاومة النزعات الاستقلالية.

وأولّ تلك المواجهات كانت مع زعيم بلاد «القبايل» إبن القاضي ومع أمير «كوكو» الذي جمّع أتباعه لافشال مشروع خير الدين.

ونجح ابن القاضي في مرحلة أولى فسدّد ضربات قاسية الى خير الدين الذي أجبر على ترك مدينة الجزائر مؤقتا والاحتماء بجيجل.

استغلّت مدن شرشل وتنس هزيمة خير الدين هذه واستعادت استقلالها.

وأمام هذه الصعوبات، اضطرّ خير الدين الى عقد تحالفات ظرفية مع عائلة المقراني التي ارتكزت في قلعة بني عبّاس، لتطويق خصمه ابن القاضي، ومكّنه ذلك التحالف من استعادة مدينة الجزائر سنة 1525 ثم استعاد نفوذه بشرشل وتنس بعد أن انتصر على ابن القاضي.

وما ان تخطّى خير الدين تلك العقبة حتى حولّ أنظاره الى الحامية الاسبانية المتمركزة بحصن البينون، فوجه نحوها مدفعيته يوم 27 ماي 1529، وحقّق انتصارا خلّص به الجزائر من الضغط الاسباني وأخطاره.

لقد فتح ذلك الانتصار عهدا جديدا للمغرب الأوسط، الذي دخل المرحلة الحديثة، وبدأت تبرز ملامح الجزائر «الحديثة» بفضل تحولّ السلطة القرصنية ـ الجهادية الى سلطة تفويض عثماني.

II ـ السلطة العثمانية بالجزائر : مسار السلطة «المستوردة»

1 ـ من سلطة التفويض المباشر الى سلطة الولاية

إنضمت الجزائر الى الامبراطورية العثمانية واصبحت «وجقا» أو ولاية، فوّض السلطان حكمها للبيلرباي الذي وضع على عاتقه مسؤولية

توسيع النفوذ العثماني في هذه البلاد الاسلامية النائية، والتصدي للعدوّ المسيحي المجاور، فكانت ولاية متميّزة وحاكمها ذا رتبة عالية.

تشكلت سلطة الولاية حول البيلرباي وارتكزت على قوة سلاح الانكشارية، ولئن عمل خير الدين على تشريك الاهالي في اتخاذ قرار ضم الجزائر الى الفضاء العثماني فقد غيّب الطرف المحلي في تشكيلة سلطة الولاية التي كانت مستوردة كليا مديرة ظهرها لدواخل البلاد ومجموعاتها، متجهة الى البحر مصدر ثرواتها وطاقاتها البشرية المتجدّدة.

امتازت فترة البيلربايات، التي ركزت فيها أسس ودعائم الحكم العثماني في هذه البلاد، بمتانة الروابط بين الولاية ومركزها رغم ما امتاز به جلّ البيلربايات من قوة شخصية وقدرات حربية بارزة. فقد انتمى أغلبهم الى طائفة البحر ورجال الحرب فكانوا أحسن مدافعين عن النفوذ العثماني في المنطقة المغربية وأحسن ممثلين للسلطان. فقاد خير الدين ومن تبعه من البيلربايات امثال حسن آغا وحسن باشا وصالح رايس وغيرهم، بكل بسالة الحملات المتتالية ضدّ القبائل العتيدة في الصحاري وعلى المرتفعات وضدّ الحفصيين وحلفائهم الاسبان. وما إن أوشك القرن السادس عشر على نهايته حتى ثبت النفوذ العثماني وتركّز نهائيا في بلاد الجزائر وفي طرابلس وفي تونس.

خشي السلطان انفصال هذه الولاية المتميزة واستقلال حاكمها البيلرباي ذي الصلاحيات الواسعة فقرّر التقليص من نفوذ هذا الحاكم بأن حوّله الى باشا شأنه شأن حكّام ولايتي طرابلس وتونس.

دشنت سنة 1687 فترة الباشوات التي وإن كانت تواصلا للفترة السابقة فقد كشفت عن مؤشرات تحوّل بارز للسلطة العثمانية بالولاية.

لم يترقب رياس البحر وضباط الانكشارية طويلا للاستحواذ على السلطة. فقد كان الباشا، مبعوث السلطان وممثله في الولاية، ضعيف الشخصية محدود القدرات بالمقارنة مع البيلرباي. وبسهولة استحوذت الطغمة العسكرية المتمركزة في البلاد على النفوذ وأفرغت منصب الباشا من

محتواه. فوصل الأمر ببعض رياس البحر مثل علي بتشين (رئيس الطائفة بين 1630 و1646) الى تحدّي السلطان وتحريض الأهالي على الثورة على الباشا الذي تمّ إيقافه.

وتدرّج هذا التوجه بالولاية نحو حكم ذاتي دون ان تقطع الخيط الرابط بالمركز العثماني.

لقد استمدّت قيادة الديوان مثالها من ولاية تونس فكان انقلاب الجند سنة 1591 وما انتجه من تحوّل على مستوى السلطة بولاية تونس أحسن مثال تقتدي به، فكانت سنة 1659 سنة التحوّل ولدت فيها سلطة الولاية بعد أن انتزع النفوذ من الباشا ممثل الباب العالي وأسند الى قيادة الديوان ممثلة في شخص الآغا أولا فالداي في مرحلة ثانية.

ولئن احتفظت سلطة الولاية بصفتها العثمانية المستوردة فقد وضعت حدًا لسلطة التفويض المباشر وتمكنت من صنع قرارها السياسي بذاتها وعلى أرض الولاية نفسها.

لقد عرفت هذه السلطة تحوّلات لكنها رغم تعددها لم تخرجها من إطارها العسكري ـ الفئوي، بحيث تداول على قيادة البلاد الآغاوات ثم تلاهم الدايات ممثلو رياس البحر ومن بعدهم الدايات ممثلو ضباط وجق البرّ.

وفي الوقت الذي كانت فيه السلطة المركزية باسطنبول تواجه مشاكل عديدة كانت الطائفة العسكرية بالجزائر تتقوى على حساب الباشا الذي عجز عن ضرب التمرّد القبلي الذي أخذ أبعادا خطيرة مع نهاية القرن 16.

لقد وصل هذا التمرّد بالقبائل الى مهاجمة مدينة الجزائر في 1598 وتسجيل انتصار على الأتراك أدّى بالسلطان الى طلب الباشا مصطفى آغا وسجنه باسطنبول لفشله في اخضاع بلاد «القبايل».

سجّلت القبائل المستعصية سلسلة طويلة من الثورات خلال النصف الأول من القرن 17 انطلقت من بلاد «القبايل» واتسعت الى منطقة قسنطينة ومنطقة الجنوب، هدّدت بصراحة النفوذ العثماني بالجزائر خاصة وأن التصعيد القبلي الذي وصل الى أوجه في السنوات 1640ـ 1644 قد نجح في تطويق

مدينة الجزائر واستعصى على الباشا جمال يوسف ضرب التمرّد مما شجع قبائل الانزال العسكري الضخم الذي قضى على قلعة بني عباس، حصن قبائل الحضنة، وعلى رموزها.

لقد شعر ضباط الانكشارية بخطورة الوضع وما أصبح عليه النفوذ العثماني من ضعف بعد تسرّب حالة التذمّر والرفض الى أوساط واسعة من مدينة الجزائر وحمّلوا مسؤولية ذلك التّردي للباشا الذي لم يكن في مستوى متطلبات الظرف.

وكان تجرّؤ الباشا على فرض استخلاص إضافي على عائدات القرصنة الذريعة لاندلاع نار الانتفاضة في 1659، فكانت مقتلة أوقف فيها الباشا واعلن الانكشارية اسناد مقاليد السلطة للديوان برئاسة الآغا.

بذلك تحوّلت ولاية الجزائر من وضع «الباشاليك» والتبعية العضوية للمركز العثماني الى وضع «الجمهورية العسكرية» التي وان حافظت على روابطها باسطنبول فقد جسّمت سلطة الولاية في قرارها ورجالها.

لكن التباينات داخل الطائفة العسكرية نفسها وموازين القوى داخلها حالت دون تركّز السلطة في يدي الآغا وافتكّها «ريّاس» البحر أصحاب القرار الاقتصادي.

لم تكن العملية صعبة على وجق البحر والقرصنة غذاء السلطة الأساسي ونشاطها الرئيسي، واغتنم «ريّاس» البحر هزيمة السفن الجزائريّة أمام السفن الانقليزية للثورة على الآغا الحاج علي سنة 1671 وتحميله واعضاء الديوان مسؤولية الهزيمة بعد ان هادن القوى الأوروبية وضعف امامها عندما وقّع المعاهدات التي ضيقت نشاطهم القرصني.

فهوجم قصر الجنينة وأوقف الآغا الحاج علي وقتل وعيّن «ريّاس» البحر دايا من بينهم.

لقد أفرز هذا التطابق بين النفوذ الماديّ والنفوذ السياسي سلطة قوية هيمنت على جاراتها وتنفّذت في البحر وهابتها كل الأطراف. ومن الطبيعي ان تنقلب الأوضاع ويفتكّ القرار السياسي من أيدي وجق البحر

ورياسه عند تراجع عائدات البحر وتأزم النشاط القرصني. فمثلما كان النفوذ الاقتصادي سببا في سيطرة رياس البحر على الحكم، كان ضعفه سببا في ازاحتهم من السلطة.

ودون أن يخرج النفوذ السياسي من دائرة الطغمة العسكرية العثمانية تحوّل القرار السياسي من وجق البحر الى وجق البر وأصبح الداي يعيّن من طرف هذه المجموعة العسكرية التي استغلت أزمة القرصنة وما سبّبته من تحوّل في موازين القوى ووجّهت أنظارها وجهازها نحو دواخل البلاد لتنظيم الجباية وإحكام السيطرة على المجموعات لتوفير موارد كافية وقارّة للخزينة.

تشكلت «السلطة الحديثة» بالجزائر عبر هذا المسار ومكنتها مختلف هذه المحطات من تدعيم ذاتها واستقلاليتها تجاه الباب العالي بحيث سار الدايات على نهج الحكام المستقلين فعقدوا المعاهدات وأبرموا الاتفاقيات دون الاكتراث بالسلطان والباب العالي المرجع الأصلي لسلطتهم. هذا وكانوا يعتبرون أنفسهم حلفاء لاسطنبول أكثر من أتباع أو ممثلين لسلطانها، ورفضوا في العديد من المرّات الاعتراف بمعاهدات وقعها السلطان العثماني مع أطراف أروبية، مثل المعاهدة التي ابرمت مع فرنسا سنة 1684.

وإن لم تقطع رسميا روابط التبعية مع اسطنبول فقد تجرّأ الداي علي شاوش على منع مبعوث السلطان الباشا شركان ابراهيم من الدخول الى الجزائر سنة 1711 بتعلّة تسببّه في إثارة القلاقل، وحملت مسؤولية الازمة والاضطرابات التي عاشتها الجزائر في أواخر القرن 17 على السلطان الذي ابرم المعاهدات دون مراعاة مصالح الولاية، مثل معاهدة 1684 التي أدّت الى قصف مدينة الجزائر من طرف القوات الفرنسية.

فكان قرار الديوان ايقاف «استيراد» الباشوات من اسطنبول خطوة جديدة في مسار الاستقلالية دعّمت كيان الولاية وفرضت على الباب العالي قبول الأمر الواقع وتحويل المنصب الى الداي الذي تضاعف لقبه بلقب الباشا منذ ذلك التاريخ.

2 ـ السلطة المنفصلة ونهاية المسار

حدّدت طبيعة السلطة وبرزت توجهاتها منذ بداية المسار ولم تؤثر التحوّلات التي عاشتها أي تأثير على جوهرها، فكانت طوال المرحلة سلطة مستوردة متمسّكة بنقاوة أصلها وبمميزاتها حريصة على طابعها العسكري درعها الواقي من المجتمع المنفصلة عنه والمتسلطة عليه بجبايتها الضّارية.

تمركزت هذه السلطة وثبتت بمدينة الجزائر التي تحوّلت الى مدينة في شكل دولة تغذت وازدهرت بخيرات البحر فتضخم دورها وبرزت طوال القرن 17 كقطب محوري تعالت بطغمتها العسكرية على المجموعات المحلية واستضعفت جاراتها فمارست هيمنتها بشتى الطرق والوسائل. وهي وضعية زادت في انغلاق الطائفة العسكرية العثمانية الحاكمة وتقوقعها وجعلتها تتمسك اكثر بأسلوب وشكل ممارستها للسلطة.

قسمت البلاد بمجموعاتها الى بايليك اسندت قيادتها الى البايات الذين عينهم الداي من أقرب رجاله وفوّض لهم مسؤولية جباية الأوطان وتمهيد المجموعات المستعصية فوضع تحت تصرفهم المحال.

هذا وقد اتخذ الداي احتياطات عديدة لابقاء البايات تحت نفوذه المباشر وتجنّب كل محاولات التمرّد، فبالاضافة الى اخضاع المنصب الى التجديد المتواصل وابعاده عن الوراثة حرص الداي على استجلاب الباي الى الجزائر العاصمة لتقديمه «الدنوش» بصفة منتظمة وحسب تقليد معهود. وكانت لهذه العملية ابعاد رمزية كبرى تؤكّد نفوذ الداي وتبعية الباي له وتذكّر بوجود سلطة مركزية رغم غيابها في الأوطان فضاء البايات.

في الوقت الذي حصر فيه الداي نفسه «بقصر الجنينة» وتوقف نفوذه المباشر عند حدود دار السلطان معتزلا المجتمع المحلّي، كان الباي يجوب الأوطان ويباشر خلاص مجابيها متحالفا مع نخبها ومتصارعا مع مستعصيها حتى تقوى نفوذه وتزايد خاصة في القرن 18 بعد تقلّص عائدات القرصنة وفقدان الطغمة العسكرية لأهم ركيزتها المادية وانكماش مدينة الجزائر وتضاؤل إشعاعها.

وإن لم يتوصل البايات، وأهمّهم باي قسنطينة وباي الغرب، الى قلب الأوضاع وإعادة هيكلة السلطة، فقد تجاوزوا نفوذهم المحدّد وتحاوروا مع السلط المجاورة بندّية ودخلوا معها في حروب وصراعات عديدة.

إنّ هذه الوضعية أقلقت الدايات وأدّت بأقدرهم وهو محمد بن عثمان 1766 . 1791 الى محاولة استرجاع ما خسره الدايات من نفوذ. وفهم هذا الداي الخلل الهيكلي الذي كان ينخر هذه السلطة فقرّر تحويرها بتعيين نفسه ملكا على الجزائر.

لكن طموحاته تجاوزت امكانيات الفئة العسكرية العثمانية الحاكمة فكان من الصعب أن تنجح في ظروف تعمّقت فيها عزلة الطائفة التركية واحتدّت قطيعتها مع المجتمع المحلّي وتآكلت من الداخل.

فشل الداي محمد بن عثمان في ما خطّط له من إعادة بناء للسلطة العثمانية بالجزائر وأبقى على ذات الوضع حتى قدوم الجيش الفرنسي وتحويل السلطة الى الفرنسيين.

ليس من قبيل الصدفة ان تكون سلطة الدايات بالجزائر أولى سلطات المغرب المستهدفة من قبل الاستعمار الأوروبي، ولم يكن أيضا من باب الصدفة أن يصمد بايليك قسنطينة ويتصدّر الباي الحاج أحمد قيادة المقاومة ضدّ الفرنسيين.

إن الشعور بالتفوق والتعالي الذي تمسّكت به الطائفة العثمانية بالجزائر وحدّد سلوكها السياسي، لم يكن ليسمح بالانفتاح على المجتمع المحلي وبإفراز سلطة بامكانها تثبيت جذورها في البيئة المحلية مثلما حدث في الإيالة التونسية.

إن السياسة الفئوية . الاثنية الّتي مارستها الطغمة العسكرية العثمانية لم تشمل المحليين فحسب، بل شملت أيضا الكورغليّة الذين وان التجأت اليهم السلطة في أصعب ظروفها وقبلت بانخراطهم في الجندية فانهم لم يصلوا الى نفس المرتبة ولم يعرفوا نفس الاعتبار الذي عرفه ذوي الأصل النقي.

وحتى المخازنية الذين عززوا صفوف المحال وتنامى دورهم مع اتجاه السلطة نحو دواخل البلاد لتغطية عجزها الخارجي ولاحكام السيطرة على المجموعات، فلم يتجاوزوا المرتبة التكميلية والاحتياطية.

أمّا القيادات المحلية سواء كانت صاحبة النفوذ الديني أو النفوذ المادي فكان التعامل معها وقبولها على أساس تمرير المشروع السياسي العثماني الذي احتكرته الطغمة العسكرية.

مع مطلع القرن التاسع عشر تصدّعت أجهزة الحكم ودخلت السلطة في دوامة التناحرات الداخلية والاغتيالات لا سيما اثر اغتيال الداي مصطفى باشا سنة 1805 حيث تعاقب ثلاث دايات على السلطة في ظرف أربع سنوات. واقترنت هذه الاضطرابات داخل جهاز السلطة بظرفية اقتصادية صعبة أحيت من جديد أجواء الحركات الاحتجاجية والتمرّدات الداخلية.

وبرزت من جديد الحركات الصوفية الاحتجاجية لتؤطر التذمّر وتوجّهه، فلعبت الطريقة التيجانية والطريقة الدرقاوية دور المحرك والمنظّم لاحتجاج الاهالي وغضبهم. ولعلّنا نلمس في هذا الحضور الطرقي النشيط الجذور الثقافية والبوادر الأولى للوعي الوطني الجزائري لا سيما في تلمسان مركز اشعاع الطريقة الدرقاوية التي استغلت التمرّد ضدّ الأتراك لمبايعة سلطان المغرب ورفع راية الولاء لشرعية الشرف الديني.

هذا الانفصام الهيكلي بين السلطة والمجتمع حدّد في الجزائر مسار السلطة العثمانية نحو التهميش ثم الإلغاء نهائيا اثر الاحتلال الفرنسي سنة 1830.

الفصل الثالث

تونس : من التبعية للعثمانيين
الى تشكّل السلطة «الحديثة»

I ـ انهيار الدّولة الحفصيّة والصّراع العثماني ـ الإسبانيّ

بعد قرون من الإستقرار، لم تصمد الدولة الحفصيّة أمام موقف الإنكماش والأزمة. فبعد أن تدعّم نفوذها واتسع إشعاعها خارج إفريقية وبعد أن ضمنت الولاءات القبلية والسلالية في المغرب الأوسط وحتى المغرب الأقصى على إثر الإستفاقة التي عاشتها في أيام عبد العزيز أبي فارس 1393 ـ 1434م وأبي عمرو عثمان 1435 ـ 1488م، دخلت السلطة الحفصية في آخر طورها، ولم يحل القرن السادس عشر حتى بدأ مسار الإنهيار والتفكك. فكان التفكك السياسي الذي شهدته الدولة الحفصية، مثل الذي شهدته من قبل الدولة الوطاسية في المغرب الأقصى، انعكاسا لتراجع المجتمعات نحو البداوة وسيطرة الإقتصاد الرعوي وتصاعد الحرابة القبلية مقابل تراجع الحركة التجارية والإقتصاد النقدي بعد سيطرة أوروبا على الملاحة البحرية واحتكارها الطرق التجارية. وإبان موت السلطان الحفصي عثمان، عمت الإنتفاضات الداخلية، وبدأت المدن والمجموعات تنفصل الواحدة تلو الأخرى عن مركز السلطة بتونس، من ذلك عنابة، قابس، صفاقس، تلمسان ثم طرابلس فبجاية فقسنطينة.

واستغلت الطريقة الشابية المنتصبة بالقيروان هذا الضعف الحفصي لتؤطر الفصائل القبلية المرتدة وعلى رأسها قبيلة الحنانشة. هذا وقد عرف إشعاع الحركة الشابية أوجهه في ايام الإمام عرفة الذي آلت إليه الطريقة على إثر وفاة والده أحمد بن مخلوف سنة 1482 بحيث سيطرت على أغلب المجال القبلي السياسي وشكلت سلطة زاحمت سلطة الحفصيين وعجلت بانهيارها في ظرف تكاثف فيه الضّغط الإسباني ـ العثماني على منطقة المغرب العربي.

انطلاقا من الجزائر تحرك القائد التركي خير الدين نحو السواحل التونسية، واستهدف أولا بنزرت فدخلها بسهولة ودعا على منابرها للسلطان العثماني.

ومن بنزرت اتجه الى حلق الوادي ودخل تونس حيث استولى على قصبتها بعد فرار السلطان الحسن الحفصي الذي اتجه الى دواخل البلاد بحثا عن سند لدى المجموعات القبلية.

أما عن مواقف الأهالي من تدخل خير الدين فإن المصادر متضاربة، فمن خلال ما يورده ابن ابي دينار في كتابه «المؤنس ...» مثلا، تبدو المواقف متباينة من فئة إلى أخرى، ففي حديثه عن فئة العلماء المحليين، يفيدنا بأن خير الدين نفى من تونس العالم ماغوش بينما أعطى امتيازات لعائلة عظوم، مما يشير الى أن مواقف العلماء كانت بدورها متباينة.

وفي حديثه عن أهالي باب سويقة يشير الى تأرجح مواقفهم بين القبول والرفض ونفس الظاهرة نلاحظها في مواقف الأهالي من السلطان الحفصي المعزول، حيث سرعان ما انقلب موقف التضامن والمساندة الى موقف رفض وفرار بعد أن حذّرهم خيرالدين المنتصر.

إنّ عدم الاستقرار يعكس في اعتقادنا تفكك البنى الاجتماعية وتلاشيها وما نتج عن ذلك من غياب قنوات تضمن حداً أدنى من التماسك والانسجام لدى سكان المدن، وعودة الأرياف الى أجواء «الحرابة» القبلية.

هناك مصادر أخرى تركز على القطيعة بين الأتراك والأهالي، إذ تذكر احدى المصادر السعدية وهي رحلة التمجروتي المعروفة «بالنفحة المسكية في السفارة التركية»، أن الاتراك «طغوا وتجبّروا وافتكوا أراضي الأهالي وأضروا بهم أيّما ضرر مما جعل سكان طرابلس يشتاقون الى ملك شريف» وإذا كان الاحتراز يفرض نفسه أمام خطاب رسمي سعدي معاد للأتراك، فإنّ أبحاثا جديدة تركز على واقع التوتر وحتى التصادم بين المجتمع المحلي برموزه من جهة والأتراك الأوائل من جهة أخرى، فتشير سيرة الولي أبي الغيث القشاش

من خلال مناقبه، الى سياسة الاتراك المتشدّدة والضاغطة على الفئات المحلية ورموزها.

أما السلطان الحفصي، فقد فشل في محاولة استرجاع ملكه بالاعتماد على القوة القبلية وكانت محاولته الثانية حول القيروان مآلها الفشل أيضا حيث تمكن خير الدين من الانتصار عليه بسهولة. فبالإضافة إلى تمرد القيروان وقبائلها ومآزرتها الطريقة الشابية الطامحة للسلطة فالقوة الحربية العثمانية كانت لها اسلحة متطورة تضاف الى التنظيم العسكري العالي.

استغل خير الدين وضع القيروان وركز حاميته بالمدينة فكانت رمزا لتحالف ظرفي عثماني ـ طرقي، سرعان ما تحول الى توتر وصدام. فالحركة الشابية التي أسست سلطة قاعدتها القيروان كانت مشروع دولة دينية ـ سياسية في أجواء الفراغ المؤسساتي بداية من 1534، غير ان قدرة القوة التركية على الصمود والتكيف من جهة، والتباين الثابت والمتأصّل بين المجتمع الحضري والمحيط البدوي من جهة أخرى، حالا دون نجاح مشروع الشابيين المستند الى أرضية قبلية غير متماسكة والى حيز جغرافي ضيق ومعزول.

فلم تتوفر في تونس الشروط التي توفرت في المغرب الأقصى حيث وجدت الطريقة الجزولية، كمنظومة تصوفية جهادية قبائل متماسكة فوحّدتها تحت شعار مقاومة الخطر المسيحي، ووجدت في السعديين رموز الشرف فرفعتهم فوق القبائل كأمراء اكتملت شرعيتهم.

وبعد الفشل الذي مني به السلطان الحفصي أمام قوة خير الدين، لم يعد أمامه سوى الالتجاء الى القوة الاسبانية والاستنجاد بها.

واستغل الإسبان الفرصة للانتصاب والتمركز بالسواحل الشرقية للمغرب، على إثر حملة شارل الخامس Charles Quint على حلق الوادي سنة 1535 والتي تراجع على اثرها خير الدين الى مواقعه بالجزائر، واستعاد الحفصيون ملكهم لكن تحت الحماية الاسبانية.

أبرمت معـاهدة أوت 1535 التي حولت البلاد الى شبه مستعمرة اسبانية، احتفظ الحفصيون فيها بسلطة «شرفية» وسلّمت حلق الوادي للاسبان ومنعت الموانئ على القراصنة الأتراك واعطيت الامتيازات الى المسيحيين في مجالات التجارة وأصبح السلطان الحفصي رمزا «للخيانة» لدى الأهالي خاصة بعد أن أباح للاسبان مدينة تونس.

لكن الحماية الاسبانية لم تمكن السلطان الحفصي من توسيع نفوذه الى دواخل البلاد. وبقيت القوة الشابية المعارضة متنفذة في القيروان فطردت الحامية التركية في المدينة سنة 1538وأفشلت المحاولة الحفصية لاسترجاع المدينة سنة 1542.

وعن طريق القرصان درغوث رايس الذي انطلق من جزيرة جربة وافتك طرابلس من فرسان مالطة تمكن العثمانيون من وضع أقدامهم من جديد في افريقية بداية من 1556.

ونجح درغوث على التوالي في اخذ قفصة في 20 ديسمبر 1556 والقيروان في 27 ديسمبر 1557 حيث وجّه ضربة قاضية للشّابيين، وركز بها حامية تحت قيادة حيدر باشا، وبذلك مهّد الى الحملة التي قادها قلج علي سنة 1569.

وفي المقابل مثّلت حملة دون جوان دوتريش Don Juan d'Autriche سنة 1571 آخر المحاولات المسيحية الجديّة لطرد العثمانيين من تونس.

استفاقت الدولة العثمانية على نتائج الحملة المسيحية، التي تلت هزيمة الأسطول العثماني في معركة ليبانتي Lepante سنة 1571 وتحسست الأخطار المستهدفة لوجودها بالمغرب وكانَ لتلك الاستفاقة صداها في ردّة الفعل العثمانية وحجمها.

لقد كانت الحملة العثمانية لسنة 1573 في مستوى التحديات المسيحية. فقاد الجيش العثماني الصدر الأعظم سنان باشا، وحققت الحملة انتصارا ساحقا على الاسبان ودخلت تونس نهائيا ضمن الفضاء العثماني.

II. الاستقرار العسير للسلطة العثمانية

مرّ الوجود العثماني بعدّة مراحل من حيث أشكال تنظمه وتفاعله مع المجتمع المحلّي ونوعية مؤسساته وطبيعتها، وبصفة عامة فان السلطة العثمانية تطورت عبر عدّة أزمات من أشكال التمثيل المباشر والتفويض الى نظام عسكري فتأسيس سلطة وراثية مستقلة تتماشى مع النمط الملكي.

1 - سلطة الباشوات :

مثلت سنة 1574 تاريخ ضمّ البلاد التونسية الى الامبراطورية العثمانية فأصبحت بذلك ولاية عثمانية يحكمها باشا موفداً من مركز الخلافة لمدّة ثلاث سنوات، ورايتها هي راية السلطنة، والخطبة على منابرها تقام باسم السلطان العثماني. أما قاعدة هذه السلطة الجديدة فتمثلت في ذلك الجيش الانكشاري الذي تركه سنان باشا والذي ضمّ منذ البداية أكثر من ثلاثة آلاف جندي.

غير أن هذه التبعية لم تؤدّ منذ البداية مثلما كان الشأن في الولايات العثمانية الشرقية، الى تركيز علاقات استنزافية بين المركز والولاية، فلم تفرض على تونس أتاوات مثلما فرض على الولايات الشرقية، ولم يقسّم المجال الزراعي الى إقطاعات على ممثلي القيادات العسكرية. وكأنّ الولاية تمتعت منذ البداية بنوع من الاستقلال الاقتصادي عن المركز، وهذا الوضع الخصوصي يؤكّد لنا أن ولاية تونس مثل الجزائر كانت تحتل أهمية جغراسياسية بالنسبة للدولة العثمانية بحكم وجودها على خط المواجهة مع القوى المسيحية آنذاك.

إلا أن هذا الوضع لم يمنع قيام نظام اقتصادي جبائي لفائدة الطائفة العسكرية التركية في البلاد. فقد استغل الباشوات نفوذهم بالولاية للاثراء قبل مغادرة المنصب.

وعهدت إلى الباشا مهمة التمثيل السياسي للسلطان العثماني، فكان الرجل الأول في تراتبية الجهاز السياسي ـ العسكري العثماني بالولاية. لكن منذ البداية برزت ثنائية السلطة داخل هذا الجهاز. فإلى جانب الباشا صاحب القرار السياسي الأول نظريا، كان الآغا، رئيس الديوان صاحب القرار الميداني في ظرف تميّز بأسبقية المهام الحربية العسكرية، هذا بالإضافة إلى المحدودية الزمنية التي ميّزت فترة ولاية الباشا.

من الطبيعي أن يؤول هذا الوضع بسرعة إلى غلبة رؤساء الطائفة الإنكشارية وتحييد الباشا كحاكم سياسي وتهميشه وبالفعل سرعان ما تحوّل ديوان الانكشاريّة من مجلس عسكريّ أعلى له صلاحيات سياسيّة استشاريّة إلى هيئة عسكرية تنفيذية صاحبة القرار والنفوذ في كافة شؤون الولاية.

وبالرغم من أن الجهاز العسكري العثماني كان يستند إلى أحدث التقنيات الحربية كالأسلحة النارية والمدافع، وبالرغم من تدريبه ونجاعة تنظيمه، فإن شوكة القبائل كانت أقوى وكانت الغلبة في دواخل البلاد للحرابة والتمرّد.

وكما ذكر ابن ابي دينار في كتابه «المؤنس ...» فإن القواد الذين توزعوا في البلاد وخرجوا بمحالهم استحال عليهم تمهيد البلاد وقد استحوذ عليها الاعراب كأولاد سعيد بالوسط والجبالية امثال عمدون والوسلاتية وغيرهم. وبالاضافة إلى التحديات الداخلية واجهت الإدارة التركية بتونس تحديات خارجية على أطراف الإيالة من الحدود الجنوبية الشرقية والحدود الغربيّة، فكان ولاة طرابلس يمدون نفوذهم إنطلاقا من جربة حتى جهة صفاقس، وكان التنافس قائما بين ولايتي طرابلس والجزائر على حساب تونس.

تظافرت مجمل هذه العوامل لتحدّ من اتساع المجال الترابي للسلطة الجديدة، بصفة قلصت عائداتها وكشفت محدوديتها. فكان على الأتراك استنباط نظم جديدة وإعادة ترتيب أجهزتهم وهياكلهم بحثا عن نجاعة أكثر لاستكمال نفوذهم.

في هذا الإطار يمكن أن تنزّل انتفاضة الجند سنة 1591 وما ترتب عنها من إعادة هيكلة النظام التركي بتونس وبروز نظام الدايات.

2 ـ نظام الدايات :

كانت ولادة هذا النظام الجديد عسيرة وفي ظروف متأزمة، ففي سنة 1591 برزت بوادر أزمة ماليّة اقتصاديّة بدأت تعيشها البلاد والسّلطة الجديدة منحصرة في مدينة تونس وأهمّ المراكز الحضريّة فاستغلّ الجند هذه الظّرفيّة وقاموا بانقلاب عسكريّ في أكتوبر 1591.

لقد استهدف الانقلاب الذي قام به الجند، كبار الضباط وأعضاء الديوان من البولكباشيّة. وكان ذلك نتيجة لاحتكار القرار والامتيازات من قبل الطغمة العسكرية على حساب الجند والأهالي. وقد تفاعلت بعض الرّموز المحلية مع ذلك الانقلاب. التي اسفرت عن قتل البولوكباشية وتعويضهم في الديوان بضباط صغار «أوضباشية» تسموا بداية من أكتوبر 1591 بالدايات.

بعد نجاح الانقلاب انبثقت سلطة عسكرية وصفها بعض الباحثين «بالديمقراطية العسكرية». فانقسم الجيش الى مجموعات ترأس كل واحدة منها داي منتخب. وشكلت مجموعة الدايات، الديوان. وأصبحت بذلك القرارات داخل هذا المجلس جماعية كما أصبح التمثيل داخله قاعديا.

لكن هذه التجربة الطّريفة لم تدم إذ ظهرت داخل الديوان أحلاف و«أحزاب» حاول كل منها الانفراد بالسلطة وكانت أول محاولة ناجحة لعثمان داي سنة 1598. وبداية من هذه المحاولة تحولت سلطة الدايات بولاية تونس من «ديمقراطية عسكرية» الى «أوطوقراطية عسكرية» تمحورت فيها كل السّلط حول الداي.

لقد حقق الدايات، بداية من عثمان داي 1598 ـ 1610 الى أحمد خوجه داي 1640 ـ 1647 سلطة ذات سيادة في الداخل والخارج بالرغم من بقاء روابط التبعية للباب العالي.

فعمل عثمان داي على تركيز نفوذه بالبلاد بتوسيع رقعة نفوذ السلطة وقاعدتها الاجتماعية، ويتجلى ذلك من خلال تنظيم المحلّة، حيث أعطى لقائدها صلاحيات واسعة، فتمكن القائد رمضان باي بداية من سنة 1599 من قمع القبائل المتمردة ولا سيما أولاد شنوف واولاد سعيد وحملهم على دفع المجابي.

فبرزت سلطة الداي بالنسبة للمجتمع الحضري والمستقرين بالأرياف والقرى كسلطة قويّة أعادت الأمن والاستقرار وحدّت من غارات القبائل وبطشها.

وفي نفس الوقت الذي تواصل فيه النشاط القرصني بدعم مباشر من الدايات شهد التبادل التجاري مع البلدان الأوروبية بداية حركية. وفي اطار توسيع القاعدة الاجتماعية للسلطة عمل عثمان داي على ربط تحالفات مع بعض فئات المجتمع الحضري ولا سيما فئة الفقهاء والعلماء من أمثال عائلة عظوم، فضلا عن تشجيعه للجالية الأندلسية واستقطابها.

وبالرغم من هذه السياسة وهذا النجاح النسبي لعثمان داي فإن سلطته وسلطة الدايات من بعده كانت تعاني من ضعف هيكلي يتمثل في غياب قاعدة أو قانون ينظمان التعاقب على السلطة.

فقد بقي الانفراد بالسلطة أو الغلبة هي القاعدة، فانتقلت السلطة تبعا لذلك من عثمان داي الى يوسف داي 1610 ـ 1637 ثم اسطا مراد 1637 ـ 1640 ثم أحمد خوجة داي 1640 ـ 1647. ولم يقع الحسم في عملية انتقال السلطة. في تلك الظروف بدأت تظهر سلطة موازية ومنافسة للداي، تستند الى جهاز ردعي وجبائي ناجع ورصيد بشري محلّي في تزايد مطّرد ألا وهي سلطة البايات بمحلتهم.

III ـ البايات المراديون والتجربة الملكية الأولى

اقترن ظهور الباي بمهمة قيادة الأمحال وترويض القبائل وضمان ربح جبائي قار. ولئن كان القائد رمضان هو أول باي، عينه الدايات 1599 ـ 1613، فان هذه الخطة لم تسم ولم تبرز كمؤسسة قائمة بذاتها الا مع مملوكه

مراد كورسو، الذي عينه يوسف داي على المنصب اثر وفاة سيده في 1613، رغم الظروف الحرجة التي ميزت فترته لا سيما حرب تونس ضد الجزائر في 1628 حول قضية الحدود.

وقد تمكن مراد كورسو باني البيت المرادي من النّهوض بأعباء المنصب على أحسن وجه لا سيما قمع القبائل المتمرّدة كقبائل جبل وسلات وعمدون وأولاد سعيد وأولاد حمزة وأولاد بالليل وغيرها. وازداد نفوذه بالبلاد بحصوله سنة 1631 على لقب الباشا من الباب العالي ، فأصبح يمثل فعليا سلطة موازية لسلطة الداي. ففي الوقت الذي انحصر فيه نفوذ هذا الأخير في حاضرة تونس وضواحيها امتدّ نفوذ الباي الى دواخل البلاد وخافت القبائل سطوته فأذعنت للجباية والطاعة.

ولقد سعى مراد الأول الى تدريب ابنه حمودة على قيادة الأمحال واستخلفه في المنصب فبدأ بذلك يهيئ لولادة نظام سلالي.

واصل حمودة باشا المرادي نهج أبيه الّذي يقوم على قمع القبائل المحاربة الكبرى ولا سيما القبائل التي تعيش على أطراف البلاد وتخومها، من ذلك قمعه لأولاد سعيد المحتمين بالحامة وفكه الحصار عنها فيما بين 1635 . 1636 و شملت حملاته أيضا جبالية عمدون وأولاد شنوف بغرب البلاد وقبيلة ورغمة بالجنوب وذلك بعد سلسلة من الحملات العسكرية امتدّت من سنة 1631 الى حدود سنة 1645.

لقد مكنت هذه السيطرة الواسعة على دواخل البلاد وأوطانها الباي من مداخيل جبائية قارة دعمت نفوذ الباي وأمدته بامكانيات هامة استغلها في تنظيم مجال سلطته.

فقد قام بتطوير الجيش بأن طعّمه بعناصر خاصة من القبائل المخزنية الى جانب عسكر زواوة الذين استجلبوا من بلاد القبايل وبرابرة الجزائر وركّز أوجاقا للصبايحية بتونس والقيروان والكاف وباجة فاستتب الأمن و استعادت البلاد حركيتها.

وقام بربط علاقات تحالف مع فئات محلية مؤثرة من رجال الدين وقيّاد ولزّامة وكل القوى الخارجة عن الطائفة العسكرية التركية.

بهذا التوجه ضمن الباي ولاء النخب المحلية، الحضرية والريفية منها كما ركز أركان سلطة جديدة همّشت سلطة الطّائفة التركية وأجهزتها.

أصبح الباي إذن في أواسط القرن السابع عشر الحاكم الأول بالبلاد بما توفرت له من امكانيات اقتصادية وعسكرية، بل كان يبرز للأهالي بمثابة الملك من خلال بنائه لبلاط باردو وتنظيم الاحتفالات والولائم وتقريب الأدباء والشعراء.

وازداد نفوذ حمودة باشا المرادي بحصوله على لقب الباشا سنة 1658 وبالتالي اعتراف الباب العالي به، وأصبح له من النفوذ ما خول له فرض مرشحه لخطة الداي لكنه لم يعمد الى تفجير الصراع بصفة واضحة بينه وبين الطائفة العسكرية والدايات حتى وفاته سنة 1666.

أما خليفته مراد II (1666 ـ 1675) فقد ذهب اشواطا بعيدة في إضعاف الطائفة العسكرية ـ التركية، فبادر بخلع الداي مصطفى قاره كوز وعوضه بالحاج محمد أغولو (ماي 1666، 14 جويلية 1669) فردّت الطائفة العسكرية التركية الفعل بعزله وتنصيب الحاج شعبان خوجة دايا في 14 جويلية 1669 فعزله مراد II وعوضه بالداي محمّد منتشالي في 12 أفريل 1672.

ووصل الصراع بين المراديين والطائفة العسكرية التركية قمته في أفريل 1673، عندما اغتنم الاتراك فرصة خروج مراد II بالمحلة الى دواخل البلاد للانقضاض على السلطة، فقاموا بتعيين محمد آغا بايا على الامحال والحاج علي لاز دايا ولاحقوا الموالين للمراديين بالعاصمة وصادروا أموالهم، وعولوا في ذلك على نصرة قبائل المثاليث وأولاد سعيد، أعداء البايات المراديين.

وسرعان ما باءت هذه المحاولة في القضاء على المراديين بالفشل اذ تمكن مراد II في واقعة الملاسين 2 جوان 1673 من الانتصار على خصومه

فكان ذلك بمثابة انتصار النظام الملكي بالبلاد وتفوّقه على السلطة العسكرية التركية، ولئن كانت انتصارات المراديين هذه ظرفية والنهاية حتميّة بعد اندلاع الصراع بين الابنين محمد وعلي وعمهما محمد الحفصي.

فإبان وفاة مراد II سنة 1675 دخلت العائلة المرادية في أزمة سلالية ودخلت البلاد معها في حرب أهلية.

تواصلت الحروب من 1676 الى 1686، وقد شاركت فيها قوى وأطراف عديدة ولا سيما أتراك الجزائر. وفقد البايات المراديون النفوذ الذي بناه مراد I وحمودة باشا. لقد سنحت هذه الظرفية للطائفة العسكرية بإعادة المحاولة لافتكاك السلطة من المراديين. فقام الداي أحمد شلبي (1683 ـ 1686) باستجلاب الأمحال الجزائرية في صائفة 1684.

ثم استنجد المراديون بدورهم بأتراك الجزائر وتمكّنوا من هزم أحمد شلبي آخر الدايات الأقوياء، وتعويضه بالداي الحاج بقطاش في جوان 1688. وانتهت الحرب بانفراد محمد باي المرادي بالحكم 1686ـ 1696 بالرغم من المحاولة الفاشلة التي قام بها محمد طاطار في 26 نوفمبر 1694. لكن هذا الإنتصار لم يكن يعني استرجاع البيت المرادي نفوذه حيث فشل آخر المراديين رمضان باي (1692 ـ 1699) ومراد III (1699 ـ 1702) في إعادة الإستقرار الاقتصادي والاجتماعي ومعالجة الأزمة الشاملة للبلاد، بل ان الطابع الدموي الذي ميّز حكم مراد «بوبالة» قد عمّق الهوة والقطيعة بين العائلة المرادية والأهالي. فتمكن ابراهيم الشريف من القضاء على مراد III في جوان 1702 واستقطاب الأهالي وكسبهم لجانبه من جهة وإرضاء الطائفة العسكرية التركية من جهة أخرى.

لكن التوفيق بين مصالح أطراف متناقضة لم يكن ممكنا خاصة وان البلاد كانت تعيش ظرفية طبيعية واقتصادية حرجة بسبب الجدب والغلاء والوباء فضلا عن تقلص المداخيل المتأتية من القرصنة فسرعان ما انقلب ابراهيم الشريف ضدّ الأهالي، وظهر كقائد عسكري تركي مستبد.

وازدادت عزلة ابراهيم الشريف بدخوله في حروب ضدّ ولاية طرابلس سنة 1704 وأتراك الجزائر سنة 1705 انتهت بهزيمته وأسره.

كانت هزيمة ابراهيم الشريف ونهاية محاولته تعبيرا عن واقع العزلة والتهميش اللّذين أصبحت عليهما الطائفة العسكرية التركية بالبلاد، وايذانا بعودة نمط الحكم الذي نجح في ترسيخه المراديون.

VI - الحسينيون وتشكل السلطة التونسية «الحديثة»

1 - بيعة حسين بن علي وتركيز البناء الحسيني

أمام الفراغ السياسي الذي تردّت فيه البلاد إثر هزيمة إبراهيم الشريف وأسره دعي حسين بن علي، التركي من قبل أهل الحل والعقد لتولي مقاليد السلطة في الوقت الذي كانت فيه البلاد ترزح تحت وطأة أمحال الجزائر.

وتعود مبايعة حسين بن علي، إلى ما اتصف به من خبرة وتجارب، فقد تقلب في دولتي مراد III وابرهيم الشريف في خطط ومسؤوليات عديدة لعل أهمها منصب كاهية ابراهيم الشريف، ولا شك ان انتماءه للعنصر الكرغلي مكنه من كسب ثقة جميع الأطراف والتعامل مع الاضداد.

وكانت المهمة الأولى التي عيّن من أجلها، هي تخليص البلاد من عسكر الجزائر، فحاول في بداية الأمر التفاوض مع داي الجزائر المعسكر بالكاف، لكن فشل المفاوضات حتّم عليه المواجهة العسكرية، فقام حسين بن علي بتحصين الحاضرة وتجنيد سكانها وبعض المجموعات القبلية فكانت المقاومة ناجحة ممّا حمل الامحال الجزائرية على الانسحاب في اكتوبر 1705.

لم يكن هذا الانتصار تونسيا على حساب أتراك الجزائر بقدر ما كان انتصارا شخصيا لحسين بن علي، فاستغل ذلك الانتصار ليعزز نفوذه بالداخل

وعلى حساب الطائفة العسكرية التركية فتمكّن اولا من ازاحة الداي خوجة الأصفر ثم ابراهيم الشريف الذي أطلق الجزائريون سراحه في بداية سنة 1706 ومن ذلك التاريخ أصبح الداي خاضعا لأوامر الباي وانحصرت مهامه في بعض الأعمال الثانوية.

واكتمل نفوذ الباي حسين وشرعية حكمه بالبلاد بحصوله على اعتراف الباب العالي به عندما منحه فرمان التولية في جوان 1706 وبذلك استكمل شروط الملك والسيادة.

أما نهج حسين بن علي في الحكم فقد ارتكز على سياسة داخلية قوامها التحالف مع الأعيان المحليين في المدن والأرياف ودمجهم في دواليب الدولة وأجهزتها. كما أعاد الاعتبار للمذهب المالكي ورموزه العالمة، وتقرّب من الزوايا والأولياء الصالحين وأتباعهم فمتّعهم بالاحسانات والامتيازات العديدة. وقد استند في تركيز البناء الجديد إلى مختلف الأطراف الفاعلة في البلاد وذلك بمصالحة العناصر التركية التي احتفظت بجلّ امتيازاتها السياسية والعسكرية مع تطعيمها أكثر فأكثر بعناصر كرغلية وأخرى من المماليك. كما قرّب كبار الأعيان المحليين وشركهم في استغلال خيرات البلاد عن طريق اللزم والوكالات والخطط الإدارية. أما في المجتمع الريفي فقد عمَّمَ النظام المخزني بتوظيف قبائل هامة كقبيلة دريد والهمامة.

وفي الميدان الجبائي فقد اتبع سياسة تعتمد على السيطرة على فوائض الإنتاج عن طريق المشترى، وفرض العديد من الضرائب العادية والإستثنائية.

ورغم النجاح الذي حققه في المستوى السياسي والإداري العسكري، فإن سياسته الجبائية أثقلت كاهل جزء هام من المجموعات الريفية مما جعلها تستغل أول أزمة سلالية للإنشقاق ومناصرة التمرد على حسين بن علي.

2 ـ أزمة النظام الحسيني والحرب الأهلية :

اندلعت الأزمة السلالية داخل البيت الحسيني اثر الخلاف حول ولاية العهد. فعلى إثر إبعاد حسين بن علي لابن أخيه علي عن الخلافة بتنصيب ابنه الأكبر محمد بايا للأمحال وتحويل منصب الباشا له، توترت العلاقة بين الباي حسين وابن اخيه. وقد بقي هذا الأخير من سنة 1725 الى سنة 1728 في عزلة تامة وتحت رقابة مشددة من قبل الباي وأعوانه. لكن ذلك لم يمنع علي باشا من التخطيط للتمرد والفرار وإعلان الثورة على عمه بعد أن تحصن بجبل وسلات ولقي مساندة سكانه الذين عرفوا بمناهضتهم للسلطة فضلا عن مساندة مجموعات أخرى كأولاد عيار وماجر. اندلعت الحرب بعد أن سدت أبواب الصلح وانقسمت البلاد الى صفين : الصف الباشي حول جبل وسلات والعروش المحارية وبعض قرى الساحل، يقابله الصف الحسيني حول المدن والقبائل المخزنية مثل دريد وجلاص وأولاد عون.

ومرّت الحرب الأهلية بعدة أطوار الأول منها بانتصار حسين بن علي وفرار علي باشا الى الجزائر سنة 1729.

أما الطور الثاني فبدأ برجوع علي باشا ودخوله الى تونس واستحواذه على السلطة بإعانة أتراك الجزائر في سبتمبر 1735. أما حسين بن علي فقد استقرّ بالقيروان بعد فراره من الحاضرة، بحيث أصبحت البلاد تعيش في حالة انقسام سياسي تام استمر الى ماي 1740، تاريخ اقدام يونس بن علي باشا على قتل حسين بن علي وبالتالي ترجيح الكفة لأبيه، في حين فرّ أبناء حسين بن علي وبعض اتباعه الى الجزائر.

استتب الأمر لعلي باشا حتى سنة 1756، فسلك سياسة أقرّ جل الإخباريّين طابعها القهريّ والإستبدادي أحيانا.

فقد تتبّع علي باشا المعارضين لحكمه بالخطايا المالية والمصادرات بتهمة الفساد السياسي او الميل لأبناء حسين بن علي، كما مارس سياسة جبائية مجحفة ولا سيما سياسة المشترى، وقد واجه حكمه نتيجة ذلك عدّة

صعوبات منها انتفاضة جند الترك سنة 1743 و 1752 وانتفاضة الهمامه سنة 1750 فضلا عن ثورة ابنه يونس سنة 1752.

كما اتصفت سياسته الخارجية بالحزم، من ذلك استرجاعه للمركز التجاري الجنوي بطبرقة والمعد لصيد المرجان ثم المركز الفرنسي بتامكرت(Cap Negro) وذلك سنة 1741 حتى تتسنى له السيطرة على تجارة المرجان والحبوب.

أمّا علاقته مع الجزائر فقد تدهورت وانقلبت الموازين بحيث عمل أتراك الجزائر على إرجاع ابناء حسين بن علي الى الحكم، فكانت المحاولة الأولى الفاشلة في جويلية 1746 ثم كانت الحملة الثانية في جويلية - أوت 1756 والتي انتهت بالقضاء على حكم علي باشا.

هكذا وظّف أتراك الجزائر الصراعات السلالية الحسينية لاستعادة وصايتهم على تونس التي فقدوها مع حسين بن علي.

ومع عودة ابناء حسين بن علي الى السلطة بتونس دخلت الدولة الحسينية في فترة استقرار طويلة نسبيا ستتواصل الى حدود سنة 1814.

فبعد القضاء على علي باشا قامت المحال الجزائرية بتنصيب محمد باي وأملت عليه شروطا مهينة جعلت النظام الحسيني نظاما تابعا لدايات الجزائر ومدينا له.

وبوفاة محمد الرشيد باي سنة 1759 انتقل الحكم الى أخيه علي باي، الذي تميز حكمه بإتباع سياسة مرنة علي جميع الأصعدة خلد ذكرها الوزير حمودة بن عبد العزيز في «الكتاب الباشي»، فتحسنت علاقة السلطة بالأهالي بما في ذلك سكان الأرياف. فبعد افشال ثورة اسماعيل بن يونس باشا سنة 1759 وإخلاء جبل وسلات من سكانه سنة 1762، نجح علي باي في إعادة الامن والاستقرار الى البلاد. وفي نفس الاتجاه استغل الظرفية الأوروبية لربط علاقات تجارية متميزة مع فرنسا خاصة ومع أوروبا عموما.

على ان العلاقات مع دايات الجزائر ظلت غير متوازنة، ولعل ذلك كان من أهم الأسباب التي دفعت بعلي باي لتعيين ابنه حمودة باشا باي خليفة له تحسبا لأي تدخل آخر لدايات الجزائر.

3 ـ الظرفية المتوسطية و«النهضة» الحسينية :

تتفق جميع المصادر التاريخية على اعتبار عهد حمودة باشا (1782 ـ 1814م) «العصر الذهبي» للدولة الحسينية.

وقد بينت الدراسات الحديثة ان نجاح حكم حمودة باشا وما حققه من انتصارات يعود الى حدّ بعيد الى حسن استغلاله للظرفية المتوسطية. فقد كانت الدول الأوروبية تعيش في ما بين 1792 ـ 1815 حروبا جعلتها من جهة في حاجة أكيدة الى المنتوجات الفلاحية التونسية ومن جهة أخرى عاجزة عن وضع حدّ للقرصنة التونسية التي تحولت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الى قطاع نشيط وحيوي. كما اغتنم حمودة باشا ظروف تلك الحروب ليحدّ من نشاط التجار الأجانب بالبلاد ويدعّم التجار المحليين، الذين شاركهم تجارتهم هو ووزيره يوسف صاحب الطابع.

تجلى الازدهار الذي ميّز تلك الفترة في انتعاش الحركة التجارية، وتنشيط الصناعات الحرفية، لا سيما قطاع الشاشية. وقد تكونت طبقة من التجار الكبار حول الباي، واستفادت الدولة من خبرة الجالية اليهودية القادمة من القرنة.

وبالاعتماد على طبقة الاعيان المحليين ولا سيما فئة القياد اللازمة من امثال الجلولي وبن عياد تمكن حمودة باشا من البروز كحاكم «عصري» منسجم مع الاقتصاد المركانتيلي المتوسطي. وكانت الانتصارات الخارجية تعبر عن ذلك الاستقرار والازدهار، من ذلك الانتصار على البندقية سنة 1784 ثم التدخل في ولاية طرابلس سنة 1793 لفائدة عائلة قارمانلي.

لكن الانتصار الحاسم كان على حساب دايات الجزائر، فبعد الحرب الأولى في جانفي 1807 نجحت الامحال التونسية في جويلية ـ أوت من

نفس السنة في الانتصار على أتراك الجزائر ورفع الوصاية الجزائرية نهائيا وبالتالي تحقيق الاستقلال السياسي للبلاد.

ويمكن اعتبار هذا الانتصار نتيجة حتمية لسياسة تشريك الأهالي والاعيان منهم بالخصوص، وهي سياسة قد بدأت منذ العهد المرادي ثم قام بإحيائها حسين بن علي ثم تدعّمت مع احفاده الى حدّ «تونسة» نظام الحكم.

لكن بموت حمودة باشا سنة 1814 وبانقلاب موازين القوى في المتوسط دخلت الدولة الحسينية والبلاد التونسية في مرحلة أخرى من تاريخها. فقد تظافرت الأزمات الديمغرافية والفلاحية مع التدخل الرأسمالي الأوروبي لتولّد أزمة شاملة بالبلاد لم تتمكن سياسة الاصلاحات التي بدأت مع أحمد باشا باي 1837 ـ 1855 من وضع حدّ لها.

فبالرّغم من أن البلاد التونسية قد تحوّلت منذ عهد أحمد باي إلى ميدان للإصلاح والتحديث وأصبحت مركزا نشيطا لما عرف بحركة النهضة لا سيما في عهد المصلح خير الدين، فان القرن التاسع عشر كان حاسما بمفارقاته العنيفة بين الطموح المكلّف نحو الحداثة و التردّي المحتوم نحو الأزمة والتبعية فالانهيار.

نصّ عدد 1 :

قيام الدولة السعدية

قال المؤرخ رحمه الله : لما ضعف أمر بني مرين في أوائل المائة التاسعة، عن تفقد أحوال رعيتهم في الأقطار الشاسعة ... وقصرت أنظارهم عن تجنيد الأجناد، وعجزوا عن عبور البحر الى الأندلس برسم الجهاد ... وانقطعت أخبار محاسنهم ... واشتغلوا بالانهماك في المستلذات، ومصاحبة الغفلة عن الأمور المهمات، وكانت الهدنة فيما بينهم، أذهبت باسهم وبينهم، وهم مع ذلك متفرّقون في نواحي البلاد، متمسّكون بمجانبة الأقطار البعاد، فعاشوا بالكفاية والقناعة، ورضوا باليسير من الطاعة فلا يتحاسدون في الولاية ولا يتنافسون في الجراية ولا يجورون في الجباية، على الأخلاد للراحة متعكفين، فكانت الرعية لا يبغون لذلك عنهم حولا، ولا يرضون بغيرهم بدلا، وطالت الفترة على هذه الحالة واستقرت وعلى القاصي والداني حلت واستقرت، قام عليهم السعديون واستظهروا بأنهم مهديون فنصبوا لإزالة دولتهم شبائك الحيل والبدع، وتمسكوا لاذهابها بحبائل العدوان والخدع، فأذلواعزها وانتهبوا بزّها واباحوا حرمتها، واستباحوا نعمتها واغتنموا فيها الفرصة، وجرّعوها مرارة الغصّة وافقدوا الموجود فيها بالرمس، فأصبحت حصيدا كان لم تكن بالامس، وكانوا ينتجون لشرفاء السوس وقرارهم تاكمادرت من بلاد درعة وبها مولدهم ونشأتهم وسكنى آبائهم وأجدادهم وأول قائم منهم بهذا الامر الأخوان مولاي محمد الشيخ وأخوه ابو العباس مولاي احمد الأعرج ... والسبب في (ظهور سلطانهم وقيامهم بالامر) انه لما ظهر الجهاد على دار النصارى بسوس وكان أهل السوس مرابطين عليها وكل من صحت نيته من الناس وقويت رغبته في الجهاد واعلاء كلمة الله تعالى كان يرد عليهم بصد الرباط من جميع النواحي وبنو مرين يمدونهم بالاعانة والمال والعدّة وطالت الحروب سنين كثيرة مع النصارى وكان ممن توجه للجهاد من بلاد درعة الاخوان المذكوران مولاي محمد الشيخ ومولاي احمد الأعرج

... وما زال الاخوان المذكوران قائمين بوظيفة الجهاد الى أن صارا من رؤساء المجاهدين فناداهم الوقت الى الامر والنهي فأتوا الى المريني لحضرة مراكش فتلقاهم بخير وأقبل عليهم لأجل قيامهم بوظيفة الجهاد وملازمة الرباط فأعطاهم خيولا وعدّة كثيرة وبالغ في إكرامهم ورجعوا الى جهادهم ... وكانت بينهم وبين النصارى وقائع عديدة ومشاهد شديدة اشتهرت فيما ذكرهم وعلا فيها صيتهم وامرهم فصاروا يكتبون الى القبائل يدعونهم اليهم ويحرضونهم على الجهاد ... ودأبوا على ذلك الى ان أخذوا دار النصارى وغلبوهم عليها واخرجوهم فاستقام لهم الامر واتتهم القبائل يهنونهم على دار النصارى التي اخذوها ويساعدونهم في امورهم التي ارادوها وتوجهت له الناس فكثرت حشودهم وعظمت جموعهم فزحفوا الى ناحية مراكش بعد حروب كثيرة ... فعند ذلك تفطن المريني لما يطلبون بعد أن فاته محل التدارك بقطع ما فيه يرغبون فزحف اليهما بجموعة من مراكش فالتقى الجمعان على جبل درن ووقعت بينهما حروب عظيمة انهزم فيها المريني وتخلى لهما عن مراكش وحبس في تادلا بما معه من مجموعة.

مؤلف مجهول، **تاريخ الدولة السعدية**

نشره جورج س. كولان ـ الرباط 1934

ص ص 2 ـ 5

نصّ عدد 2 :

تقسيم السلطان محمد الشيخ
الملك على أبنائه

الأمير أبو عبد الله محمد الشيخ فانه لما كان له أعزه الله من مزيد الشفوف على الجميع بسنده وهديه وشرف همته وحسن ملكته وكفايته ما شهد له بمغبة حاله قلده الخليفة الامام أيده الله ولاية العهد وألقى عليه امانته العظمى كما قدمنا وعقد له على فاس وسائر ممالكها فاضطلع بأمره وحسن فيها غناؤه ولما اخذ له البيعة على اخوته بتامسنا رآى أيده الله ان يقسم لهم من الترشيح الامارة ويزين بهم مناصب الملك فعقد لهم بذلك المشهد المبارك في تامسنا على الولايات والاعمال فاما المولى ابو فارس شقيق ولي العهد ورديفه فعقد له على السوس وسائر ممالكه ونصب فيه النيابة عنه مولاه القائد أبا عبد الله محمد بن بركة وأنزله هو معه بالحضرة ودفعه الى النيابة عنه في مغيبه عنها وسماع المظالم والقعود للجم الغفير بديوان الخلافة في بعض الاحيان ما يوجب العكوف في قصوره عن مصالح المسلمين والنظر فيا استرعاه من امور العباد فاستنبلت في جميع ذلك أغراضه وحمد الناس فيه مغبة اختيار امير المؤمنين وحسن نظره الكريم في اعتيامه وترشيحه وأمّا المولى أبو الحسن فعقد له أولا على مكناسة وعقد للمولى زيدان أصغرهم على تادلة وعقد له على مكناسة وولاه أعمالها فسرحه اليها وشد بهم عرى ملكه فازدهرت بهم آفاق الدولة ورست بقواعدهم أركانها الثابتة ونفقت بذلك سوق المنافسة في ميدان النجدة وثقافة النظر وحسن الضبط وجرى في كل ذلك الى أبعد شأن وأقصى غاية والامور جارية لهذا العهد على ما وصفنا من أحوالهم جميعا أبقاهم

الله وألحفهم سرابيل العز والعناية وجعل هذا الأمر الكريم باقيا فيهم الى يوم القيامة.

أبو فارس بن عبد العزيز الفشتالي

مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء

تحقيق : عبد الله قنون

المطبعة المهدية بتطوان 1964، ص ص 104 ـ 105

نصّ عدد 3 :

فقرات من رسالة المولى زيدان السعدي الى الفقيه أبي زكريا الحاحي

« ... وبعد، فقد ورد علينا كتابكم، ففضضنا ختامه ووقفنا على سائر فصوله، ثم إننا إن جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي، ربما غيّركم ذلك وأدّى الى المباغضة والمشاحنة، ويحكى عن عثمان ... انه بعث لعلي ... وأحضره عنده، وألقى عليه ما كان يجده من أولاد الصحابة الذين اعصوصبوا بأهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام علي يد الصديق، وهو في ذلك لا يجيبه، فقال له عثمان : «ما أسكتك»، فقال : «يا امير المؤمنين، إن تكلمت ما أقول إلا ما تكره، وإن سكتت فليس لك عندي إلا ما تحب».

ولكن لم أجد بدا من الجواب، أرى أن أقدم لك مقدمة قبل الجواب، وذلك أن الحجاج لما ولاّه عبد الملك بن مروان العراق، وكان من سيرته ما يغني اشتهاره عن تسطيره هنا، فتأول ابن الأشعث الخروج عليه، وتابعه على ذلك جماعة من التابعين ... ولما قوي عزمهم على ذلك استدعوا الحسن البصري ... قال : «لا أفعل، فاني أرى الحجاج عقوبة من الله ...» قال بعض فضلاء العجم يؤخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر ... وقد علمت ما كان من أمر ... قضية أهل الحرة لما أوقع به جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ما أوقع ... وشاع ذلك عنه وذاع، وكان ذلك على عهد أكابر الصحابة وأولادهم ولا تعرض أحد منهم للنكير عليه ولا تصدى للقيام بكلام ...».

«وأما ما يرجع إلى الكتاب، فأما ... ما أوردتم من حديث النصح، فإني والله احب أن تنصحني سرا وعلانية مع زيادة شكري عليه، وأراها مودّة وأعدّها محبّة، ولكن أفعل من ذلك ما أقدر عليه، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : «لا يكلف الله نفسا الا وسعها ...».

«إن السلطان لا ينعزل بالفسق والجور، والا فان الصحابة رضي الله عنهم في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم، وما تصدى أحد منهم للقيام عليه ولا قالوا بعزله، وإلا فانهم لا يقيمون على الظلالة ولو نشر بالمناشر، وأما أبو محلي، فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك إعانتنا عليه، لأنك في بيعتنا وهي لازمة لك فالطاعة واجبة عليك، واعلم أيضا أن والدك أفضل منك، بدليل - «آباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة»، وكان عمنا عبد الملك رضي الله عنه سمح له على ما كان عليه واشتهر به اعلانا وكان والدك في دولته وبيعته، ووفد اليه، ولم يستنكف من ذلك،ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر عليها، ولا تعرّض لما يسوء ملك الوقت، ولا سمع ذلك منه، فإن كان راضيا بفعله فهو مثله، وإن لم يكن راضيا فما وجه سكوته والوفادة عليه وقد تحققت وعلمت ان ولاية احمد بن موسى الجزولي كادت أن تكون قطعية، واشتهر أمره عند الخاص والعام، حتى أطبق أهل المغرب على ولايته وكان على عهد مولانا عبد الله الغالب ... وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر امره، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء وبظهور جهة، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل وغير ذلك ...

«... كل منا يصف أواني بيته، ورب البيت وأهل مكة أدرى بشعابها، والصيرفي أعرف بنقد الدينار...».

«واعلم ان السلطنة لها اشراط لا بد منها وسياسة يكره ظاهرها ...».

محمد الصغير الأفراني. **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**

طبعة هوداس، باريس 1888 ص ص 215. 221

نصّ عدد 4

واقعة وادي المخازن

وبيعة الخليفة المنصور

ولد ايده الله تعالى سنة ست وخمسين وتسعمائة، فيما حدثني به بعضهم بمدينة فاس ـ حرسها الله تعالى باسمه ـ وعقدت له البيعة في غزوته العظيمة التي تركت فيها اجسام بني الأصفر تتعاطى اشلاءها الرخام، وأنوف أهل ملة التثليث قد ألصقت بالرغام، بوادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ست وثمانين، وابتدت بيعته الشريفة بالمحل المذكور وتمت بمدينة فاس، وكانت غزوة عظيمة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى انها أشبه شيء بغزوة بدر.

حدثني شيخنا ابو راشد أنه حدثه بعض من يثق به، ان الرجل من حاضري المعترك يستبق لينتهز الفرصة من قتل كافر فما يصل اليه حتى يجد ميتا من غير فاعل يرى لذلك، فعلم الناس ان موتهم انبهارا انما هو من بعض عباد الله تعالى، وكان عدد الكفرة فيما تواتر وشاع وامتلأت به الآذان والاسماع، مائة ألف وخمسا وعشرين ألفا، الخمس والعشرون ألفا بقية في سفائنهم في البحر، والمائة ألف أسر جلّها، وقتل سائرها، في خمس وأربعين درجة أو اثنتين وخمسين على ما حدثني به بعض الميقاتيين.

فلم ير في سالف الازمان مثل ما اتفق لهذا الملك في هذه الغزوة العظيمة ومن لدن كانت الهزيمة على الكفرة ... وكثيرا ما مدح الناس هذه الغزوة وشاع أمرها في أقطار البلاد وفشا ذكرها في ألسنة العباد ... وأتته الخلافة منقادة اليه ومقتصرة عليه.

أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**

تحقيق محمد رزّوق الرباط 1986.

الجزء 1 ـ ص ص 244 ـ 246.

نصّ عدد 5 :

أعمال السلطان أحمد المنصور

ومن دأبه - أيده الله - اشتغاله بحوائج المستضعفين، وقرى الواردين، ومحادثة وزرائه وكتبته، فيما يعود نفعه على رعيّته، هذا يوم السبت او الاثنين او الاربعاء، ويحضر لكل من يحضر من حشمه وقواده في هذه الأيام موائد من ألوان الطعام على اختلافها، وأما يوم الأحد والخميس فيجتمع فيهما بخواصه في رياض المسرة، والبديع الذي أنشأه وشاد بناءه، الا انه لا يضبطه وصف الواصفين، ويبهر من حسنه عقول العارفين، على ما أذكره فيما يأتي لما يصلح برعيته، وقد يشتغل بالتوقيع على الرقاع المعدة لقضاء حوائج المسلمين.

وأما يوم الجمعة فشأنه فيه إذا فرغ من الصلاة، يجلس للنظر في شأن رعيته ولشكاويها والفصل بينها ورفع ظلمات ظلم الظالم عنها الى ان يصل العصر، تارة يكون ذلك عند ضريح والده رضي الله عنه وتارة بالمقصورة، وتارة بالبديع المذكور، وقد يشعر به الجلوس في بعض الايام الى صلاة المغرب، لا يألو فيها طوقه الله جهدا، ولا يلوي عنه عزما وقصدا.

وفي يوم السبت، وما ذكر معه من ايام الديوان، يدخل أيضا عليه أشياخ القبائل والعرب الواردين، والكبراء فيأخذون مجالسهم بين يديه، وكذلك لمة من بني عمه الشرفاء، فاذا استقر بالكل المجلس أحضر الطعام، ثم إذا فرغوا منه واستوفوا حوائجهم، دخل الى منزله، وخرج الناس الى باب القصر للمسجد الذي هنالك، وجلسوا به الى ان يحضروقت الصلاة، فيخرج ويؤم من حضره من خدمته وربما يخص بذلك الوقت كتبته فقط الى ان يصلي العصر، وبعض الأوقات الى أن يصلي المغرب، ثم يدخل منزله.

أحمد بن القاضي، **المنتقي المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، تحقيق محمد رزوق، الرباط، الجزء 1 ص ص 252. 253.

نصّ عدد 6 :

وثيقة عثمانية حول معركة وادي المخازن

إلى حسن باشا أمير أمراء جزاير المغرب .

وردت رسالة الى دارالسعادة جاء فيها ان ملك البرتغال يستعد منذ ثلاثة اشهر لجمع عساكره وان البابا ودوق فرنسا قاما بإرسال اربع او خمس بوارج محملة بالمحاربين والذخيرة لمعاونة البرتغال كما وصل ملك البرتغال الى حدوده واجتمع مع ملك اسبانيا ولم يعلم ما دار بينهما من مشاورات، وقد سمع انه تقرر ان يزوج ملك اسبانيا ابنته لملك البرتغال وان يقوم على وجه السرعة باعداد عشرة آلاف محارب لمساعدته كما يقدم له ستين قادرغه لمساعدته في العبور الى شاطئ الغرب لان ما لدى ملك البرتغال من السفن لا يتجاوز الثمانية، أما عن افكارهم الفاسدة فلا تعرف توجهاتها ويبدو أن ملك اسبانيا سوف يسير في الشتاء الى فلاندرة لانها شقت عصا الطاعة عليه منذ السنة الماضية ولكنه اذا توجه الى فلاندرة فسوف يترك ولايته خالية وسوف يضطر الى عقد صلح مع سدتنا.

ومن المحتمل ان يسير ملك البرتغال الى مولاي عبد الملك لأن ابن اخيه مولاي محمد التجأ الى قلعة سبتة التي تحت يد الكفار وتخابر مع ملك البرتغال وحمل رجاله عدة رسائل اليه، وبعد وصولهم الى تلك القلعة اتصلوا بملك البرتغال وحلفائهم من امراء الحدود وذلك بغية نشر افكارهم الفاسدة وقد صادفتهم اثناء سيرهم في البحر جند مولاي عبد الملك والقوا القبض عليهم، وبعد الوقوف على امرهم تمّ قتل اثنين منهم وسجن الثالث.

اما مولاي عبد الملك فيستعد للحرب وقد قام بإرسال اخيه مولاي احمد بصحبة ما يقرب من عشرة آلاف جندي وتوجه هو بصحبة أربعين أو خمسين الف جندي واتخذت اجراءات الحيطة في انحاء الولاية، وعليك حاليا

(حسن باشا) القيام بتعيين الف وخمسمائة من عسكر الجزائر واثني عشر أميراً وارسالهم الى مناطق الحدود، وتجهيز عشرين قطعة بحرية كل منها على اهبة الاستعداد للغزو والجهاد، وقد ذكرت انهم على استعداد لتقديم أرواحهم فداء للدين والدولة فلتبيض وجوههم. ومولانا هذا واحد منهم..

وعساكرنا في دار الجهاد ولاية جزاير الغرب هم عبيد الغاري وعلى استعداد دائم لتقديم انفسهم وأرواحهم في سبيل العزة والهمايونية وهم غزاة شجعان.

وقد أمرت :

حين تسلمكم اوامرنا أن تقوم بجمعهم وارضائهم كما يجب وان يكون كل منهم كما كان من قبل مجهزا ومعدا لقتال العدو ولترغبهم في الجهاد والغزو وأن لا تغفل لحظة ان ترسل العيون الى كل ناحية لتتبع احوال العدو، وان تبذل ما عليك في سبيل الدين والدولة.

أرشيف أسطمبول.

ترجمة ابراهيم بن حدّة

نصّ عدد 7 :

حملة المنصور السعدي على السودان

وممّا شوهد منه ـ أيده الله وأبقاه ـ أنه خطر في باله أخذ ملك السودان والاستيلاء عليه، فأمر بتجهيز جيش عرمرم عظيم من جنوده المظفرة المنصورة في خامس عشر ذي القعدة (سنة ثمان وتسعمائة)، فأخرجت المحلّة ذلك اليوم، فلم يمر لها بباب مراكش الا شهر أو أقل، فتوجهت بعدد وعدد من الابل التي لا يمكن حصرها، ورحلوا من مراكش قاصدين بلاد السودان من طاعة اسكيا، أعظم ملك هناك في طاعته ما ينيف على مسيرة ستة أشهر، فركبوا مهامه فيح البيداء وقصدوه، ورئيس الجند إذ ذاك جؤذر الخصي، أحد مماليكه ـ أيده الله تعالى بمنه ـ فأمهم إسحاق ملك السودان بما ينيف على مائة ألف من جنوده، فنصر الله جنود مولانا، وأظهرهم عليه، ولم تمر عليه ساعة إلا وهو مسلوب مما لديه، وهذه منقبة عظيمة لا شك فيها عند كل من له خبرة بأخبار الملوك الماضية، والقرون الخالية، أنه لم يخطر ببال ملك ممن مضى التوجه للسودان حتى توجه له ـ أيده الله ـ وظفر به وخطب له على منابره كلها ـ أيده الله وأبقاه ـ، ولا شك أن هذا الفتح معجزة وغرة في جبين الدهر هيأه الله له، فهو من صنع الله له الذي لم يتفق لأحد قبله، ووطئت عساكره تخوم ممالك لم يخطر لأحد من الملوك اليها على بال.

أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**،

دراسة وتحقيق محمد رزّوق

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط 1986

الجزء الثاني، ص ص 832ـ 833.

نصّ عدد 8 :

علاقات سعدية عثمانية

لما تغلب رحمه الله (محمد الشيخ المهدي) على بلاد المغرب ودانت له حواضره وبواديه تاقت همته العلية الى بلاد المشرق فكان يقول لا بد لي ان اذهب الى مصر واخرج منها الأتراك من احجارهم وانازلهم من ديارهم فتخوف منه السلطان سليمان العثماني وكان ابو عبد الله (محمد الشيخ) لا يسمّي سلطان العثامنة الا سلطان الحواتة لان الغالب على هؤلاء الاتراك السفر في السفاين فانتهى ذلك للسّلطان خان العثماني فبعث له ارساله فلم يحتفل بهم ابو عبد الله بل قال لهم اخبروا صاحبكم اني مفتح عليه بلاده ومتوجه للقائه فلما رجعت الارسال العثمانية واخبروه بمقالة ابي عبد الله وما واجههم به بعث لترك الجزائر ان يأتوه برأس ابي عبد الله فبعثوا رجلا من ابطالهم يقال له صالح الكاهية في شرذمة قليلة من أجنادهم مظهرين له أنّهم هربوا من العثمانيّ ورغبوا في خدمته والتحصن به من طلبهم ونيتهم المكيدة والاغتيال حيث امكنهم الحال فلما قدموا على السلطان ابي عبد الله فرح بهم غاية الفرح واظهر السرور بقدومهم عليه وكان ابو عبد الله لما دخل مدينة فاس في المرة الثانية وجد جماعة من الاتراك تخلفوا في الجيش الذي قدم به ابو حسون المريني الوطاسي من الجزائر (كما تقدم) ظهر اليه وجعلهم على حدة جيشه وسماهم الانكشارية ...

ولما قدم صالح الكاهية فرحوا به وجنحوا له اذ كل غريب للغريب نسيب ان الغريب يحضب الغريب فلم يزل مع اصحابه ينظرون في المكيدة ويتربصون الدواير بالسلطان ابي عبد الله الى ان امكنتهم الفرصة منه وهو بحركته بجبال درن بموضع يقال له اكلاكل ...

وهرب بعضهم بالرأس الى ان بلغوه للسلطان بالقسطنطينية فلم يزل معلقا بها الى ان تلاشى وقتل معه في تلك الليلة الفقيه ابو الحسن علي بن ابي بكر السجتاني والكاتب ابو عمران الوجاني ...

وكان قتل السلطان ابي عبد الله رحمه الله تعالى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة عام اربعة وستين وتسعمائة وحمل الى مراكش بغير راس فدفن قبلة جامع المنصور في قبور الاشراف هنالك ...

محمد الصغير الأفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،

نشر هوداس ـ باريس 1888

ص ص 42ـ44

نصّ عدد 9 :

العلويون والدلائيون

ومن حوادث هذه السنة اخذ الزاوية الدلائية، قال الشيخ ابو علي اليوسي في محاضرته :

كان الرئيس ابو عبد الله محمد الحاج بن ابي بكر الدلائي قد ملك المغرب سنين عديدة واتسع هو واولاده واخوته وبنو عمّه في الدنيا، فلما قام الشريف السلطان رشيد بن الشريف ولقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم، وذلك أوائل المحرم الحرام فاتح سنة تسع وسبعين والف، فدخلنا عليه وكان لم يحضر المعركة لعجزه من كبر سنه، فإذا بالفلّ يدخلون، فدخل عليه أولاده واخوته واظهروا جزعا شديدا وضيقا عظيما فلما رأى منهم ذلك قال لهم لما هذا ؟ إن قال لكم حسبكم فحسبكم (يريد الله تعالى) وهذا كلام عجيب واليه باق الحديث والمعنى ان قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين.

المراد منه فكان اخذ الزاوية يوم الاثنين ثامن المحرم وقد منّ الله على اهل الزاوية ببركة جدّهم انه لما دخل عليهم مولانا الرشيد حلم عليهم حلما عظيما فما سال منهم من دمائهم قطرة ولا كشف لهم عورة، وربما مدّ بعض الظلمة فانتقم منه اشدّ الانتقام، ثم بعد فراغ المولى الرشيد من الاستيلاء على الزاوية وتخريبها واخراج اهلها منها واستيلائه في اعمالها قصد فتح مراكش، فخرج اليها من الدلاء، ولقيه اميرها ابو بكر بن عبد الكريم الشباني بجموعه في حوزها، فهزمه مولانا الرشيد وقبض على الرئيس عبد الكريم المذكور ونزل على مدينة مراكش، فخرج اليه أهلها تائبين وامامهم الشرفاء والعلماء واطفال المحاضن، فسامحهم وعفا عنهم وبايعوه فدخلها وقتل رئيسها ابا بكر بن عبد الكريم الشباني المذكور مع جماعة من قرابته وحزبه وشيعته، واخرج والده من قبره واحرقه بالنار وذلك ثامن وعشرين صفر، واقام بها نحو شهر لتمهيد بلادها وحوزها واعمالها، ثم سار الى تفلات

لاخراج اميرها القائم عليه، ابن اخيه، الامام مولاي محمد بن امير المؤمنين، ومولاي محمد بن السلطان الامام مولاي الشريف الحسني، فاخرجه من تفلات، هو واتباعه، بعد ان منّه وسامحه ولم يلحقه من المولى الرشيد هو ولا اتباعه سوء ثم كان رجوع مولانا الرشيد الى فاس من حركته هذه يوم الجمعة سابع وعشرين من ربيع الثاني، ثم سارالى رئيس الساحل الخضر غيلان المتحصّن بمدينة اصيلا، فهرب غيلان في البحر الى الجزائر وتخلّى عن البلاد، ثم رجع الى فاس فعزل قاضيها المزوار والمفتي الخطيب بجامع القرويين سيدي محمد بن احمد الفاسي في زوال يوم الاربعاء تاسع وعشرين من جمادى الثانية وولى سيدي محمد المجاطي القضاء يوم الجمعة بعد الزوال والفقيه سيدي محمد البوعنّاني خطبة القرويين، ثم خرج المولى الرشيد لغزو الشاوية عصر يوم السبت سابع عشر رجب فغزاهم وهزمهم وفتح بلادهم وكفّ اذيتهم عمن جاورهم، فمهّدت البلاد وتمنوا العباد ورجع الى فاس سابع رمضان، ثم امر بإخراج أهل الزاوية من فاس، فاخرج بعضهم الى ضريح سيدي عليّ بن حرازم وترك بعضهم بفاس. ثم في آخر العام سمح من اخرج منها الى ضريح سيدي عليّ بن حرازم وردّهم الى فاس جميعا، وفي ظهر يوم السبت سابع عشر ذي الحجّة خرج مولانا الرشيد لحركة آيت عيّاش، فغزاهم ورجعوا عن الخروج عليه، فسامحهم ورجع الى فاس. وفي ثاني عشرين من ذي الحجة امر مولانا الرشيد بتبديل السكة وتصفيتها عما كانت عليه من التنحّس، فضربت الدراهم في غاية الصفاء والجود وكذلك الدنانير، فكان في الدراهم اثنا عشرا وقيّة في المثقال الوزن، وامر ان يكتب عليها في احد الوجهين «الله ربنا والرشيد امامنا» وفي الوجه الآخر موضع ضربه وتاريخ عامه، ثم سلّف للتجارمنها اثنين وخمسين الف مثقال عدّة مدّة من عام حتى كثرت الدراهم، ثم امرهم ان يؤدّوها الي عامله بفاس ليبني بها قنطرة اسبوا، فبنى بها قنطرة اسبوا في يوم السبت رابع عشر ذي القعدة، فبنيت في غاية الاتقان.

محمد القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني،** تحقيق محمد حجّي وأحمد توفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر الرباط، ص ص 5 ـ 8.

نصّ عدد 10 :

بيعة أهل مراكش وأعمالها
للمولى يزيد بن محمد

«الحمد لله المنفرد بالملك والخلق والتدبير ... جاعل الملوك كفا للأكف العادية، وولايتهم مرتعا للعباد في ظل الأمن والعافية، وبيعتهم امنا من الهرج والفساد، وقمعا لأهل الشر والعناد، فهم ظل الله على الأنام أمّا بعد فإن الله تعالى جعل صلاح هذا العالم وأقطاره المعمورة ببني آدم، منوطا بالأئمة والاعلام، محفوظا بالملوك الذين هم ظل الله على الأنام، فطاعتهم ما داموا على الحق واتقوا الله سعادة الاعتصام بحبلهم اذ ذاك واجب وعبادة قال عز من قائل : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وقال عليه السلام :«السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم، ومن اكرم سلطان الله في الدنيا اكرمه الله يوم القيامة»، وأكرمهم منزلة عند رب العالمين، أنالهم الله تعالى في خلقه فضلا كبيرا، ومنحهم اجلالا ورفعة وتعظيما وتكبيرا، قال الله تعالى :

«انما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» وقال عليه الصلاة والسلام : «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي».

وان ممن امتن الله به علينا من أهل هذا البيت الشريف، الذي أولاه الله أشرف التعظيم وأعظم التشريف وقدمه تعالى لسانه العزيز ... أبا المكارم والغافر سيدنا ومولانا يزيد ابن مولانا الامام السلطان الهمام، المرحوم بالله سيدي محمد ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الله ابن السلطان الخليل، أمير المؤمنين مولانا اسماعيل، ابن موالينا السادة الأشراف، ذوي الفضل والكرم والانصاف، انعقد الاجماع من أهل هذه الحضرة المراكشية أحاطها الله وما حولها من أهل السوس وكافة الرحامنة وغيرهم من قبائل عديدة حسبما تضمنه أسماء من يكتب اسمه عقبه بخط من يكتب عنهم بيعة تم بمشيئة الله تمامها، وعم بالصّوب المغدوق غمامها سعيدة ميمونة، شريفة

لها السلامة في الدين والدنيا مضمونة، صحيفة شرعية، ملحوظة مرعية، دائبة، لازمة حازمة، صحيحة صريحة متعبة مريحة، على الأمن والامانة، والعفاف والديانة، وعلى ما بويع به مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده والأئمة المهتدون الموفون بعهده، وعلى السمع والطاعة، وملازمة السنة والجماعة، قرت بها نواظرهم، وشهدت بذلك على صفاء بواطنهم ظواهرهم وأعطوا بها صفقة ايديهم وأمضوها امضاء يدينون به في السر والجهر والمنشط والمكره واليسر والعسر، أجمع عليها أرباب العقد والحل، وأصحاب الكلام فيما قل وجل، ومن يوصف بعلم وقضاء، ومن يرجع اليه في رد وامضاء، لم يخالف فيها امام مسجد ولا خطيب، ولاذو فتوى يسئل فيجيب. ولا من يجتهد في رأي فيخطئ أو يصيب، ولا معروف بدين وصلاح، ولا فرسان حرب وكفاح، ولا طاعن برمح ولا ضارب بصفاح، ولا ولاة الامر والاحكام، ولا حملة العلم الاعلام، ولا حماة السيوف والاقلام، ولا أعيان السادة والاشراف ولا أكابر الفقهاء ومن اخفض قدره ومن أناف، بيعة تمت بها نعمة من وحد الله قائلين :

«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» «ان الذين يبايعونك انما يبايعونه الله»، فمن حضر خواص من ذكر وعوامهم قيد شهادته بضمن العقد المنصوص ملتزما لجميع ما اقتضاه من العموم والخصوص، باسطا كفه بالدعاء والابتهال والتذرع لذي العزة والجلال، قائلا اللهم كما خصصت مولانا أمير المؤمنين بمزيد الكرامة وارتضيته لمقام الامامة ... اجعل بيعته المباركة بيعة تخلد بها مآثره تخليدا، وتؤيد علوه وتأييده ونصره تأييدا... وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، في ثامن عشر شعبان عام أربعة ومائتين وألف».

أبو العباس أحمد بن خالد الناصري،

كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،

تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،

الدار البيضاء ـ 1956،

الجزء 8 ص ص 76 ـ 78.

نصٌ عدد 11 :

مخزن المولى اسماعيل العلوي

بويع بالخلافة يوم الاربعاء الخامس من يوم وفاة أخيه سنة 1082 وكانت مدبرة أمره في اول خلافته جماعة من القواد ووجوه العرب من الأحلاف وأهل أنقاد قبل رجوعهم عن طاعته، وكان صاحب حروبه الشرقي بن هدارج الى ان قتل في وقعة غيلان، ثم بعده الباشا موسى المانوقي.

وفي أول خلافته كان عمدة جيشه أهل الريف ثم الشبانات قبل هروبهم من فاس الجديد، وكان قاضيه بفاس أبو عبد الله المجاصي.

وله في أول أمره جماعة من الوزراء من أهل الريف وغيرهم، ولما استقامت له الأمور، واتفق على بيعته الجمهور، كان وزيره الهواري، ثم مولاي امحمد ملّوك، ومولاي يحيى المريني وغيرهم، عبد الرحمان الفيلالي وهو الذي استخلفه بفاس حين نهض لولد أخيه مولاي أحمد بحضرة مراكش ومن الكتاب سيدي عبد الواحد الكاتب وهو الذي بعثه أمير المؤمنين مولاي اسماعيل لبناء قصبة وجدة فبناها وحصّنها.

وحين ضخم ملكه كان له جماعة من الكتاب ملازمين لخدمة تلك الباب ... وحاجبه الأعظم مولاه أبو الخير ثم عنبر مولاه أيضا ثم مرجان الصغير ... وغيرهم وصاحب شرطته الباشا غازي وفيتح وعبد الله بن حميدة وخزانة جماعة منهم الهواري والباشا محمد بن الاشقر وابن القاضي وغيرهم، وعلى بيت ماله محمد الخطيب ... وعلى مونة داره العاليا جماعة الروسي ...

له جماعة من الأمراء من أولاده وغيرهم وعامله بتازه واعمالها الى تلمسان مولاه الباشا منصور بن الرامي وبسوس الأقصى الباشا عبد المالك الخطيب، وبناحية جبالة والفحص قائده عمر بن جدو والريفي من مشاهير القواد ...

ثم كان بحضرة مراكش مولاي المأمون بن اسماعيل، ثم تداولها كثير من العمال من أولاده وغيرهم، وكذلك مدينة تارودنت وأعمالها كان بها الباشا عبد المالك الخطيب ... ثم تداولها كثير من القواد والعمال ثم كان بها الامام الأعظم مولاي محمد بن أمير المؤمنين المذكور، وببلاد درعة أخوه الامام مولاي الشريف بن اسماعيل، ثم بعد مولاي محمد بتارودنت، مولاي أبو النصر ثم الأمير الناسك مولاي عبد المالك، وله ما لا يحصى من العمال والقواد في كل موضع ومكان، وإن تتبعنا ذكرهم لا يحصيهم ديوان.

عبد الكريم بن موسى الريفي،

زهر الأكم، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة،

الرباط 1992 مطبعة المعارف الجديد

ص ص 147 ـ 152.

نصّ عدد 12 :

«غزوات عرّوج وخير الدين»

وكان (عرّوج) في مدة إقامته في جيجيل كتب اليه اهل الجزائر كتابا يرغبونه في القدوم عليهم وجهاد عدوهم المجاور لهم في الحصن الكائن بالجزيرة وكان قد أضرّ بهم غاية الضرر، وضيّق بهم غاية التضييق فلما وصل كتابهم اليه وعلم ما هم عليه من العدوّ الكافر أدركته حميّة الاسلام وداخلته نخوة الجهاد واستخار الله تعالى في الذهاب اليهم فأوصى تلك الناحية من أهل جيجل انه اذا قدم اخوه خير الدين يهيء له مددا من الغزاة يستعين بهم على الجهاد أهل ذلك الحصن فبعد ذلك بمدة وصل اخوه خير الدين الى جيجل فلقيه اهل تلك الناحية بالترحيب والتسهيل وعرّفوا له قدره الملوكي وبلغوه وصيّة اخيه المتضمنة لارسال المدد. فهش لذلك وأنعم به وجهز له مائتين وثمانين من الغزاة بجميع ما يحتاجون اليه ورجع خير الدين الى تونس فوصل هذا العدد الى مدينة الجزائر فاهتز لقدومهم عرّوج وأكرمهم ووسع لهم في الجراية ...

فلزم عرّوج رئيس المدينة هو وجماعته الغزاة وكافة اهل المدينة ونشر اعلامه وتهيأ لقتالهم مستعينا بالله تعالى، فقرب الكفار من المدينة وتترسوا كما هي عادتهم في الحرب ونصبوا الويتهم المغطوسة وشرعوا في قتال المدينة وتكالبوا على أخذها فهال عروجا امرهم فوقعت المشورة بينه وبين عسكره فاتفق رأي عروج على الخروج اليهم والهجوم عليهم ورأى ان ذلك مما يكسر شهوتهم ويذهب نخوتهم. فساعده جماعته على ذلك فانتهز الفرصة وخرج منفردا بنفسه فتبعه كافة العسكر وفتحوا أبواب المدينة وكبّروا تكبيرة واحدة وهجموا على عسكر العدوّ منحهم الله اكتفافهم يقتلون كيف شاؤوا ويأسّرون كيف شاؤوا وفرّ الكفار عن المحل الذي كانوا تترسوا به وتركوا الويتهم منصوبة فنكّسها المسلمون وتبعوا آثارهم فاستأصلوهم قتلا حتى صارت

دماؤهم تجري كالنّهر، قالوا ولم يبق منهم الا الف والباقون قتلوا عن آخرهم ثم ان هذه الباقية ركبوا في اجفانهم وذهبوا الى بلادهم.

مجهول، غزوات عروج وخير الدين،
تحقيق نور الدين عبد القادر،
الجزائر 1934 ص ص 27. 30.

نصّ عدد 13 :

إنضمام الجزائر للدولة العثمانية

«ثم عزم خير الدين على السفر الى إقليم الرّوم لأجل الغزو مواصلة الجهاد، وجمع أهل الجزائر من العلماء والصلحاء وقال لهم : (إني قد عزمت على السفر الى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين، ومن وصل اليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم من العدة، لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعة مائة مدفع، ولم يكن في بلادكم مدفع واحد)، فقالوا كلهم له : (أيها الامير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك فالله الله أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم)، ومن جملة ما خاطبه العلماء به أن قالوا له : (أيها الأمير، يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذب عن ضعفاء أهلها ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو). فعند ذلك قال لهم خير الدين (أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم وقد ظهر لي من الرأي ان نصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج اليه من آلة الجهاد ولا يكون ذلك الا بصرف الخطبة اليه وضرب السكة عليه)، فرضي أهل المدينة بذلك وصوبوا رايهم فيه فأمرهم ان يكتبوا على لسانهم كتابا يتضمن مفهوم كتابهم، وعين أربعة أجفان للسفر الى حضرة السلطان، وقدم عليهم رجلا اسمه الحاج حسين، ووجه معه هدية عظيمة.

فوصلت الأجفان الى حضرة السلطان سليم، ونزلوا بتلك الهدية الى الوزير الأعظم، فأعلم السلطان بقدومهم وواصل اليه الهدية التي قدموا بها، فقبلها السلطان وأمر بإنزالهم الى دار الضيافة وأجرى عليهم النفقة ووجه صحبتهم سنجقا وكتابا الى أهل الجزائر يقول ما كتبوا اليه، وأنهم ممن تشملهم عنايته وتحرسهم رعايته، فلما وصل الحاج حسين الوزير بكتاب السلطان سليم الى الجزائر، استقر خير الدين أميرا بالجزائر من قبل السلطان

الأعظم سليم خان، وصرف دعوتها اليه وأمر بذكره على منابرها وضرب السكة عليه».

محمد بن رقية التلمساني،

الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة

مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقم 1626.

نصّ عدد 14 :

الهجوم الاسباني على الجزائر
في مدة حسن أغا

وكان خير الدين لما سافر من الجزائر الى اصطنبول ترك بها نائبا عنه كما تقدم وكان اسمه حسنا أغا وكان رجلا عاقلا وحازما سديد الرأي جيد التدبير وكان له حظ من العلم والصلاح كريم النفس سخيا بالمال باذلا للمعروف يراعي العلماء والصلحاء وأهل الخير مع العدل الشامل والاهتمام بأحوال الرعية الكامل ولذلك تفرس فيه خير الدين فجعله نائبا عنه لما احتوى عليه من هذه المناقب العظيمة فصارت له بذلك محبة عظيمة في قلوب اهل البلد وكان أنشأ إحدى وثلاثين غلياطة بعد انتقال خير الدين من الجزائر فاشتدت بذلك وطأته على اصبانية واحتوى على الكثير من أجفانهم وعاث في أطراف سواحلهم وفعل بهم ماكان يفعله بهم خير الدين أو أكثر فرأى الطاغية ان يتوجه الى الجزائر بتلك العمارة التي أسلفنا ذكرها وأخفى هذا الخبر مكيدة منه وهي عادة باقية عنهم الى الآن إذا وجهوا عمارة الى ساحل من السواحل فانهم لا يفشون خبر سفرهم الا في اليوم الثالث بقراءة الرسم الذي يوجهه معهم طاغيتهم وكان الطاغية بعث الى صاحب بلاد الجنوين يأمره بتجهيز ما عنده من الأجفان وإعدادها للسفر ووجهه هو بالعمارة الى بلاد جنوة فاجتمع العمارتان هنالك وكان عدد ما فيها من الأجفان اربعمائة وقيل أربعمائة وخمسون جفنا وكان عدد المقاتلة خمسين ألفا ولما تهيأ له ما أراد من تجهيز هذه العمارة سافر بها بنفسه الى الجزائر فأرسى يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وتسعمائة.

ثم إن حسنا أغا كتب كتابا الى الديوان العالي بخبرهم بما كتب الله سبحانه وتعالى لأهل الجزائر مع عدوهم وكيف نصرهم عليه وعين للسفر غلياطة ووجهها بهذا الكتاب الى حضرة السلطان، وأما المدافع التي خلفها النصارى يقال ان عدتها مائتان وقيل مائة، فان المسلمين حملوها وزينوا بها

الحصون الحربية وسائر أسوار المدينة فوصلت هذه الغلياطة بالكتاب الذي وجهه أغا. فعند ذلك وجه اليه السلطان بخلعة سنية وأمر كريم يتضمن نيابته بالجزائر من قبل السلطان وأنه من جملة وزرائه ووجه بخلع لأعيان أهل الجزائر. وأما الرسل الذين توجهوا الى السلطان فانه واصل عليهم الانعام وأجزل لهم الجوائز والبشارات فسافروا الى مدينة الجزائر فوصلوها واجتمعوا بحسن أغا، فنصب ديوانا عظيما قرأ فيه أمر السلطان الذي بعثه وألبس فيه الخلعة التي أتت اليه وكذلك ألبس أعيان الجزائر الخلع التي وصلت اليهم فدعوا للسلطان بطول البقاء وبقيت الجزائر كالعروس تختال في حليها وحللها من رخاء الأسعار وأمان الأخطار ولم يبق لهم عدو يخافون منه وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها وبقي رعب المسلمين في قلوب الكفارة مدة طويلة بقدرة العزيز القهار.

مجهول، غزوات عرّوج وخير الدين

تحقيق : نور الدين عبد القادر الجزائر

1934 ص ص 33ـ 35.

نصّ عدد 15 :

فتنة قسنطينة

وكان (سيدي عبد الكريم الفكّون) ممّن لا تأخذه في الله لومة لائم، إمتحن زمان الفتنة الواقعة بالبلد سنة 975 هـ، حين وجهه أهل البلد لمّا قاموا على واليها إذ ذاك فوجهوه لمحروسة الجزائر، دار سلطنتها وصحبه أبو محمد عبد اللطيف المسبّح المذكور وغيره، فلمّا انصرفوا خلعوا البيعة (من العثمانيين)، وصادفهم خبر ذلك بعد استقرارهم بدار السلطنة المذكورة، وبعد أن قضّوا مآربهم وما بعثوا من أجله وفرح بهم الأمير فرحا كبيرا وأحلّهم دار الكرامة، وأنزلهم منزلة قربى، فأتاهم الخبر بما أحدثه أهل البلدة بعدهم من نهب الدّور وخلع ربقة البيعة من أعناقهم ففرّوا من دار السلطنة قاصدين زواوة، فبعث في إثرهم فسجنهم، ثم تبصّر فلم ير لهم وجها يوجب ذلك فأطلق سبيلهم بعد اعتذار منهم عن قرارهم المذكور ...

... وخرج مرّة لنواحي البلدة بقصد حاجة ... هو وصاحبه أبو محمد عبد اللطيف المسبح المذكور وجدّي للأم مزوار الشرفاء إذ ذاك وقائد جيش البلد، فمسكهم الأعراب المتغلّبة على البلد في بعض مالهم تحت يد السلطنة، وبقوا مدّة، فكان لا يأكل طعامهم وأوهم بإخلاء بيت صغير له للخلوة به، فلازم العكوف فيه ... فما خرجوا من عندهم إلاّ واستأصلهم العياشي فلم يترك لهم حافرا ولا بيتا ولا ماشية، وكانوا يقولون : إنهم يجعلون طرفا من برنس أو كساء يدخلون تحته جماعة، وكانوا يرون أنه من بركة دعاءه عليهم فيتحدّثون بها سلفا عن خلف.

عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي - بيروت 1987، ص ص 48 - 49.

نصّ عدد 16 :

مذكرة حول

حكومة الجزائر 1681

إن حكومة هذه المملكة كانت منذ عشر سنين عبارة عن نوع من جمهورية طاغية الى درجة أنها تمثل الرعب حتى للميليشيا نفسها، فهي نوع من الأوليجاركية، ورئيس هذه الدولة هو الحاج هليل. فليس له أي لقب او رتبة رفيعة ... لا يوجد هناك ملك في هذه المملكة وإنما يوجد نائب للملك الذي هو الباشا، فهذا الامير ليس له اي دور في تسيير الشؤون العامة، ورتبته هي عبارة عن رتبة شرفية كممثل شخصي للسيد الكبير (السلطان) والتي لا تعرف هاته البلاد بأية سلطة له الا في الحدود الذي يتفق ذلك ومصالحها ومع دينها.

ومنصب الداي هو من الخطورة الى درجة ان الكثيرين يرفضونه فيفضلون المنفى على قبول تقليده، والداي ليس له مورد سوى معاشه كضابط قديم، أي مبلغ مائة وستة قروش في السنة وهو أعلى مرتب يمكن تقاضيه في الجزائر ... ولممارسة هذه الوظيفة بكل ما يرتبط بها من المهام فان البايات الثلاثة يدفعون له ثلاثة آلاف قرش كل سنة (بها يغطي نفقاته ويدفع رواتب حراسه)،

اسماعيل باشا يضع خاتمه على عقود الحكومة، على الرغم من كونه ليس له حق الحضور حتى في الديوان سوى في المراسيم، فهو يباشر هذه المهمة منذ أربعة عشر عاما.

آغا المليشيا

القاضي والمفتي

فالمفتي الاعلى هو من سكان البلاد وهو يشرف على إدارة الجامع الأعظم، بحيث أن المفتي والقاضي والباشا هم الموظفون الوحيدون في الديوان

الذين لهم تعيين من السيد الكبير (السلطان) والموظفون الآخرون يتم اختيارهم من طرف مليشيا الراتب.

الديوان

وهو يتكون من 35 شخصا وهم الداي الذي هو الحاكم ومن الباشا وأربعة كتاب أو خوجات ومن القاضي والمفتي والآغا والكاهية ومن اثني عشر أبا بولوك واثني عشر أبا باشي.

وهو يجتمع كل يوم لدراسة المسائل القليلة الأهمية التي تطرأ وكل يوم سبت لدراسة المسائل ذات الاهمية ...

أرشيف الخارجية الفرنسية،

مجموعة مذكرات ووثائق الجزائر،

جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث**، الجزائر 1987.

نصّ عدد 17 :

خلع العسكر لشعبان داي

وكان بعدرجوعه من تونس من ظلمه تحزّب عليه بعض خواصه من الأتراك ورئيسهم رجل يقال له محمود خوجة كان قد أحسن اليه شعبان غاية وأرادوا قتله في صلاة الجمعة وهو في المسجد يصلي في صلاة الجمعة الأولى فرموا عليه بندقة فلم تخرج وكذبت ثم اخرجوا عليه شاقورا فاخذ أيديهم بعض من حضر وخرج شعبان من الجامع هاربا بلا نعل ولم يصل الجمعة ثم انه احضر محمود المذكور وقال له ما حملك على هذا وقد احسنت اليك بما بلغك فقال له اخبرني بمن معك وعليك الامان قال له الكل معي قال له عين لي من هم قال له لا ولم يخبره بأحد فقتله وواحد معه او اثنين وكانت هذه مبدأ تضعضع الامر عليه فبلغني بعد هذه الحكاية انه كان يضع تلك البندقية والشاقور بإزائه فكل من جاءه اراه اياهما ثم يقول اليهود والنصارى هل يقتلون احدا في كنائسهم ورأيت له ورقة بالتركية كتبها للعسكر الذين كانوا خارج الجزائر الذين كان مبدأ القيام منهم عليه واتفقوا على عزله وسببه انه كان قبل كتب لهم ان يتوجهوا الى تونس لمقاتلة محمد باي ثانيا وهو يدركهم بعد فلما قاموا عليه وتحزبوا متوجهين لعزله كتب لهم هذه الورقة ويقول فيها وحق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وروحه الشريفة والقرآن العظيم وحجه وصلاته وحياة السلطان العثماني ونعمته اني ما كتبت لكم بالتوجه الى تونس ولا عندي خبر وارجعوا وعليكم الأمان التام فلم يلتفتوا اليه فبعث لهم القاضي والمفتي المالكي والحنفي باشا الوقت فلم يعتبروهم وتحزب معهم عدة أتراك كان نفاهم شعبان المذكور من الجزائر فوجدوا خارجا فالتفوا اليهم وكان الكل عقبة واحدة وساعدهم من كان داخل الجزائر من الجزائر وخلعوه وفعلوا به ما ذكرناه ...

أحمد برناز، **الشهب المحرقة لمن ادعى الاجتهاد لو لا انقطاعه من أهل المخرقة**، مخطوط المكتبة الوطنية بتونس عدد 5849 ورقة عدد 97.

نصٌ عدد 18 :

صالح باي قسنطينة (1771 ـ 1792م)

... واتقن بنيانها، فكان فيها منفعة للعباد ومصلحة، وحصنا للبلاد واسس المساجد للديانات، وأجرى للضعفاء والقليلين الصدقات فبذلك كانت احواله في غاية الاستقامة والرعية طائعين اليه ومنقادة، وقد أعطاه الله من صلبه كثيرا من الأولاد وملك الاملاك في كل البلاد، وعم الخير كل العباد، وكان صالح باي المذكور يخرج الى الوطن يخلص مطالبه بالتمام في مدّة قليلة من الأيام، وهو الذي أسس مرسى سكيكدة وشهرها وصار كل الأجناس يأخذون الوسق منها،وقد انجزت له من تلك المرسى فوائد عديدة وذخائر نفيسة وتمهدت كل الأوطان في عصره، ونال من الخيرات ما لم ناله (كذا) ولا أدركوها المتأخرين (كذا) الا صالح باي وصلها واقام عليها سبعين يوما حتى طوعها. وتحصل بيده الفوائد الكثيرة منها ورجع الى قسنطينة من بعد اغتنامه بذلك الغنيمة، وعاش في زمانه عيشة محضية وأحواله سديدة مرضية، ولما قرب أجله وحانت وفاته تبدلت سيرته وانعكست حقيقته وصار يظلم ناس الزاوية حتى أفضى به ذلك الى الهلاك والهاوية، هذا الوقت جاء الخبر من الجزائر بموت الباشا الذي كان رجع صالح باي، ورجع البايات الذي قبله، وتولى باشا آخر فما كان من أيام قلائل إلا وقد أمر بعزل صالح باي وانتقاله الى الجزائر باولاده وأهله ورجع باي آخر وبعثه من الجزائر.

صالح ابن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلدة قسنطينة واستيلائهم على أوطانها،

المجلة الافريقية، 1913،

ص ص 70 -95

نصّ عدد 19 :

ولاية حسن باشا

مرض محمد باشا في سرايته ولما أشرف على الهلاك تكلّم علي برغل خزندار مع الخزناجي حسن، انه اذا توفي الباشا فانه يرسل اليه خفية ليقدم الى دار الامارة، ويتولى باشا حسب العادة، وذلك خفية من علي آغا.

فلما كان يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة الحرام سنة 1205هـ / 1791م وقدم الوزراء كعادتهم ودخلوا لدار الامارة فاتاهم وكيل الحرج المذكور وسألوه عن الامير كيف اصبح فقال لهم انه وجد الراحة في هذه الليلة، وكان قد مات ليلتئذ رحمه الله، فامروه ان يبلغ له سلامهم ...

وكان علي آغا المعروف بالقهواجي، يريد ان يتولى باشا بعد وفاة الأمير خلافا للعادة لانه من عادتهم اذا مات الأمير يتولى مكانه الخزناجي، والآغا يتولى خزناجيا لكن علي آغا اراد ان يتقدم الخزناجي لانه رأى نفسه شجاعا وذا بأس وقوة.

ولما كان وقت الضحى وتحقق وكيل الحرج ان الوزراء كلهم نائمون في بيوتهم، بعث لحسن الخزناجي خفية يستقدمه، فوجده الرسول مستعدا وذهب معه في الحين، ولما مر على باب علي آغا رآه خدمه فاخبروا سيدهم فقام وحمل بناديق صغيرة تحت ثيابه، وذهب في اثره.

ولما دخل الخزناجي دار الامارة استدعى كبير النوابجية، اعني العساسين، وأمره ان يقبض على علي آغا ان قدم وينزع عنه سلاحه، ويبقيه عندهم الى ان يأمرهم ودخل مقابل لكرسي الملك، وجلس، ثم استدعى الوزراء والعلماء واعيان البلاد، فلما حضروا عنده، أعلمهم بموت الأمير، وأنه أوصى اليه، فبايعه أهل الحلّ والعقد ولبس الخلعة السلطانية، وأطلعوا الصناجق بدار الامارة، وضربت النوبة واطلقت المدافع، ونادى مناديه في أسواق البلد بالعافية والأمان وموت الامير، وتولية حسن باشا.

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزّهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر 1980 ص ص 51-52.

نصّ عدد 20 :

عمرة الباشا حسين

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وعلى آله وصحبه سلاما تاما، فليعلم ما هو آت : الى كلّ من سمع بعمرتنا هذه من القواد او العمال، ومن الخاص والعام بمدينة القيروان وولايتها.

لقد ثبت لدينا وأيقنّا ان الشيخ المحترم المتّع بمغفرة الله، المقدّس المرحوم سيدي ابو عبد الله محمد الغرياني هو الذي كان سببا في فتح مدينة القيروان وإدخالها في طاعة السلاطين العثمانيين، بالتعاون مع المقدّس خديم آل عثمان، الذي سطعت آثاره واعماله الجليلة ابو الخيرات درغوث باشا برّد الله ثراه، الذي أقرّ الشيخ المذكور شيخا على مدينة القيروان وأشار عليه بالسهر على استبقاء الامن، مستعينا بعساكر آل عثمان المنصورة التي خلّفها بالمدينة.

ولم ينثن الشيخ المذكور على تقديم خدماته الجليلة، عاضدا دون كلل العساكر العثمانية المنصورة المستقرة بالمدينة، وبكل المواقع الخاضعة للسلاطين العثمانيين، فقد جمع الأحلاف بالقيروان لنصرة الأسطول في اخراج النصارى دمّرهم الله من تونس وحلق الوادي، وأنه قد عاضدهم أيضا في حملتهم التي شنوها ضد حصن الحمامات، وبلدة لجم، ومنطقة الجريد وبلاد قفصة وغيرها، وذلك باستمالة العرب المنافقين وإقناعهم بطلب الأمان عاملا بذلك على تمتين حكم السلطنة العثمانية، وقد كان هذا دأبه الى أن قبضه الله.

وخلّف أولادا، من بينهم الشيخ أبو بكر الذي بانت علامات نضجه وسطعت خصاله منذ نعومة أظافره.

وقد استخرنا الله وأقررناه في طريقة أبيه على الصفة المعلومة، ومكّناه من عزيب والده، وفقرائه، ورعاياه سواء أولئك الذين بقوا في حوزته، او أولئك الذين انظموا الى طريقته آمرين باستعادتهم من يد من استحاط بهم على الوجه الذي كانوا عليه ايام استرعائهم من قبله.

ويكوّن جميع هؤلاء التلمود الذي يوجد على رأسه عبد الصادق، وابراهيم وبقية مسترعي ومريدي والدهم أبي بكر، بما في ذلك أولاد زفاق، وأولاد محمد، وأتباع الشيخ المرحوم المعلومين له بوسلات، إستعادة تامة دون معارضة او نقض او مقاومة، ومن يتعرّض من العمال الى الشيخ أو الى أحد من أتباعه وفقرائه فالله حسيبه ومتولّيه.

ويتمتع أبو بكر على العادة بمرتب قدره ستة عشر درهما في اليوم، يحصل عليه من آداء سوق الخرازين، كما يعفى من العشر والمجابي كل العاملين على أراضيه بالقيروان وبقية أراضي العمالة، إعفاء تاما من كل المطالب والسلام،

وحرر بأمر من عبده المتوكل على الله الباشا أبو محمد حسين أيّده الله، بتاريخ أوائل شهر شعبان من عام أربعة وألف من الهجرة (ربيع 1596م).

Monchicourt (ch). **Etudes Kairouanaises. Kairouan et les chabbia** ; Tunis 1939 - pp. 176

تعريب لطفي عيسى،

أنظر أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ،

سراس للنشر تونس 1993 ص ص 137. 139.

نصّ عدد 21 :

حملة سنان باشا على تونس

ولما نمت أخبار تونس وما حلّ بها الى ملك بني عثمان وهو السلطان سليم جعل الله النصر والتمكين في عقبه الى يوم الدين، تاقت همته الى نزع الديار التونسية من ايدي الكفرة ويبدل عوضهم أناسا بررة ... فانتدب لهذا الامر سنان باشا وجعله سردار العسكر واضاف اليه من يكون له النظر على المراكب البحرية ومن كانت له بالبحر خبرة ودراية وهو قبطان البحر قلج علي باشا ... وانعم السلطان عليهما بتشاريفه المعتادة وحكمهما فيما يحتاجان اليه من آلات السفر وزيادة وشحنت المركب بما يحتاج اليه من الذخائر والاموال وآلات الحرب وبرز العسكر من القسطنطينية غرّة ربيع الأول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وكان يوم خروج العسكر يوما مشهودا وشحنت الاغربة بالرجال وعددها مائتا قطعة ...

وفي الرابع والعشرين من الشهر بلغوا حلق الوادي ... وكان من قدر الله تعالى قبل وصول العمارة العثمانية بيوم وصل الى تونس الباشا حيدر من القيروان ... وكذلك مصطفى باشا صاحب مدينة طرابلس فحضر الى تونس ونزلا معا بازاء المدينة في سيجوم لقصد محاصرتها وفي آخر اليوم ظهرت مراكب أخرى في البحر ... وجاءتهم الأخبارمن عند الوزير سنان باشا ... فلما سمع عندهم الخبر قويت نفوسهم ...

فلما راى السلطان محمد الحفصي ومن معه من النصارى كثرة العساكر علموا ان لا طاقة لهم بالقتال هذا مع أن قلعة تونس كان اكثرها خرابا لتواتر المحن وقلة الاهتمام وكذلك المدينة لم تكن معمورة باهلها بل غاليها خراب ايضا ... فعجزوا عن تحصين البلد وقلعتها فخرجوا ... عند ذلك خلت المدينة وقصبتها ولم يبق بهما من يصونها فدخل العسكر العثماني من كل جهة وملكوا المدينة وقلعتها وحصونها ...

ولما اتم سنان باشا ما فتح الله عليه بحلق الوادي ثنى عزمه المبارك الى البلد الذي لم يخلق مثلها في البلاد، فرجع بعسكره المنصور الى تونس واجتمع بالغزاة المحاصرين قلعة البستيون وهم في اشدّ القتال ... وملك المسلمون البستيون، ولما تم له هذاالفتح، بعث بالخبر الى الأبواب العالية ... وأنعم على من كان في ركابه من الزعماء والأكابر وبذل احسانه لمن كان معه من العساكر وأنعم على كل صاحب مرتبة بما يستحقه ... ومهّد البلاد وأمن العباد، وقمع وخافه أهل الفساد، وترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار الينشرية ... ورجع إلى تلك الدّيار.

ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار افريقيا وتونس**، تحقيق محمد شمام، تونس 1963، ص ص 175 ـ 189.

نصّ عدد 22 :

النزاع الذي وقع بين الديوان والأهالي بسبب بعض أملاك الدولة

إلى ممثلي المالية وخزينة كل من ايالة الجزائر وتونس وطرابلس وقاضي الجزائر. لقد تم إعلام الباب العالي بواسطة رسالة من الديوان، كيف قام بعض الأتراك والعرب من الرعايا بشراء بعض الآملاك والأراضي من بيت المال. وعندما بدؤوا في استخلاصها، طلبوا منهم علي غرار الرعايا والأهالي، دفع الضرائب والأعشار عليها، قاموا بالاحتجاج بأن الأراضي التي اشتروها بأموالهم الخاصة من بيت المال هي أملاكهم الخاصة ولديهم وثائق تشهد بملكيتهم لتلك الأراضي (وثائق التملك). وعليه رفضوا دفع الضرائب والأعشار الرسمية والشرعية. وعليه وأمام هذا الوضع نطالبك بإحضار كل واحد من هؤلاء الرّعايا والتّحقيق في وثيقة التّملّك وشرعيّتها. فإذا كانت الأملاك تأخذ عليها الضّراءب والأعشار سابقا، فليتم إذن دفعها حسب العادة القديمة إلى خزينة الدولة ولا يعفى من هذه الضرائب بحجة أو بمجرد شراء الأتراك من بيت المال.

مهمة دفتري 8/36 محرم 987 - 7 مارس 1579.

ورد في التميمي (ع)، «الملكية العقارية ونظام الزعامة والتّيمار بإيالة تونس العثمانية (1574- 1588)» في **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، عدد 11و12
زغوان، 1995، ص 188

نصّ عدد 23 :

فيما يخص قضية ضم قفصة بين تونس وطرابلس الغرب

هذا حكمنا الشريف إلى بايلرباي طرابلس حيدر باشا وممثلها المالي :

لقد وصلت إلى مسامع عتبة الدولة العثمانية قضية بلاد قفصة التي شرحتم فيها بأنها كانت منذ القدم، قد فتحت إلى جانب طرابلس الغرب وتمت إدارتها وضبطها مع هذه الإيالة. ولكن بعد فتح تونس تم ضم قفصة لها. ولكن وبعد ظهور تمرد الأعراب العصاة بها، جاء الأمر بتأديب هؤلاء العربان وضم قفصة إلى إدارة طرابلس الغرب. وعليه بعد ضبط هذه الولاية والتصرف فيها كما هو الشأن في عهد الياس باشا، ظهرت من جديد مشكلة ضم وإعادة هذه الولاية إلى تونس والذي صرح حاكمها أو بايلرباي تونس، بأنه في صورة عدم ضمها، فإن موارد ومصاريف البلاد لا تكفي، ولكن في نفس الوقت يعرض بايلر باي طرابلس أنه في حالة إلحاق هذه الولاية بتونس، تقل كذلك موارد المال بهذه الإيالة، وعليه فإنني أقر بضم قفصة إلى طرابلس الغرب، كما كانت في القديم، والعمل على تتبع وزيادة الحيطة والحذر من الأعراب العصاة.

مهمة دفتري 9/36 صفر 987 / مارس 1597

ورد في التميمي (ع)، «الملكية العقارية ونظام الزعامة والتيمار بإيالة تونس العثمانية (1574-1588)»
في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد 11و12
زغوان، 1995، ص 188

نصّ عدد 24

عثمان داي والشيخ القشاش

قال العبد الفقير الى الله تعالى المنتصر غفر الله له: كان بجوار الشيخ سيدي أبو الغيث رضي الله عنه، تركي اسمه عثمان، وكان هذا التركي يستخدم مع الفقراء في الزاوية، ويرفع الخبز العجين للكوشة، ويجيب الطايب على رأسه، والشيخ رضي الله عنه يوصي عليه ويقول : «يا فقراء الله الله في عثمان، لأنه يكون في أمره شأن عظيم!».

فكان له شأن عظيم مثلما قال الشيخ رضي الله عنه، فصار هذا التركي صاحب رأي ومقال، وعقل وعقب رجيح عند جيش تونس، حتى أنه صار دايا عند الترك، وبلغ خبره المغرب والمشرق وصار عدواً للزاوية وللفقراء، وملك ملكا عظيما، وسعى مالا كثيراقناطير مقنطرة من الذهب والفضة والجوهر، وهو عدوّ للزاوية وللفقراء وللشيخ.

... وكان للشيخ رعايا وعزوبات من الابل والبقر والغنم والخيل، ثم أن هذا التركي عثمان جار فيه الرّعيّة وكان لسيدي أحمد بن عروس رعية كذلك وكان للشيخ سيدي منصور بن جردان رعية وكذلك للشيخ المعظم سيدي محرز رعية، ولمشايخ معروفين رعايا، فدخل للديوان متاع الترك وقال لهم : «هذه الرعية الذين يأكلون هذه الزوايا والمرابطين، كلها نقص على دار المخزن، وانا أدبر عليكم رأيا سديدا »، فقالوا له :«الرأي رأيك، ما يكون فيهم»، فقال لهم :«الرأي عندي أن تفكّوا هذه الرعايا، وتستعان بهم دار المخزن».

فكان كذلك ، ففكّوا رعايا الزاوية كلهم، فلمّا سمع الشيخ بفعلهم، وما فعلوا بأخذهم في الرّعية، لا غاض ولا فاض، وزاد في سماطه في إطعام الفقراء المساكين، وأما أهل الزوايا الآخرين، فإنهم تكلّموا في الديوان على رعيتهم فبخسوهم وردّوهم بغير شيء.

ولمّا أن واطأ الشـيخ رأسـه رضي الله عنه، ولم يبـعث لهم، قـالـوا الترك : «كيف أهل الزوايا بعثوا لنا على رعيتهم والشيخ سيدي أبو الغيث لم يبعث ولم يطلب ردّ رعيتـه عليه، ابعثوا اليـه»، فبعثوا اليـه من الديوان فـردّ لهم الجـواب أن قـال لهم : «أنا واقف بالله وبرسـوله، مـانيـشـي واقف بالرعـيـة ولا بالعـزيـب»، قـالوا له : «نردّوا عليك رعـيـتك واسـمح خـاطرك علينا» فقال لهم : «لا أقبل رعيـتي، حتى تردّوا رعـايا الزوايا كلهم»، فقالوا له : «لاَ رعيتك فردّت عليك، وأمّا رعية الزوايا لا سبيل في ردّها».

فـأبى أن يقبل رعيـته دون رعـيـة الزوايا، فلمّا طالت المدّة، والشيخ رضي الله عنه ساكن ولم يبعث لهم وهو مع ذلك يزداد كل يوم في الخير وفي إطعام الطعـام، وفي رزق وانبسـاط مع الفقـراء وحضاري كل يوم وليلة، حتى أيسهم، فرجعوا على انفسهم وقالوا : «هذا الشيخ أخذنا رعيتـه ولم يزداد عنده الأمـر ولم ينقص وهو كل يوم يزداد في خـيـر وفي الاطعـام للفـقـراء والمساكين ولأهل السجن والمدارس، لا يكون هذا هو قال : «لا أقبل رعـيـتي الا برعـية المرابطين»، هذا هو حدّ الكمال منه والبركة. «ردّوا عليـه رعيتـه، وردّوا رعية الزوايا لأجله ...».

المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب سيدي ابي الغيث القشاش**، مخطوط المكتبة الوطنية ـ تونس.

ورد في : لطفي عيسى، **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**، سراس للنشر ـ تونس 1993 ص ص 101 ـ 103.

نصّ عدد 25 :

ثورة الجند بتونس سنة 1591

فسيمت نفوس العسكر واضمروا لهم الشر وتعاقدوا بينهم على الفتك بهم في يوم معلوم وهو يوم الجمعة، وكان وكيل الحرج في الديوان واحد منهم اسمه طبال رجب وله عقب إلى اليوم فساعدهم على ما ارادوه ووعدهم انه لا يحضر ذلك اليوم ليكون البيت الذي فيه السلاح مغلقا بحيث لا يجدون سلاحا يذبون به عن انفسهم.

فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه واجتمع اهل الديوان دخل عليهم العسكر على حين غفلة ووضعوا السيف فيمن وجدوه هناك ولم يمنع الا من لم يحضر بنفسه وكانت هذه الواقعة آخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمائة. وكانت اشارة الشيخ القشاش قد تقدمت بما صار لهم ... لانهم كانوا طالبوه بمال ليستعينوا به على مرتباتهم فسولت لهم أنفسهم بمطالبته فطلبوه وارادوا اكراهه فبعث جماعة من الفقراء الى المجازر التي بتونس وامرهم باشتراء رؤوس الكباش فاجتمع له منها شيء كثير وفي اثناء ذلك حل بهم ما حل فكانوا يرون هاته الواقعة من كرامات الشيخ نفع الله به أمين.

ولما فعلوا فعلتهم تحزبوا احزابا وصار كل حزب منهم له رئيس فاجتمعت عدة رؤساء وصار كل رئيس يدعي باسم الداي وهذه اللفظة معناها خال باللسان العربي وهي عندهم تكبرة بمن ينادى بها وصارت جماعتهم تقرب من ثلاثمائة رجل، واذا حل بهم امر تجمعوا في القصبة وتشاوروا بينهم الى ان يتفقوا على رأي واحد ولكن لا يتم لهم امر من كثرة داياتهم.

وكان أكبرهم اذ ذاك ابراهيم داي اشتهر بينهم بشجاعته وكثرة جماعته الا انه لم ينفرد بينهم بالحكم فمكث على حاله ثلاث سنين وطلب منهم دستورا لزيارة الحرمين فاذنوا له وفارقهم ولم يعد ...

ولما خرج من بين اظهرهم قام مقامه موسى داي واراد ان ينفرد بكلمته في الحكم فلم يتم له مراده فلما رأى الاضطراب في العسكر والهرج

بينهم ذلت نفسه فمكث نحو سنة وطلب منهم المسير الى الحج كما طلب ابراهيم داي فاذنوا له.

ابن ابي دينار، **المؤنس في اخبار افريقية وتونس**،
تحقيق محمد شمام تونس 1963 . ص ص 200. 201.

نصّ عدد 26 :

رجوع جربة إلى حكم تونس

وقال الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي أيضا :

وممّا سمعناه في عصرنا أنّه وقعت واقعة بين الوهبيّة ومستاوة عام 906 هـ، ستة وتسع مائة. وهي عام السبخة لوقوعها في السبخة الكائنة بين سوق مستواة المعروف بالسوق القبلي وحصن القشتيل.

ودخول النصارى القشتيل عام 978 هـ ثمانية وسبعين وتسعمائة، مكثوا فيه تسعة أشهر أخرجهم منهم درغوث باشا بعمارة من السلطان العثماني ومعاونة أهل جربة، بعد محاصرة القشتيل ثلاثة أشهر واحتلوه عنوة وقتلوا من وجدوا فيه من النصارى.

وبنو بجثتهم ورؤوسهم برجا قرب البرج الشمالي، المعروف ببرج الرّوس قرب القشتيل. وشيخ جربة اذاك الشيخ مسعود بن الشيخ صالح السّمومني وهو آخر أمراء السمومنيين على جربة

ثم أن مسعود لم يحسن السيرة في أهل جربة فجار عليهم وظلمهم فسجنوه في سجن القشتيل بعد عزلهم إيّاه. وكتبوا إلى أميرتونس أحمد الحفصي أن يمدّهم بقوّة، فلم يلتفت إليهم لعجزه. وولّي درغوث موسي بن الجلود أميرا على جربة من بعد موت مسعود المتوفى في سنة 967 هـ، ورجع درغوث إلى طرابلس ومات في محاربته لمالطة سنة 972هـ، فولى على طرابلس جعفر باشا.

واتخذت تونس عام 980هـ، ثمانين وتسعمائة، نزل عليها النصراني يوم الخميس، وصارت في ملكه يوم الجمعة، وفكها علي باشا من النصارى عام 981هـ، واحد وثمانين وتسعمائة.

والقائم الذي ظهر ببلاد طرابلس عام 999 هـ، تسعة وتسعين وتسعمائة، وهو القاتل للنفوس رحمه الله.

ومات الشيخ موسى البجلودي [1]المتولي لمشيخة جربة بعد السمومنين عند تمام 1000 ألف، سنة من الهجرة. ومات ابنه الشيخ محمد عام 1005 هـ، خمسة بعد ألف.

وتولى ابنه عـمـر بن الجلود فـزار جـعـفـر باشـا والي طرابلس سنة 1007هـ، وفي غيبته عزله أهل جربة لسوء سيرته، وولّوا عليهم عبد اللّه بن الحاج يونس البرجي أميرا. وبعثوا إلى عثمان داي والي تونس يطلبون منه المدد ويولونه جربة فبلغ الخبر جعفر فاغتاظ وزحف بعساكره في السفن ومعه الشيخ عمر بن موسى بن الجلود أمير جربة الأول، فنزلوا الجزيرة على ساحلها القبلي بمرسى أغير. وانضمّ إلى جعفر سكان الجهة الشرقيّة القبليّة لخلافهم فالتقوا بالشيخ عبد اللّه البرجي، فدارت رحاهم، واستدارت رحى عبد اللّه فانهزم لكثرة جيوشهم وقلّة من معه وأراد الفرار من طريق القنطرة، فقبض عليه سكان آركو وسلّموه إلى جعفر صديقهم، فقتله وسلخه وملأ جلده نخالة وبعثه إلى طرابلس معه هدية لأهلها ،(قبحه اللّه ما أقسى قلبه الكنود). ونهب الجيش الطرابلسي الجزيرة وقتل الكثير من أهلها . وأقام الأمير عمر بن الجلود أميرا على جربة، ثمّ وصل جيش عثمان داي أمير تونس إلي جربة لمحاربة عساكر طرابلس وإخراجهم منها فأخرجوهم بعد قتال مات فيه من أهل جربة اثنان وأربعون رجلا.

- ورجعت جربة تابعة إلى تونس سنة 1014 هـ : 1605 - 1606م.

سليمان بن أحمد الحيلاني الجربي،
علماء جربة
تحقيق محمد قوجة، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، 1998، ص 51-54

نصّ عدد 27 :

واقعة الملاسين

... أبو النّصر مراد باي انفرد بتدبير الاوطان بعد وفاة والده المرحوم وكان تخلّى له عنها في حياته ولما توفي والده تم له الأمر ... وله سطوة وصولة قامعا للأعراب لم تقم لأحد منهم قائمة في ايامه متفقدا لأحوال رعيته قاهرا من عاداه مهد البلاد كتمهيد والده وأجرى الامور على عادته.

لم تجر في أيامه حادثة تتكدّر منها النفوس الا الواقعة المشهورة التي يعبّر عنها بواقعة الملاسين ... وبهذه الواقعة انفتحت أبواب الفتن، وابتدأ أهل تونس الشدة والبأساء وصودروا بالمحن، ونذكر بعضها على وجه الاختصار، وذلك أن الباي المذكور لم يكن له اهتمام الا بأمور الرعايا التي في الأوطان، ومدبّر المدينة وأهلها على مثل ما سبق هو الدولاتلي والمستولي في هذه المدّة الحاج شعبان داي ... فاغراه بعض الأعداء من اتباع الباي ومن كان تحت نظره وقد سولت له نفسه ان يقوم مقامه فاتفق مع جماعة وحسنوا للداي المذكور مّا لم يكن حسنا ولا راد لأمر الله واتفقت آرائهم الفاسدة على الفتك به وذلك موجبه الحسد ... وكتب اليه بعض اصدقائه بالخبر فلما ثبت عنده ما أضمره رجع بمحلته كعادته وكتم سرّه ولم يظهره الا لمن يثق به من بطانته، ولما قرب من المدينة بمرحلة خرجت وجوه الناس كعادتهم الى لقائه وخرج ابن أحمد خوجة وأحمد بن القائد جعفر وهو أحد مماليكه وثبت عنده أنهما أصل الفتنة وهما اللذان اغريا الداي فلما سلما عليه قبض عليهما ورجع بهما الى محلته فما شعر الداي بذلك علم أنه المطلوب فبعث جماعة من أكابر دولته يعتذر الى الباي وأنه ما أراد شيئا وإنّما أخبار كاذبة فلمّا وصلوا إلى المحلّة التقى بهم وأعلموه ما أرسلوا به فأخبرهم بدلائل قاطعة فاتّفق معهم على خلعه فخلعوه بين يديه وقدّموا هنالك من أراد وهو الحاج محمد منتشالي وبايعوه بين يديه ورجعوا به الى تونس وعند وصولهم القصبة دخلوا على الداي الحاج شعبان وخلعوه وأخرجوه وجلس منتشالي مكانه وكفاه

الله شر ما أرادوه ودخل إلى حضرة تونس مؤيدا فخافته نفوس اعدائه وتصرّف في البلد بنفاذ الكلمة وتيسر له ما لم يتيسّر لآبائه.

ابن ابي دينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**،
تحقيق محمد شمام تونس 1963،
ص ص 228. 229.

نصّ عدد 28 :

ولاية حسين بن علي

... فكان من قدر الله أن ولّى الامارة باتفاق الجمهور من عسكر مدينة تونس وخاصتها وعامتها ... بعد هروبه عنها أياما، وألزم عليها وتولاّها ...

ولما استقرّ على كرسي المملكة التونسية، وتصرّف في قطر بلاد افريقية، وسار في الناس سيرة مرضية، فما اطّلع على برّ ومعروف الاّ وأخذ في اتصاله، وقطع شوكة أهل البغي والفساد، وقمع طائفة الخلاف والعناد، وانقاد له العاصي، وأطاعه الدّاني والقاصي، ورفق بالفقراء والرعية ... وأمنت الطرقات وكثرت في أيامه الخيرات، فعمّر الرّباع والرّياض ...

... وبعد مرور أيام قلائل من استقراره تجهّز ورحل الى محلة الشتاء كعادة الأمراء المتقدّمين، فطرق مدينة القيروان، فوجدها على حالة من الهدم والخراب ... فلاحظها بعين الرعاية وشملها بساعد برّه ...

ثم بعد عوده الى حضرة تونس، جهّز مراكبه، وأرسل معهم رجالا من أجلاّء أوجاق تونس وبأيديهم مكاتيب تتضمّن ما وقع بمدينة تونس من الافتتان، وما هي عليه الآن من الأمن والأمان، منذ ولّى هذا الأمير الأكرم، والباي الأفخم، وعرضت الاحوال على اعتاب السلطنة العلية، وأبواب الدولة العثمانية، فقوبلوا أحسن قبول وحصل لهم المطلوب والمأمول، وكتبت التشاريف السنية، مع الخلع الخاصة الملكية، وفوّض له تفويضا تامّا في أوجاق تونس وأوطان افريقية، وحين عود المراكب من جانب الدولة العلية، حضرت العلماء والصلحاء وذوو الاحكام، وأهل ديوانها والخاص والعام، واحتفل له احتفالا عظيما، وعقد لذلك ديوانا

جسيما، وقرأت التشاريف ولبس الخلعة البهية، ودعا الداعي بدوام السلطنة العثمانية، وأطلقت البشائر وضربت النوبة السلطانية ...

حسين خوجة، **ذيل بشائر أهل الايمان بفتوحات آل عثمان،** تحقيق وتقديم الطاهر المعموري الدار العربية للكتاب، تونس 1975، ص ص 115 ـ 117.

نصّ عدد 29 :

وفد حسين بن علي الى جبل وسلات

... بلغوا الجبل وما هم قاصدون اليه فدخلوا في الخنقة وما خرجوا منها الا بعد التعب والوجل ... فهم في تلك الحال منتظرون فاذا بجماعة قليلة قادمون يتقدمهم شايب ...

فسلم على الجماعة وخصوصا على الشيخ الخضراوي ... فقال لهم الشيخ ... بالله عليك اجمعني مع علي باشا واحمد بن متيشة فقال له يا سيدي قيل ان علي باشا عليل ولم نره من زمان طويل ولم نسمع منه قيلا ولا قالا منذ حل بيورحال ولكن ان كنت أنت يا سيد الرجال واليك تشدّ الرحال فاسمع مني هذا المقال واحضر لي البال فقال له الشيخ قل واترك الخوف ... قال له أناشدك الله فلماذا نسبتمونا الى الكفر والعصيان وخصصتمونا بالبغي والعناد والعدوان قال له الشيخ : لمخالفتكم الجماعة والخروج عن السلطان قال له الشايب هل اتيناه الى تونس فقاتلناه ولباردو وحصرناه أو احد من رعيته أخذناه وبعث الينا من قيده علينا فعصيناه قال الشيخ اللهم لا قال له الشايب فما بالكم حينئذ اذا كان الامر كما ذكر حللتم قتلنا يا علمائنا وافتيتم بسبي اولادنا واهتك الستر عن حرايمنا وأخذ أموالنا ففي أي آية تجد هذا في كتاب الله او في الحديث ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إن قتال الناس حتى يقولون لا الاه الا الله فان قالوها عصموا مني دماءهم الا بحقها وحسابهم على الله فكيف تقتلون أنتم من قال لا اله إلا الله وعيالنا عندك نصر أن نخذلوه او نربطوه الى عمه نردوه أناشدك الله يا عالم العلماء ومصباح العلماء، ومرد البصر بعد العمى ان أنت جالس في دارك وصل بين أولادك وعيالك والطلب في اثره ما انت صانع به ؟ قال الشيخ : أحميه وبكل مال أفديه وان كانت لي قدرة. بها تنجيه، ومن الموت أفكه واحييه قال له الشايب، يا سبحان الله، والعباد كلهم خلق الله، فما الفرق بيننا وبينكم. قال الشيخ : اللهم نعم ثم، قال له الشايب : أناشدك الله وأسألك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو طرأ شيء على حسين باش وأزعجه ومن كرسيه

أخرجه وقصدنا وحل في وسطنا واحتمى بنا والقايم عليه اتانا وفيه طلبنا وبالمال أغوانا أفيه عيب ان أخذنا المال ورصدناه اليه.

قال الشيخ : كله عيب والله أعلم بالغيب. ثم قال له الشيخ : أوتيت فصل الخطاب، ولكن عجّل بما يرجع به من الجواب. قال له يا شيخ : أنت عندي من الحذاق وقد رأيت ان الحرب قد قامت على ساق والتفت الساق بالساق واتسع الخرق عن الراقع وصمت الاذن عن السامع وبعد حين ما نرى ديارنا الا خالية بلا قاع وهذا ما قدره الله، والامركله لله فارجع بسلام فما عليك ملام، هذا ما عند علي باشا وعندي وبهذا الخطاب أراني فلا مطمع في مقابلته ولا سبيل الى قصد دور رؤيته وعليكم السلام ورحمة الله وتركهم وولى والى الجبل علا فلما سمع الشيخ هذا الكلام وبقي هو والجماعة ومن معهم في المقام فقال الشيخ : ارجعوا بسلام ولا رادّ لما قضاه الله ولا حول ولا قوّة الا بالله وأخذوا في الرجوع وسالت من أعينهم الدموع وحصل في القلب الخشوع على ما حكم به الله ...

محمد الصغير بن يوسف الباجي،

المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي،

مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس

رقم 3536

نصّ عدد 30 :

بيعة علي باي

بويع (علي باي) أعزه الله تعالى يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من جمادى الثانية سنة اثنين وسبعين ومائة وألف 1172 / 1759 صبيحة الليلة التي توفي فيها أخوه مولانا ابو عبد الله محمد باي ... بقصره من باردو المعمور موتة تمناها الكثير من أمراء افريقية فحرموها. فاتفقت آراء الجميع على تولية مولانا أبقاه الله تعالى. فأول من بايعه الحاضرون من وزراء أخيه، وأهل دولته، وفيهم مفتي حضرته وخطيبه الشيخ الامام ابو عبد الله حسين بن ابراهيم البارودي، ولما نمي الخبر الى تونس صباحا هرعت اليه أفواج الناس على اختلاف طبقاتهم يريدون بيعته فحضرها أكابر العلماء، وأهل الديوان، ورؤساء العساكر، ووجوه الناس، فجلس لهم بصحن القصر من باردو المعمور، وبايعوه بيعة عامة، ثم وفد عليه أهل كل ناحية من المدن والقرى والضواحي من جميع المملكة وقاصيتها ببيعتهم طائعين غير مكرهين، بقلوب صادقة، ونيات صحيحة وعزائم ثابتة.

وكان من الاتفاق الغريب، وصنع الله العجيب، الدّال على صحة عقد هذه البيعة وثباتها ورسوخ قدمها، واتصال سعادتها، ان اتفق في ايام مرض مولانا محمد باي - رحمه الله - وصول قبجي باشا من حضرة الخلافة الخاقانية ومقر السلطنة العثمانية، بفرمانات التقليد والخلع بولايته - رحمه الله تعالى - باشا المملكة الافريقية، وولاية مولانا - أيده الله تعالى - باي العساكر وامير المحال المنصورة ومتولي جباية الأموال من البلاد، ونزل بجزيرة جربة ... فلم يتهيّأ وصوله إلاّ بعد الفراغ من دفنه، فاستحضر الداي وأهل الديوان والأكابر وجلس لهم مجلسا عاما بصحن قصره، وجلس الناس على مراتبهم، وحضر المفتون والقضاة والوزراء والحشم، وجميع أهل الدولة، ونشرت الأعلام وأحضر قبجي باشا، فدخل يشقّ الصفوف وبيده الفرمان والخلعة، فسلّم وقبّل يد مولانا ... وجلس في الموضع المعدّ لجلوس امثاله، بعد أن أخذت من يده الفرمانات والخلعة، وقام لها مولانا قائما على قدميه، وقام جميع الناس

بقيامه تعظيما للأمر. فلبسها وقرئ الفرمان الشريف وهم قيام وبعد الفراغ من قراءته جلس وجلسوا، وضربت النوبة وأطلقت المدافع. وحصلت البيعة العامة ثانيا من جميع من حضر وكان يوما مشهودا، فقوي بذلك أمره، واشتدّ عضده واتّفق له ما لم يتفق لغيره من حصول البيعة من أهل العقد والحلّ والتولية من قبل السلطان في وقت واحد، ولم يعهد اتفاق مثل هذا لغيره من ملوك افريقية، بل قصارهم ان يستقل احدهم بالملك ببيعة أو غلبة ثمّ يرسل الى حضرة السلطان يطلب التولية، فيأتيه التقليد والخلعة بعد أن يمكث في الملك مدّة فكان هذا الاتفاق لمولانا من عنوان السعادة ودليل العناية.

حمودة بن عبد العزيز،

الكتاب الباشي، تحقيق الشيخ محمد ماضور،

الدار التونسية للنشر 1970.

ص ص 44 ـ 46.

نصّ عدد 31 :

يوم الباي

قد جرت عادته ان يصلي كل يوم الصبح في الوقت جماعة يؤمه إمامه، ويشهدها معه الفقهاء الذين تكون نوبتهم في المبيت عنده ومماليكه ومؤذنوه، ثم بعد الانصراف من الصلاة ... يجلس للذكر وقراءة الورد الى ان تمضي ساعة من النهار او نحوها، فيخرج الى محكمته السامية، فاذا استقر على كرسيه دخل عليه خاصّة وزرائه فيقبّلون يده ويأخذون مواقفهم ثم يأذن لباقي الناس ويفعلون فعل من قبلهم من تقبيل يده والوقوف، ولا يجلس في محلّ الحكم الا الكتّاب فانهم يجلسون على مصاطب معدّة لهم مرتبين، ثم اذا كان هناك وفود من العرب او من أعيان الحواضر دخلوا فقبّلوا يده وانصرفوا، فاذا تمّ سلام الناس عليه طيف عليهم بصحون الحلواء، وبعدها بفناجين القهوة، ثم ينادي رئيس الحاشية (ياسعد) وذلك علامة على الاذن بدخول المتظلمين وأهل الشكايات فلا يحجب عنه فقير مستضعف ولا شيخ عاجز، ولا امرأة قاعدة، ولا بدويّ جاف ... ورئيس الحاشية واقف بين يديه يتلقّى كلامهم، فما كان من الظلامات ظاهر الحكم متكرر الامثال نفّذه من غير استئمار، وغيره يأمر فيه مولانا ... بامره، والكتاب يكتبون ما يصدر منه من الاحكام الى العمال ورؤساء النواحي ... ولا يزال جالسا بمجلس حكمه ينفذ أوامره الى ان لا يبقى مشتك ولا صاحب ظلامة ... فتنصرف الناس، ويمضي هو من مجلس حكمه فيطوف على ديار أهله ثم يخرج الى مكان من أماكن جلوسه فيستدعي خاصة كتابه فيجلسون ويسرد عليه احدهم جميع ما كتب في ذلك اليوم من الأوامر والتذاكر، وهو يصغي اليه ويسمع كل ما فيها فيجيز منها ما وافق الحكم والصواب، ويأمر بتمزيق ما خالف ذلك، ويلقي طابعه المبارك الى صاحب الطابع فيطبع ما أجيز منها وتفرّق على أصحابها، ثمّ يؤتي بالغذاء وذلك عند الزوال فيغذّي معه جماعة عشرة فما دون من خاصة كتابه وبعض خدامه وأكابر الأعراب ... فاذا انقضى الغداء انصرفوا فيدخل الى محلّ استراحته فينام قليلا ثم يفيق فلا يدخل اليه أحد

إلاّ من كانت له حاجة مهمّة، او يستدعيه هو، الى ان تبقى ساعة للعصر فيتوضأ ويستدعي الامام والفقهاء أصحاب نوبة المبيت فيصلون الظهر ثم يجلسون لقراءة صحيح البخاري، فاذا فرغوا من ذلك صلوا العصر لأول الوقت وانصرفوا.

وقد جرت العادة في جميع الممالك العثمانية ـ حرسها الله ـ بضرب النوبة بعد العصر ... فإذا فرغ من نوبة العصر بباب مولانا ... جلس ببيته المسماة ببيت الباشا لديوان العصر، فيدخل عليه خاصته وأتباعه فيقفون بين يديه صفين الاّ الكتاب يجلسون على عادتهم في أعلى البهو، فيطاف عليهم بفناجين القهوة، ثم قد يفصل في هذا المجلس بعض القضايا التي لم يحضر المطلوب فيها زمن الحكم، وفي يوم الأحد يكون الديوان بحضور المفتيين والقضاة لفصل القضايا الشرعية.

فحين يدخلون عليه يقوم لهم قائما على قدميه تعظيما لهم فيسلّمون عليه ويقبلون كتفه ... ولا يأذن لهم في تقبيل يده، اجلالا وتعظيما للعلم وتواضعا، بل لا يأذن في ذلك لغيرهم من العلماء بل بعضهم يقبّل كتفه وبعضهم يصافحه مصافحة ثم يجلس فقهاء الحنفية عن يمينه والمالكية عن يساره باعلى البهو ويؤذن للخصوم في الدخول، ويشرعون في القضاء إلى قرب المغرب، ويبيتون عنده تلك الليلة لا يحضرها غيرهم حتى الامام بل يؤمه احدهم، وبعد انقضاء ديوان العصر يطوف على دياره العامرة أيضا، ثم يخرج فيستدعي من يريد ان شاء فاذا دخل وقت المغرب استدعى امامه والفقهاء فيصلون لأول الوقت ويخرجون فيجلس للذكر وقراءة الورد الى وقت العشاء، فيستدعي الامام والفقهاء أيضا، فيجلسون معه للمسامرة والقراءة ... الى ان تمضي قطعة من الليل ... بحسب ما يقتضيه المجلس ثم ينهض فيجدد الوضوء ويخرج اليهم فيصلون العشاء الأخيرة وينصرفون الى مضاجعهم، هذا هو الدّأب في الحضر والسفر.

حمودة بن عبد العزيز، **الكتاب الباشي**، الجزء الأول، تحقيق محمد ماضور، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1988، ص ص 227. 231.

نصّ عدد 32 :

باي الأمحال بالبلاد التونسية

وفي هذه السنة 1236هـ (1847م) استعفى ابو عبد الله محمد باي من السفر بالمحال، وبعث يطلبني من الباي، لأبلّغ عنه رسالته، فأتيته وهو ببستانه في المرسى، وقال لي «انما بعثت اليك لتحسن عنّي التبليغ الى سيدنا، فاني عجزت عن السفر مرتين في كل عام، لما مسني من التعب البدني والمال، لأنه يلزمني ما لا يلزم غيري من اعتبار لمقامي»، وغير ذلك من المعاذير الراجعة في الحقيقة لعذر واحد، وهو قصور يده عن التصرّف، فثبطته عن هذا العزم بما استطعت الى ان قلت له : «هذا أمر يرجع الى عادة في بيتكم، فلا أنقل عنك شيئا الاّ بحضرة أخيك وتلوك في الدرجة «وهو ملك العصر ابو عبد الله محمد الصادق باي،ومرادي ان يكون عونا لي على مراجعته، فاحضره وأعاد مقالته، فقلت له : «أترضى هذا من أخيك ؟» فقال لي : «قد راجعته قبل قدومك فأصرّ، ولا تسعني مخالفته» فرجعت الى الباي وبلغت له خبر الاستعفاء، فقل لي «لا سبب في ذلك الا قصر يد التصرّف، وخواصه اعتادوا ما كان سابقا، والوقت لا يقتضيه من وجوه كثيرة، والعمال واللزامة عليهم ثقل، فلا يمكن لهم والحالة هذه، الخلاص مع الدولة وإرضاء باي المحال وخواصّه» ... ثم قال «يصعب علي تقديم أخيه وهو تلوه في السن، لما فيه من مخالفة عادتنا فارجع اليه وقل له : «لو فكرت في الحال ما طلبت هذا الاستعفاء، وان استعفيت من السفر فلا يسعك الاستعفاء من اسم باي الامحال، لانه في المعنى ولاية عهد، وبه هناء المملكة وصلاح بيتنا ... ومهما تيسّر لك السفر فانت في خطتك».

أحمد ابن ابي الضياف، **اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر، تونس 1990 الجزء 4، ص 129.

نصّ عدد 33 :

مراسم دفن الباي

الحمد لله بعد نصف ليلة السبت السادس عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة 1299 انتقل الى عفو الله وسعة رحمته المرفع شأنه مولانا وسيدنا الصادق باي تغمده الله برحمته وبرّد ضريحه واسكنه فسيح جنته ودفن صبيحة يوم الأحد السابع عشر من الشهر المذكور قبل زواله بربع ساعة وكيفية خروجه قدس الله روحه هو أنه حضرت جميع الضباط والوزراء والمشير والأيّمة والعلماء وخرجت جنازته من باردو المعمور وحين خروجه من باردو صرخ المدفع عليه وبعد أربعة دقائق يطلق مدفعا والعساكر يمينا وشمالا وهو محمول على النعش وامام سنجق الطابور واوقفوا للصلاة على الجنازة ببطحاء القصبة وجميع آل البيت الحسيني يشيعون جنازته وأمير الأمحال هو الذي قبل عزاؤه والمشير لا يقدم مع الجنازة وكيفية ولاية عهده هو أنه بعد أن حضر وبلغ خبر موته اذن بطلق مدفع اذانا بكونه مات ثم تقدم الوزير الأكبر وأخذ طوابع الملك سلمهم للمتولي ثم جلس للمبايعة وطلق الزوج والفرد وشير ثلاثة مدافع وجلس بالبيت الكبيرة وطلقت من الباترية احدى وعشرون مدفعا وضربت الموسيقة وقت المبايعة له ثم صبيحة يوم فرق المقدس حضر باي الأمحال وهو المرفع شأنه سيدي الطيب باي أخيهم وحضرت الوزراء وآل البيت الحسيني والضابط واصطفوا ببيت البلأر ثم اذن مولانا وسيدنا ايده الله بحصر لحيته ثم بعد حصر اللّحية وقف مولانا وسيدنا وتمشى عدة خطوات ثم تقدم الشيخ باش كاتب وقرأ أمرا في ولاية أخيه أميرا الامحال على العادة السابقة. وفي هذه المواكب كلها حضر وزير الدولة الفرنساوية.

الأرشيف الوطني التونسي،

دفتر 2680

الباب الثاني
المؤسسات المركزية :
المحلة والجيش نموذجا

إنّ تاريخ دول المغرب في الفترة الحديثة هو بالدرجة الأولى تاريخ نشأة مؤسسات مركزية سياسية، إدارية وعسكرية وتركّزها، انبنت في معظمها على إرث وسيطي اسلامي - مغاربي طوّرته السلطة وطوّعته وفقا لمتطلّبات الظرفية الجديدة.

ولئن كان من الصعب فصل هذه المؤسسات عن بعضها البعض وفق تمش خصوصي منهجي يأخذ كل مؤسسة على حدة ويرسم مسارها وأطوارها، فإنّ هذا الفصل يفرض نفسه إذا ما اعتبرنا أن تاريخ المؤسسات السياسية العليا كمؤسسة السلطان في المغرب الأقصى أو الداي في الجزائر أو الباي في تونس، قد تجلّت لنا أبرز ملامحه وأطواره من خلال تتبعنا للمراحل السياسية الكبرى لهذه الدول في الفصل السابق.

واعتبارا الى أن قيام هذه الدول قد تحقق ضمن سياق أزمة عامة وفوضى انقسامية وتحديات خارجية فان القوة المؤطّرة والضاربة كانت أبرز ميزة للكيانات السياسية الناشئة. فبرزت مؤسستا المحلة والجيش كعنصرين أساسيين لا في تثبيت الدول الجديدة فحسب بل وأيضا في ضمان استمراريتها ودوامها. بحيث اكتسبتا أهمية تاريخية وأصبحت مكانتهما محورية في تشكل هذه الدول وتحديد طابعها وأشكال تنظيمها بالرغم من وجود بعض الاختلافات والخصوصيات التي سنسعى الى إبرازها فيما سيتقدّم من البحث.

الفصل الأول

المحلة بالمغرب العربي

تعتبر مؤسسة المحلة من أهم المؤسسات التي ارتكزت عليها السلط المغاربية في الفترة الحديثة، لازمتها طوال المرحلة وكانت أداتها النافذة لمراقبة المجموعات وتاطيرها.

إن أغلب الدراسات التي اهتمت بهذه المؤسسة ركّزت على وظائفها الردعية - الجبائية ولم تر فيها سوى جيشا تنقلت به سلط المغرب لردع التمرّد القبلي وإخضاع الأرياف للدفع الجبائي.

غير أن توجهات جديدة بدأت تبرز في آخر الابحاث التي تناولت المؤسسة بالدرس، ولا سيما بالنسبة للمغرب الأقصى، أخرجتها من الاطار الضيّق الذي تردّت فيه وأقرّت شموليّتها ووظائفها المركّبة.

تصوّر جديد لنفس المؤسسة بدأ يتشكّل، فبالاضافة الى وظائفها التقليدية، برزت المحلة كسلطة متنقّلة في بحث متواصل عن الشرعية في محيط اجتماعي سِمَتُهُ البارزة الظاهرة القبلية المتحركة.

على أن هذه المؤسسة ولئن مثلت خصوصيّة مغاربية برزت معالمها واضحة منذ العهد الموحّدي، فانها سجّلت تحوّلات في المرحلة الحديثة جعلتها تصطبغ بمسار السلطة وتلوّناتها. ففي حين حافظت «الحركة» في المغرب الأقصى على وظائفها ونظمها الموروثة عن الخلافة الموحدية، فان المحلة في كل من تونس والجزائر عرفت تطورات أحدثها العثمانيون تنوّعت حسب تنوّع التجارب والأنظمة السياسية.

فلئن بدا التجوال الموسمي للمخزن السعدي أو العلوي عبر الحركات المتعدّدة ضرورة حيوية للسلاطين الأشراف لاظهار نفوذهم وهيبتهم أمام القوى القبلية العنيدة ودائمة التمرّد، فان الوضع اختلف في تونس حيث تمكّنت السلطة منذ العهد المرادي ولا سيما الحسيني من ضرب القبائل المحاربة ومخزنتها مخزنة شبه كلية، أو حتى في الجزائر حيث اقتسمت المهام بين الداي حاكم الجزائر العاصمة والبايات قواد الأقاليم.

لكن مهما يكن من أمر فان استمرار العمل بهذه المؤسسة التقليدية لدليل على أهمية هذا الجهاز وحتميته بالنسبة لسلطات ودول المغرب التي مهما تنفذت وتدعمت فقد تميّزت بضعف مركزيتها ومحدودية شبكتها الادارية.

I ـ الموروث المشترك

المحلة لغة من المحلّ وهو نقيض المرتحل فتعني بالتالي مكان حلول القوم أو نزولهم، أمّا الحركة فهي نقيض الثبات والجمود وتعني التجوال والترحال.

مصطلحان أطلقا على الجهاز السياسي ـ العسكري الذي اشتهرت به بلاد المغرب العربي منذ العهد الموحّدي، واتفقت المصادر على ابراز ذلك الجهاز كمؤسسة عسكرية ـ جبائية وفي نفس الوقت كنمط سلطة متجوّلة.

فهذا عبد الملك ابن صاحب الصلاة الذي أرّخ للموحدين يسوق لنا في كتابه «تاريخ المنّ بالامامة على المستضعفين» معلومات دقيقة حول حركات الموحدين ومحالهم، ويقول في خبره عن حركة أمير المؤمنين من حضرته مراكش سنة 566 هـ.

«خرج على باب كالة (من مراكش) وقد اجتمع الناس لرؤيته، فكان في أحسن تعبئة، قد ملأت العساكر الأرض كثرة، فسار أمامهم والعلام الأبيض تدامه مع الرجالة ... والساقات والطبول وراءه متربصا في المشي وملتويا فيه ليلحق الجمهور ويتصل به من عسكره المنصور الصغير والكبير وقد قدم أمامه مصحف صاحب رسول الله عثمان بن عفان على حمل مرتفع وقدام هذا المصحف مصحف المهدي ...

وكان مع الرايات والطبول وزيره أبو العلى ادريس بن أبي اسحاق بن جامع والشيخ أبو محمد عبد الواحد بن عمر صاحب المهدي ... ومن أولاد الجماعة أبو عبد الله محمد بن أبي حفص بن علي ازناق ... والقاضي أبو

موسى عيسى ابن عمران قاضي المحلة والجماعة. وعلى هذا الترتيب في الحركة السعيدة. فنزل في ذلك اليوم أوّلا في احدى دوره المتخذة له على رسم والده في النزول فيها بوادي تانسفت ... وكان السعر في أيام المحلة المؤيدة ... رخيصا على تكامل الخلق فيها ... وأمّل لأهل المسائل بقضاء حاجاتهم والافضال عليهم وكتب الظهائر لهم، واتصلت المسار، وارتفعت المضار ... ورحل أمير المؤمنين في جنوده في وادي تانسفت ... اليوم الثاني من حركته ... متنقلا في محلاته ...»

تصوير دقيق قدّمه لنا ابن صاحب الصلاة لهذه المؤسسة التي ولئن تصدّر الجانب الردعي سلّم وظائفها فقد برزت كنمط سلطة متنقّلة بمختلف أدواتها ورموزها.

ولن يتخلّى المرينيون والحفصيون وغيرهم ممن ورث السلطة من الموحدين عن هذا الرصيد المؤسساتي فكان تواصل العمل بالمحلة وتثبيتها.

ويصف لنا أبو الحسن الوزان موكب خروج السلطان المريني وعسكرته في البوادي في بهرج كبير حيث تقام أسوار من الكتان في شكل قصر بشرفاته وتضرب الأخبية والخيام ويصطفّ الحرس السلطاني بصفة تعيد احياء التشريفات السلطانية ونواميسها في دواخل البلاد كأننا في مدينة حقيقية.

كما تتحدّث المصادر الحفصية عن توظيف سلاطين الحفصيين للمحلة بصورة شبه دائمة لا سيما في تمهيد البلاد ومقاومة عناد القبائل، فيذكر ابن الشماع أن الأمير عبد المؤمن المولى أبي حفص عمر قد خرج بمحلة ضخمة لمطاردة أخيه أبي العباس وجمع في تلك المحال عساكر وقبائل موحدية.

كما نجد المحلة مع الأمير عبد الله المستنصر عند خروجه ضدّ القبائل الثائرة والتي انتصر عليها في نواحي قفصة.

وسرعان ما أصبحت المحلة تخرج سنويا لا سيما مع المولى أبي عمرو عثمان الذي ثبّت تلك العادة.

في هذه المراحل الأولى لم تبرز المحلة بوظائفها الجبائية التي ستتضح في ما بعد وانما غلبت عليها الوظيفة الردعية في ظروف تميّزت بتفاقم النزعات الانقسامية في مجتمع قبلي مفكك.

لذلك يمكن القول أن المحلة كما استقرّ اسمها في تونس والجزائر أو الحركة كما اشتهرت به في المغرب الأقصى هي مؤسسة قديمة يشرف عليها الامير بنفسه ولها شخصيتها التي تميّزها عن الجهد أو الجيش النظامي رغم دورها العسكري ـ الردعي الملازم لها في أغلب الفترات.

II ـ أنواع المحال

إذا ما حاولنا القيام بتحديد قريب لواقع هذه المؤسسة وخصوصياتها في بلاد المغرب العربي في العصور الحديثة فانه يمكن لنا التمييز بين صنفين من الأمحال، اختلفت في الوظائف وان كان يصعب الفصل بينها في بعض الحالات بحكم تشابك الوظائف الردعية والجبائية والتمثيلية أحيانا.

يتمثل النوع الأول في المحلة الزجرية او المحلة التأديبية ـ الردعية التي تخرج بصفة استثنائية دون توقيت محدّد من قبل أو طريق معهود. تجهّز هذه المحال عند حدوث تمرّد أو عصيان طارئ أو في صورة خطر خارجي يهدّد البلاد، ويخرج بها الأمير لاطفاء نار الفتنة وتجديد بيعته وتثبيت حدود ملكه.

عرفت هذه المحال بمحال الحرب في كلّ من تونس والجزائر أمّا في المغرب الأقصى حيث اتخذت إسم «الحركة» فكادت تمثل الصنف الوحيد من محال السلاطين الأشراف.

ولئن لا يمكننا تتبع جميع الأمثلة عن المحلاّت الردعية والتأديبية فانه يمكن لنا التوقف عند أبرزها.

ولعل المغرب الأقصى الذي تميز بدوام تمرّد قبائله ودورية أزماته السلالية طيلة العهد الحديث يوفّر لنا أحسن الأمثلة، فقد تعدّدت فيه هذه الأمحال وكادت لا تحصى حتى أنه كان من النّادر جداً أن نجد سلاطين لم تسجّل لهم حركة خرجوا بها.

ولعلّ في اشتهار هذه المؤسسة بـ «الحركة» دليل على سيطرة هذا النوع من المحال في المغرب الأقصى، فمولاي اسماعيل العلوي الذي امتدّت فترة حكمه خمسة وخمسين سنة 1672 ـ 1727 لم يمكث سنة كاملة في قصره دون أن يخرج بحركته، كما قاد مولاي الحسن العلوي ما لا يقلّ عن تسع عشر حركة خلال مدّة حكمه 1873 ـ 1894.

أمّا فيما يتعلق بهذا الصنف من المحال في البلاد التونسية، فيمكننا ذكر المحال المتتالية التي خرج بها مراد باي الأول 1613 ـ 1631 ومن بعده ابنه حمودة باشا باي 1631 ـ 1666 لضرب قبائل أولاد سعيد وأولاد شنّوف وغيرها من القبائل المتمرّدة على السلطة، تلك الأمحال وصفها لنا ابن أبي دينار في كتابه «المؤنس» بكلّ دقّة وتعظيم.

وفي عهد الدولة الحسينية، يمكن ان نذكر تلك التي خرج بها الباي حسين بن علي (1705 ـ 1740) الى جبل وسلات حيث تحصّن ابن أخيه علي باشا المتمرّد، أو المحلة التي جهّزها علي باي الحسيني لاخلاء جبل وسلات من سكانه اثر ثورة اسماعيل بن يونس سنة 1759 ـ 1762، تلك التي مجّدها حمودة بن عبد العزيز صاحب الكتاب الباشي.

كما شهد القرن التاسع عشر خروج محال ردعية شهيرة، خلّدت ذكرها كتب التاريخ والاخبار.

ومن أشهر تلك المحال، تلك التي وجّهها أحمد باي لمنطقة الأعراض في ماي 1840، أو محلة احمد زرّوق الشهيرة والتي استهدفت مدن وقرى الساحل بعد انتفاضة الأرياف التونسية بزعامة علي بن غذاهم سنة 1864.

وكثيرا ما تستوقفنا أوصاف الإخباريّين الدقيقة لهذه الأمحال، وتدلّنا من خلال تمجيدها والمصطلحات والنعوت المستعملة، على المكانة

البارزة التي تحظى بها المؤسسة داخل نظام الحكم، كما نتبين من خلال تلك الأوصاف أيضا شدّة العنف المسلّط أحيانا على المجموعات وقساوته.

غير أن اللجوء الدائم الى مصطلحات «الجهاد» و«الغزو» لدى جلّ الإخباريّين يضفي على ذلك العنف شرعية دينية ـ جهادية تجعل من المحلة أداة عنف منظم وشرعي للدولة.

أمّا النوع الثاني من المحال، فهو يتمثل في المحلة العادية أو الموسمية، وهي محلة منتظمة تخضع الى توقيت محدّد ومسار معهود.

وتنحصر عادة وظيفتها في جمع المجابي الموظفة على الرعايا، واستقرّ هذا الصنف من المحال خاصة في تونس والجزائر.

ففي البلاد التونسية تخرج هذه المحلة مرّتين في السّنة، صيفا وشتاء، ويكون انطلاقها دائما من حاضرة تونس، مركز السلطة.

فتخرج محلة الصيف من تونس من الحرايرية حيث تتجهز فتتجه نحو الشمال ومناطق الحبوب المعروفة بافرقيّة، وتسلك طريق باجة وهي تمثل مركز الصيف ومنه تتصل بكل المناطق المحيطة. من باجة تتفرع مجموعات من الفرق وتغطي كامل مجردة العليا كأولاد بو سلام وجندوبة وفطناسة ومرنيصة وغيرها، كذلك المناطق الجبلية الممتدّة الى الحدود الجزائرية كنفزة ووشتاتة والشيحية وغيرها ويتواصل طريق محلّة الصيف الى عيون التوامي الحدّ الغربي لمجال محلّة الصيف ويغطي مجال محلّة الصيف عروش الرقبة ومنصب الكاف المتكوّن من مجموعات قبلية واسعة.

وتتبع محلة الشتاء طريقا أطول تخترق البلاد من شمالها الشرقي الى جنوبها الغربي مرورا بمناطق الوسط السباسبية والجنوب الشرقي والساحل التونسي.

وعادة ما تدوم رحلة الشتاء هذه أكثر من شهرين، نظرا لطول المسافة، ولكثرة المحطات ولصعوبة السيطرة على المجال الجغرافي والبشري. ومن أهم محطّات محلة الشتاء، محطة الجريد، منطقة اقتصاد الواحات وانتاج التمور، ومحطة الساحل المنتجة للزيت.

ويتكون مجال محلة الشتاء من عدة مناصب تجمع جل القبائل المخزنية كما أنه يستثني مناطق أولاد سعيد وجبل وسلات. وتتمحورمحلة الشتاء حول مدينة القيروان التي تعتبر قاعدتها المركزية. فمنها تتفرع الفرق القاصدة أوطان الساحل والجريد والأعراض.

أمّا في الجزائر، فقد اختلف الوضع عن تونس، حيث ارتبطت المحلة بشخص الباي حاكم البيليك، وانقسمت بذلك الى ثلاث محال، تنطلق الأولى، وهي محلة الغرب، من مدينة وهران مركز بيليك الغرب، وتخرج عادة في الربيع، أما محلة الشرق فتنطلق من قسنطينة، بينما تخرج محلة تيطري من ميديا، عاصمة البايليك، ويكون خروجهما صيفا.

وتخرج كل هذه المحال مرّة واحدة في السنة، فتجوب المناطق الداخلية والأرياف لتجمع الجباية.

ونظرا لهذا التقسيم الخاص، فقد أقرّت السلطة المركزية بالجزائر نظاما لاقتبال المحال الجبائية بالعاصمة مرّة كل ثلاث سنوات، حيث يستلم الداي المجابي المجمعة في المراكز الثلاثة، وسميت هذه الحركة الدورية بحركة «الدنوش».

III - تركيبة المحلة وعناصرها

يبرز مستوى التحديث الذي أدخل على هذه المؤسسة لا سيما في كلّ من تونس والجزائر في العهد الحديث، من خلال تركيبتها وتنظيمها، فضلا عن طريقة تحرك عناصرها وتسليحهم.

شهدت المحلة تحوّلات في المرحلة الحديثة، سواء تلك التي ادخلها العثمانيون في كل من تونس والمغرب الاوسط، أو تلك التي أدخلها سلاطين الشرف بالمغرب الأقصى.

فتنوعت العناصر البشرية المكونة للمحلة، واستنبطت تنظيمات جديدة وأدخلت تقنيات وتجهيزات عسكرية حديثة.

ففي تونس تعامل الأتراك مع هذه المؤسسة الموروثة بصيغ جديدة مقتبسة من عاداتهم ونظمهم العسكرية الانكشاريّة. خصصوا للمحلة وحدة عسكرية من عسكر الترك المتميزين بالاسلحة النارية والانضباط الصارم والتمرّس على أساليب الحرب النظامية. ومقابل ذلك القسم الحديث، أعيد العمل مع الحكم المرادي ووريثه الحسينيّ بالمكونات المحلية المتركبة من فرسان المزارقية وعسكر زواوة وغيرها من النواتات العسكرية المحلية.

وكان تميز عسكر الترك بالمحلة، يبرز في الرواتب والأسلحة والتجهيزات، كما يبرز أيضا في العادات الخاصة التي أدخلوها عند خروج المحلة.

فعادة ما يكون خروج الصف في شكل احتفالي منظم، هي عادة خاصة بجند الترك، اتبعها المراديون ورسخوها.

وترسخت تلك العادة وتطورت فيما بعد لتصبح في شكل احتفال عسكري ـ ديني، لا سيما في عهد علي باي (1759 ـ 1782).

هذه الثنائية في التركيبة وما ينتج عنها من تميز، نلمسها أيضا في المغرب الأقصى، حيث أدخل العلويون، لا سيما المولى اسماعيل (1672 ـ 1727) عناصر جديدة تكونت من الزنوج المعروفين بعبيد البخاري، اعتمدوا عليها كنواة أساسية لـ «حركاتهم»، فأصبحت تتمتع بمكانة متميزة على حساب العناصر المحلية المتكونة من قبائل المخزن.

وإذا ما أمعنّا النظر في التركيبة المزدوجة للمحلة بتونس مثلا، نتبين طبيعة العلاقة بين العنصر التركي وبقية العناصر المحلية من خلال ذلك الترتيب التفاضلي، فهي صورة مصغَّرة لتركيبة المجتمع وللعلاقات التي تسوده، يمكن اختزالها في العلاقة اللامتكافئة بين عنصر تركي اجنبي وأقلّي، وعناصر محلية من أصول بربرية وعربية اغلبية.

فالقسم المتكون من الأتراك والمسمّى في المصادر بمحلة الترك لم يتجاوز عدد عناصره 300 جندي انكشاري في بداية القرن السابع عشر، ولم يتجاوز ذلك العدد بكثير فيما بعد، غير أن ذلك القسم هو الذي انفرد بالمكانة المتميزة ولا سيما فيما يتعلق بالرواتب والمواقع الأولية.

أما القسم الأكبر فهو يشمل العناصر المنحدرة من قبائل مخزنية معروفة كدريد والهمامة. وعادة ما تلتحق فرسان القبائل بالمحلة، وهي في طريقها، ثم تتفرّق بعد نهاية الجولة وتعود الى قبائلها وزمولها، فتكون بذلك فرقا غير قارّة. وتكتمل لنا هذه الصورة عن تركيبة المحلة في حركيتها من خلال وصف بعض المحال من خلال المصادر.

ولدينا معلومات مدققة مثلا حول محلة الشتاء في تونس سنة 1829، حيث تركبت من 385 جندي انكشاري و26 حانبه من الترك أيضا، بينما ضمت في القسم الثاني 100 من الحوانب العرب، و400 من الصبايحية العرب أيضا. وبالاضافة الى هذه الفرق العسكرية تكوّنت حاشية الباي المرافقة له من حرس وخدم وطبّاخين وضاربي أخبية من بضع مئات، بحيث خرج الباي من تونس على رأس محلة تضم 1400 عنصر.

غير أن هذه النواة «القارة» للمحلة والتي تنطلق من تونس، سرعان ما تتجمع حولها أعداد وافرة من المزارقية عندما تقترب المحلة من مناطقها، وتصل تلك الفرق الى سبعة آلاف مزارقي من مختلف القبائل المخزنية.

ومع التفاف تلك الجموع الغفيرة من الفرسان، تكتمل المحلة كشكل منظم ودائم الحركة لعقد الولاء بين السلطة المركزية المستقلّة بقوّتها الردعية الأوليّة، والمجتمع المحلّي بدواخل البلاد بفرق الدعم التي يوفرها للنواة الأولى المستقرّة. وبالرغم من أن اللفيف القبلي يحدّ من سرعة المحلة في سيرها، فإنه يمثل السند الضروري، حيث يضمن لها القدرة على الردع وجمع المجابي وفرض الضرائب.

IV . وظائف المحلّة

بالاضافة الى تواصل وظائفها التقليدية، الردعية والجبائية منها بالخصوص، اتسعت وظائف المحلّة وتعدّدت لتجعل منها مؤسسة شاملة قادرة على تمثيل السلطة في مختلف مجالاتها. فمن الطبيعي أن يبرز دورها

الردعي ـ الجباني في فضاء سيطرت عليه القبائل المستعصية. ومن ذلك كان الالتقاء بين الردع والجباية. فتسديد المجابي هو معنى الخضوع والولاء للسلطة، أمّا رفض دفعها فهو التمرّد والحرابة بعينها.

عن طريق المحلّة تقوم السلطة بتنظيم مجالها واحكام السيطرة علي رعاياها وتجديد ولائهم.

ومهما كانت تكلفة هذه الأداة مرتفعة فان جزءا هامّا منها تدفعه المجموعات، فبالإضافة إلى ما تدفعه من مجابي تساهم بها في تمويل الخزينة، فقد تحمّلت الاهالي تكاليف المحلة في شكل عوائد ومؤونة وغيرها، مساهمة منهم في تمويل الجهاز الذي يراقب مجالهم، ويربط ولاءهُمْ ويجمع فوائض انتاجهم، مقابل أمنهم. وكثيرا ما تتشابك الوظيفتان الجبائية والردعية في أشكال تدخل واحدة.

فكثيرا ما تتأتى الضرائب والمجابي بطرق استثنائية مثل المصادرات والغنائم والخطايا الجماعية التي تسلّط على قرى وعروش بأكملها.

والأمثلة على ذلك عديدة سواء في تونس أو في الجزائر. ففي سنة 1818 قام باي قسنطينة أثناء قيادة محلته بجهة توغرت بحملة انتقامية على قبيلة بني جلاّب، قطع فيها اكثر من 200 نخلة، وفرض فيها غرامة مالية تقدّربعشرة آلاف ريال.

وفي سنة 1825 قامت محلة تيطري بحملة انتقامية ضدّ قبيلة الاربعاء، حجزت أثناءها 120 من بين أعيان القبيلة واكثر من 10000 جمل قام ببيعها باي تيطري مصطفى بومرزاق.

فالوظيفة الجبائية يمكن أن تأخذ أبعادا تعسفية ـ ردعية، إذا ما اقترنت بفرض ضرائب استثنائية او بإقناع مجموعة متمرّدة، وكثيرا ما تقوم المحال الدورية الجبائية بهذه الادوار عندما تشق مواطن المجموعات الرافضة للخضوع المطلق، أو عندما تمرّ تلك المناطق بأزمات طبيعية وتتذمّر المجموعات من ثقل المجابي، فيكون بذلك تقسيمنا الى المحال بين جبائية وردعية أمرا منهجيا أكثر منه تاريخيا.

وإذا كانت المحلة من خلال تركيبتها، وطريقها ووظائفها، أداة أساسية في تثبيت هيمنة المركز على دواخل البلاد وبالتالي هيمنة المدينة على الأرياف بحكم الفوائض التي تتجمع هنا لتنتقل هناك، فإن مناطق الاستقرار الداخلية هي التي دفعت اكثر من غيرها ثمن تلك الهيمنة. فالقبائل المخزنية استفادت من ولائها النشيط للسلطة على حساب المناطق المنتجة.

ففي عهد حسين بن علي مثلا، كانت قرابة نصف المجابي الموظفة على منطقة الجريد، تعود الى مزارقية دريد في شكل رواتب للمزارقية وعوائد مالية وعينية.

ونظرا للوزن العددي والوظائف الأساسية، والتجهيزات الضخمة ونظرا لاتساع المجال الطبيعي والبشري الذي تشقه وتحطّ به في مراحلها المتعاقبة، فان المحلّة، تحدث حركية نشيطة في دواخل البلاد، بقيت لنا بعض مظاهرها من خلال دفاتر الأرشيف، وبعض التصانيف الاخبارية.

وقد وصف لنا الصغير بن يوسف في كتابه «المشرع الملكي ...» الحركة الاقتصادية النشيطة التي تنتج عن استقرار المحلة قرب مدينة باجة في فصل الصيف، حيث تتكون سوق موسمية عرفت بسوق بوسديرة، يؤمّها الصنّاع والحرفيون، وتتبادل فيها المنتوجات والسلع، وتلعب فيها النقود المتأتية من رواتب الجنود دور المحرك، فتدوم تلك السوق شهرين كاملين تنتعش خلالها دورة اقتصادية محلية وموسمية.

كما أن المحلة تساهم، إمّا بحكم احتياجاتها ومشترياتها الخاصة أو لأغراض تجارية تبادلية، في ربط صلات تبادل وتكامل بين مناطق انتاج مختلفة، فتحمل معها كميات من التمور تجلبها عند عودتها من الجريد لتبيعها لقبائل الوسط، كما تساهم في توزيع فوائض الحبوب والزيوت، وتتحول بذلك الى عامل تبادل بين الجهات.

والملاحظ أيضا، أن المحلة حافظت على بعض العوائد الاجتماعية وعمّمتها، مثل توزيع الاعانات على الفقراء، وتقديم الهدايا الى الزوايا وأضرحة الاولياء، هذا إضافة الى الهدايا والاحسانات التي تقدمها الى مشايخ وأعيان القبائل الحليفة.

فكانت بذلك تتكيف مع طقوس وعادات المجتمع الذي يضمن لها بقاءها وتجدّدها.

فمن خلال القوة العددية والقوة الحربية تكتسب المحلة نجاعتها كقوة ضاربة تهابها القبائل والمجموعات المحكومة. ولكنها ظرت أيضا من خلال تنظيمها، وأشكالها الاستعراضية في خروجها وانتقالها وعسكرتها، ومن خلال الرموز والشعارات المستعملة والموظفة، في مظهر مؤسسة سيادة وهيبة.

فخروج الصفّ أخذ شكل احتفال كبير يشارك فيه كل سكان مدينة تونس، وتضرب فيه الطبول، وموسيقى النوبة. والسناجق الخضراء التي ترفع كشعار للمحلة تضفي مسحة دينية على حركة عسكرية تشبه خرجات الأولياء والزوايا. ويمثل تصدّر الباي، أو السلطان لهذا الموكب رمز التنقل السلطة وتجديد حضوره أمام رعاياه كشرط دائم لتجديد ولائهم.

فتكون المحلة بمزجها الوظيفي المتعدّد بين الردعي والاقتصادي وبين السياسي والرمزي رصيدا محوريا لدول المغرب ومؤسسة شاملة وكلّية.

ويبرز لنا الدور الحاسم للمحلة بالخصوص في البلاد التونسية حيث مثلت الجسر الذي مكّن البايات المراديين ومن بعدهم الباي حسين بن علي من حسم مسألة الحكم بصفة نهائيّة لفائدتهم على حساب الدايات، الذين تراجعوا الى مكانة هامشية بعد أن كانوا مركز السلطة.

وبذلك تكون مؤسسة المحلة قد لعبت دورا سياسيا مؤسسا لحكم البايات ودولتهم في تونس، وكان ذلك نتيجة طبيعية، لأن الذي يمسك بالمحلة يضمن ولاء المجتمع، قاعدة كل سلطة. ولعل ذلك الدور السياسي المؤسس هو الذي يرمز اليه اقتران ولاية العهد بقيادة الأمحال في الدولة الحسينيّة.

الفصل الثاني

الجيش التقليدي والجيش المستحدث بالمغرب العربي

تبرز الوظيفة الردعية للدولة في المغرب العربي إبّان العصور الحديثة في اعتمادها على تشكيلات عسكرية تختلف من حيث خصائصها العرقية وأصولها الجغرافية وهيكلتها ووزنها صلب المؤسسة الردعية. فلم يكن الجيش بالمغرب العربي متجانسا كما لم يكن عدده قارا بل عرف عدة تحولات وتقلبات أفضت الى تدعيم ما اتصفت به من عدم تجانس وتأرجح بين المحافظة على فصائله التقليدية و التخلي عنها لفائدة فصائل مستحدثة استجلبها الاتراك العثمانيون في كل من الجزائر وتونس وركّزها السعديون والعلويون في المغرب الأقصى.

I ـ الجيش التقليدي : وزن العناصر القبلية

تنصّ التعاليم الدينية الاسلامية على اعتبار كافة المسلمين جنودا مطالبين بالدفاع عن الدين وبلاد الاسلام لكن وجود الدولة وتبلورها عبر العصور أفضى الى اعتماد جيش لا تنحصر مهامه في الدفاع عن المسلمين من الخطر المسيحي فقط وإنما أيضا في الدفاع عن الدولة والنظام القائم أمام الأخطار الداخلية.

ولقد مثلت القبائل في المغرب العربي منذ العهود الوسطى ركيزة للسلطة ودعامتها. كانت الدولة تقوم على أساس العصبية القبلية حسب النظرة الخلدونية. وتبعا لذلك كان العنصر القبلي عنصرا أساسيا في الجيش الحفصي وفي جيش بني عبد الواد في المغرب الأوسط وفي الجيش المريني والوطاسي بالمغرب الأقصى.

وقد عرفت هذه القبائل باسم القبائل المخزنية نسبة للمخزن أو الدولة بالمعنى الحديث للكلمة، وهي قبائل معترفة بالسلطة المركزية والتي تقبل بامدادها بإعانة عسكرية في شكل فرسان.الا أن هذه المساهمة الظرفية للمجتمع القبلي في الجيش يقابلها من جهة السلطة منح بعض الامتيازات في

شكل إعفاء كلي أو جزئي من الجباية او في شكل أراضٍ تقطعها الدولة لفائدة القبيلة المخزنية.

لقد برهن التنظيم العسكري القبلي طيلة العصور الوسطى عن نجاعة ومرونة فائقتين مما جعل الدولة الحديثة بالرغم من اعتمادها على عناصر مستحدثة في الجيش تلجأ الى القبائل المخزنية وتحافظ على خدماتها.

1 - بالمغرب الأقصى : عرب المخزن وقبائل القيش

لقد مثل شرف الانتساب الى آل البيت بالنسبة للسعديين أولا ثم للعلويين ثانيا سببا من أسباب نجاحهم في تركيز دولة بالمغرب الأقصى، لكن الشرف لوحده لم يمكنهم من الاستغناء عن القاعدة القبلية وسندها العسكري، فالسلطة الشريفية وان رشحت نفسها كسلطة فوق كل المجموعات وكسلطة تجد فيها كل القبائل نفسها فإنها كانت في حاجة دائمة الى عصبية بعض القبائل التي تمدّها بقوة من داخل المجتمع تتمكن بواسطتها من تركيز نفوذها والهيمنة عليه.

اقتداء بالدول السابقة لهم وببقية الدول المغاربية اعتمد كل من السعديين والعلويين على العنصر القبلي في الجيش، وقد عرفت هذه القبائل بقبائل القيش أو الكيش والتي يمكن ان نميز داخلها عدة مجموعات ووحدات عسكرية تقليدية لكنها تشترك من حيث خدمتها للسلطة المركزية وبقائها كقوة احتياطية تلجأ اليها السلطة كلما دعت الحاجة الى ذلك.

أ - الشبانات والودايا

ويعتبر جيش الودايا من أهم التشكيلات العسكرية القبلية في المغرب الأقصى في عهد الدولتين السعدية والعلوية، وقد تكوّن هذا الجيش على مراحل. فالنواة الأولى ظهرت مع السعديين، وكانت تضم عناصر قبلية عربية الأصل من اهمها الشراردة والشبانات وأولاد مطاع وغيرها من

القبائل المنتسبة الى عرب معقل الصّحراء الذين قدموا الى المغرب واستقروا بجنوبه بمنطقة السوس، ولعل النسب الشريف الذي كانت تدّعيه هذه القبائل من جهة ووجود علاقات قرابة دموية بين الشبانات ومولاي زيدان من جهة أخرى هو الذي يفسر الدور الكبير الذي لعبته هذه العناصر القبلية في الجيش السعدي، وأصبح الشبانات قوة ضاربة وفي نفس الوقت خطرا على الدولة السعدية.

وقد ظهر ذلك منذ عهد مولاي محمد الشيخ الذي التجأ، إتقاءا لشرهم، الى إدخالهم في حروب مع قبائل أخرى، أما أحمد المنصور فقد اسقطهم من الخدمة العسكرية وشتتهم في البلاد.

أما النواة العلوية لجيش الودايا فتكونت عى يد مولاي اسماعيل، الذي انتدب بدوره عدة مجموعات قبلية من عرب معقل وقسمها الى ثلاث مجموعات وهي : رحا السوس، ورحا المغافرة ورحا الودايا. ومثلما لعبت الشبانات الدور الرئيس في الجيش التقليدي السعدي لعبت الودايا نفس الدور في الجيش التقليدي العلوي. فبحكم العلاقة الدموية المزعومة بين قبيلة ودى ومولاي اسماعيل مارست الودايا هيمنة مطلقة على بقية العناصر والمجموعات القبلية والعسكرية.

فقد قام مولاي اسماعيل بتجميع أفراد القبيلة واسكنهم مدينة فاس ومكنهم من استغلال عدة أراضٍ واعتمد عليهم في حملاته وحروبه وأصبح لهم «الغناء الكبير في دولته» على حده تعبير الناصري.

ولعل نفوذ هذا الجيش ومكانته في الدولة العلوية يبرزان من خلال ما قام به من انتفاضات ومن تدخل في مبايعة السلاطين أو عزلهم وذلك بعد موت مولاي اسماعيل سنة 1727 خاصة من ذلك خلعهم لمولاي عبد الله سنة 1736. ولما ثاروا من جديد سنة 1760 تمكن السلطان سيدي محمد بن عبد الله من ضربهم معتمدا في ذلك على قبائل بربرية كآية ادراسن وزمور وعلى جيش العبيد. فضلا عن ذلك تمّ نقل الودايا من فاس الى مكناس ولم يرجعوا الى فاس الا في عهد مولاي يزيد (1790ـ1792).

وخلال القرن XIX عاد الودايا الى التمرّد من جديد فثاروا على المولى عبد الرحمان سنة 1832، فضربوا وتم ترحيلهم عن مكناس وفاس وتفرقوا على الأعراش والرباط ونفيس بل تم اقصاؤهم من الجيش ولم يرجعوا اليه الا عند المشاركة في الحرب ضدّ القوات الفرنسية في معركة إيسلي سنة 1845 ويمكن اعتبارها من آخر مشاركاتهم الفعلية والمنظمة في الجيش المغربي.

هكذا نلاحظ ان القبائل السوسية بالخصوص، ولا سيما المعدودة من عرب معقل، ظلّت تتمتع بمكانة هامة صلب الجيش في العهدين السعدي والعلوي، بل أصبحت على حدّ تعبير بعض المؤرخين عصبية اعتمدها السلاطين وقوة مادية رديفة للشرف.

ب ـ العناصر التقليدية الأخرى

الى جانب القبائل السوسية وكل ما يسمّى عرب الدولة وجدت عناصر اخرى نذكر منها خاصة مجموعة الشراقة وهي خليط من القبائل العربية والبربرية كمديونة التي كانت في الأصل تسكن في شرقي المغرب الأقصى على الحدود المغربية الجزائرية وحول مدينة تلمسان الجزائرية. لكن فرار عدة مجموعات منها من الحكم التركي في الجزائر دفع بالسلاطين ولا سيما مولاي الرشيد من تنظيمها، وظلت من أهم الفرق العسكرية في خدمة المخزن استقرّت بفاس وانتمت الى ما يعرف بالجيش الفاسي.

كما تجدر الاشارة الى احتواء القيش على مجموعات سلالية أخرى من العرب والبربر كقبائل الخلط وزواوة ذوي الاصل الجزائري والذين وقع استخدامهم منذ العهد السعدي.

هذا وقد اختلفت المصادر التاريخية في تقدير عدد هذا الجيش والذي كان يختلف باختلاف علاقة السلطة بالمجموعات وامتداد نفوذها من ذلك ان السلطان احمد المنصور الذهبي كان يتوفر لديه حوالي 200 ألف جندي من القبائل الموالية.

ومهما يكن من أمر فإن السلطة الشريفة وخاصة منها السلطة العلوية قد خيرت اللجوء الى خدمات وحدات وعناصر أخرى في الجيش لا تدين بالولاء والطاعة الا للسلطان وهي جيش العبيد والذي يمكن ان نطلق عليه بالجيش المستحدث لما يتصف به من تشابه كبير مع جند الترك بكل من تونس والجزائر.

2 ـ عشائر المخزن بالجزائر

عرفت الجزائر، كغيرها من الدول المغربية، في الدولة الحفصية وفي دولة بني عبد الواد استخدام القبائل المحلية في الجيش. وبعد تقلص دور هذه القوة في بداية العهد العثماني فانها سجلت عودتها الى المؤسسة الردعية والامحال بالخصوص والى حيز السلطة العثمانية بالجزائر خلال القرنين XVII و XVIII.

وعشائر المخزن المتعاملة مع الأتراك هي كما عرفها ناصر الدين سعيدوني ، «تجمعات سكانية تعميرية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في اعراقها، فمنها من أقرّه الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم، ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استخدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ليؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية الجزائرية».

ولعل الطبيعة الاصطناعية لعشائر المخزن بالجزائر في العهد العثماني تتأكّد لنا من خلال التسميات الجديدة والالقاب التي استمدتها من خدمتها للمخزن التركي، من ذلك مثلا مخزن الزواتنه وقد تسموا بذلك لاستقرارهم على أراضي البايليك الواقعة على ضفتي وادي الزيتون جنوب شرقي الجزائر العاصمة، كما يمكن أن نذكر مخزن المكاحلية وعرف بذلك لاستخدام فرسانهم للمحكلة وهي سلاح ناري.

ومهما يكن من أمر هذه الألقاب فان ما يوحّد بين هذه القبائل هو دخولها في علاقة تحالف مع السلطة المركزية، اختلفت باختلاف سياسة الأتراك وتأثيرهم على الأرياف الجزائرية.

وقد مرت هذه السياسة بثلاث مراحل رئيسية، انطلقت المرحلة الأولى من انتصار العثمانيين واستقرارهم كسلطة حاكمة في الجزائر 1516 م واستمرت حتى أواخر القرن السادس عشر. وتميزت هذه المرحلة، على ما يبدو من المصادر التاريخية، بتغييب تام للعناصر القبلية في المؤسسة العسكرية.

فطبيعة السلطة التركية من جهة، وطبيعة المرحلة التاريخية من جهة أخرى، حتّمتا اعتماد الأتراك الكلي على امكانياتهم الذاتية خاصة إذا ما علمنا ما تميزت به السلطة من طابع عسكري يقوم بالأساس على الغزو والجهاد ويستند الى التفوّق التركي في مجال الآلات والتقنيات الحربية. كما لا تفوتنا الاشارة الى ان عائدت السلطة في هذه المرحلة الأولى بالذات كانت متأتية من البحر ومن القرصنة خاصة، فلم تكن دواخل البلاد تمثل اهمية كبرى وبالتالي لم تكن الحاجة الى التحالف مع القوى المحلية ولا سيما القبلية منها أكيدة.

وعلى العكس من ذلك ففي المرحلة الثانية التي تنتهي في حدود أواخر القرن السابع عشر، اتّجهت أنظار السلطة التركية اتّجهت شيئا فشيئا نحو دواخل البلاد والأرياف قصد توسيع رقعة نفوذها والسيطرة على فوائض الانتاج وقمع حركات التمرّد والعصيان. ولم يكن لهذه السياسة ان تنجح دون تشريك العناصر القبلية المحلية، فأصبحت المحلات الردعية والجبائية التي يجهزها البايات تضم عددا من فرسان القبائل تمكنوا من مساندة الفرق الانكشارية في قمعها للانتفاضات الريفي التي جدّت خلال الفترة الممتدّة من سنة 1590 الى 1647 م.

وبفضل نجاعة هذه العناصر المحلية في بسط نفوذ السلطة التركية بالأرياف تكثف الاعتماد عليها، بل أصبح خلال المرحلة الثالثة الممتدّة طوال القرن الثامن عشر حتى 1830 م نفوذ الدولة يقاس بمدى قوّة القبائل المخزنية وتعزيزها للجيش التركي وتدعيمها لسلطة البايليك بالجزائر.

ولم تعد عشائر المخزن خلال هذه المرحلة لاخيرة مجرّد رديف للجيش الانكشاري وانما أصبحت، فضلا عن مشاركتها في الامحال الموسمية، تتمركز في مناطق استراتيجية حيث تقوم بدور فعّال في مراقبة القبائل الثائرة وحراسة الطرق.

من أمثلة ذلك، مراقبة قبيلة عريب لممرّ سور الغزلان، ومراقبة قبيلة أولاد ابراهيم لممر الكنتور بين سورة وقسنطينة ومضايق وادي مينا الّذي تراقبه مجموعات مخزن المكاحلية. كما يمكن ان نذكرمثالا على ذلك مراقبة قبائل المخزن لطرق المواصلات الرابطة بين الجزائر العاصمة وبين مراكز البايليك في قسنطينة والمدية ووهران، فقد كان الطريق الرابط بين الجزائر وقسنطينة مراقبا من عدد من القبائل المخزنية نذكر منها الزواتنة وحرشاوة على وادي سفلات والصحراوية بجهة قسنطينة ... الخ.

ولئن لا يمكن لنا هنا تتبع كافة الأمثلة المتعلقة بأهمية الخدمات التي كانت تقدّمها قبائل المخزن الى السلطة التركية في الجزائر فانها قد وفرت لها قوة ضاربة زمن الحرب وقوّة احتياطية زمن السلم غطت ذلك العجز الديمغرافي للفئة التركية والكرغلية ومكّنتها من تجنيد أعداد هامة وكفيلة بالسيطرة على دواخل البلاد. ففي الوقت الذي لم يتجاوز فيه عدد الجيش الانكشاري سنة 1829 3661 رجلا، مثلا، كانت دواير ميلة وجميلة وواد الزناتي قادرة كل دايرة منها على تجنيد ألف فارس.

ولا تكتمل الصورة عن عشائر المخزن ودورها في تدعيم السلطة التركية بالجزائر الا بالاشارة الى تلك الامتيازات التي كانت تتمتع بها بالمقارنة مع قبائل الرعية والتي جعلت بعض المؤرخين يتساءلون حول الصفة الاقطاعية التي اكتسبتها تلك العشائر.

فقد تمتعت أغلب القبائل المخزنية مقابل خدمتها للسلطة باعفاء من الضرائب الاضافية كاللزمة والغرامة والحكور وغيرها من الضرائب الاعتباطية والردعية ولم تسدد الا الضرائب الشرعية من عشور وزكاة والتي كانت تدفعها عينا تيسيرا لها. بل ان بعض القبائل استأثرت بنسبة من المداخيل والضرائب الموظفة على قبائل الرعية الخاضعة. من ذلك أن مخزن

أولاد خليف كان يفرض على القبائل الرعوية من شعانبه، وسعيد وعطية والأرباع وأولاد يعقوب والزرارة والمخادمية، ضريبة مالية تعرف برسم العسة مقابل تردّدهم على المراعي والأسواق الواقعة تحت نظر شيخ قبيلة أولاد خليف.

ومن أبرز الامتيازات التي شكّلت دعامة «النظام الاقطاعي» لعشائر المخزن بالجزائر في العهد العثماني استقرارها على أراضي المخزن واستغلالها مقابل خدمتها للسلطة المركزية، وقد عرفت هذه الاراضي التي لم يتحول الا جزء بسيط منها الى ملكية خاصة لبعض العائلات المخزنية باسم الشاتي، وهي في الغالب أراضٍ خصبة وسهلية.

من ذلك أن 78٪ من السهول الوهرانية كانت مساحتها مخصصة لعشائر المخزن، كما يمكن ان نذكر السهول الخصبة حول عين مليلة ببايليك قسنطينة والتي أقطعها صالح باي 1771 ـ 1792م لفرسان مخزن الزمول.

3 ـ الجيش التقليدي بالبلاد التونسية وتنامي دور المحليين

احتوى الجيش منذ العهد الحفصي عدّة عناصر محلية خاصة منها العناصر القبلية. ولئن فقدت وزنها في بداية العهد العثماني فانها عادت من جديد لتحتلّ مكانة هامة صلب المؤسسة الردعية وصلب الأمحال بالخصوص بداية من العهد المرادي ثم مع الحسينيين وحتى دخول الاستعمار الفرنسي للبلاد.

والي جانب العناصر القبلية المحلية احتوى الجيش التقليدي للبلاد التونسة في العصور الحديثة على عناصر عسكرية تقليدية نظامية أو محترفة لخدمة المخزن نذكر منها خاصة جند زواوة والصبايحية والحوانب من القبائل المحلية.

لكن دور العناصر العسكرية التقليدية في الجيش وفي الأمحال ومن ورائه دور المحليين وعلاقتهم بالسلطة قد اختلف من مرحلة تاريخية الى أخرى باختلاف طبيعة السلطة العثمانية وتطورها بالايالة.

فلقد تميزت السياسة العسكرية للسلطة التركية بتونس في عهد الباشاوات (1574 . 1591) ثم في عـهـد الدايات (1591 . 1631) بالاعتماد المطلق على العناصر العسكرية التركية التي خلفها سنان باشا بالولاية.

فبالرغم من وقوف بعض القبائل الى جانب الأتراك ومناصرتهم له ولا سيما في المعركة الأخيرة ضدّ الاسبان فان السلطة الجديدة خيرت المحافظة على عصبيتها وغلق الأبواب أمام المحليّين.

أ . المزارقية أو فرسان القبائل المخزنية : من الاقصاء الى الارتقاء

ان السياسة الاقصائية للعناصر القبلية والمحلية عموما لم تتواصل، فبمجرّد أن ظهر البايات المراديون على الساحة السياسية عادت العناصر القبلية الى المؤسسة الردعية، حيث تبين لحمودة باشا المرادي (1631 . 1660م) أهمية العناصر القبلية المحلية في قمع ثورات القبائل المحاربة ولا سيما أولاد سعيد وفي اخضاع أطراف البلاد كجبل مطماطة من جهة وأهمية التحالف مع المحليين للتفوق على الدايات وممثلي الطائفة العسكرية التركية من جهة ثانية.

بذلك أصبح لحمودة باشا عدد من الزمايل أو الدوائر العسكرية بعدة جهات من البلاد. وتضم الزمالة الواحدة عددا من فرسان القبائل لبعض رجال دولته والموالين له من العناصر المحلية كالقائد علي الحنّاشي والقائد حسن وغيرهما. ومن أبرز القبائل التي اعتمد عليها المراديون وانخرطت في خدمتهم لا سيما من خلال المشاركة في الأمحال الجبائية والردعية يمكن أن

نذكر قبيلة دريد مسجّلة بذلك عودتها الى صنف القبائل المخزنية حيث سبق لها تقديم خدمات للدولة في العهد الحفصي.

ولقد وجد حسين بن علي بمجرد اعتلائه للسلطة سنة 1705 ضالّته في القبائل المخزنية والعناصر المحلية عموما لتجهيز الامحال الجبائية والحملات العسكرية ضد أعدائه بالداخل والخارج. فارتفع عدد القبائل المخزنية في عهده الى حوالي 10 قبائل نذكر منها دريد والهمامة وجلاص. وحتى القبائل التي كانت تعدّ من القبائل المحاربة أيام الدولة المرادية كأولاد سعيد أصبحت تقدم عدد من المزارقية للباي، فقد كان يجتمع لحسين بن علي سنويا حوالي 4000 مزارقي من مختلف العروش.

وتواصل الاعتماد على المزارقية أو فرسان القبائل المخازنية مع بقية البايات الحسينيين وبالخصوص مع حمودة باشا (1782 . 1814)، إذ تذكر المصادر التاريخية اعتماده على مزارقية من اغلب العروش فبعد تخليه تدريجيا على العناصر النظامية التركية تكثف اعتماد هذا الباي على المزارقية في الأمحال. ويعود انتصاره على دايات الجزائر سنة 1807 يعود الى حدّ كبير الى مشاركة العناصر وانتصاره على دايات الجزائر سنة 1807 يعود الى حدّ كبير الى مشاركة العناصر المحلية في الحرب والتفافها حول السلطة الحسينية وأجهزتها.

ومهما كان عدد المزارقية وعدد القبائل المخزنية والذي ارتفع دون شكّ مع البايات الحسينيين، فانها كانت توفر للبايليك خدمات لا غنى له عنها لعدة أسباب من أهمها نجاعتها في ردع القبائل الثائرة وذلك لمعرفتها بدواخل البلاد ولحذقها أساليب القتال والتحرك في الوسط الريفي مقارنة بجند الترك.

من جهة اخرى لم يكن المزارقية من العروش المختلفة مكلّفة للخزينة، فلم يكن البايليك مطالبا بوضع اعتمادات مالية خاصة بهذه العناصر العسكرية التي تشارك في الأمحال بفرسانها وسلاحها. بل حتى ما يتقاضاه المزارقية من راتب ومن عائدات مالية وعينيّة يقع طرحه من مجابي مجموعتهم أو من مجابي مناطق أخرى. من ذلك مثلا ان رواتب مزارقية

دريد وعرأيدهم كانت نسبة هامة منها توظّف على سكان الواحات بالجريد ونفزاوة.

فقد قدّر ما ينتفع به مزارقية دريد من جملة مطالب الجريد في عهد حسين بن علي بحوالي 50%، وذلك لمشاركة دريد الفعّالة في الأمحال بصفة عامة ومحلة الشتاء بصفة خاصة.

ب ـ عسكر زواوة : الولاء والشجاعة

يتألف هذا الجند من أبناء البربر الوافدين على البلاد التونسية من منطقة القبائل الجزائرية والذين استخدمهم بنو حفص في افريقية.

ولما تحوّلت البلاد التونسية الى ساحة للصراع العثماني الاسباني وبالتحديد عندما تمكن أتراك الجزائر على يدي علي باشا في اكتوبر 1569 من احتلال مدينة تونس، اعتمدوا على نوبة من الأتراك وزواوة لصيانتها قدر عددهم بثمانمائة زواوي حسب ابن ابي دينار. ويبدو حسب هذا الأخير ان رجوع زواوة للخدمة العسكرية بصفة دائمة ومنظمة لم يتم الا في عهد حمودة باشا المرادي الذي اتخذ منهم فرسانا كحرس خاص له.

وتواصل الاعتماد على جند زواوة في عهد الدولة الحسينية. فبالرغم من تشريك العناصر القبلية المحلية، والاعتماد بصفة مكثفة على جند الترك، لم يتخلّ البايات الحسينيّون عن خدمات جند زواوة لنجاعتهم وتفوقهم من نواحٍ عديدة على جند الترك لا سيما في طاعة السلطة المركزية والذّود عنها ضدّ الأعداء بالداخل والخارج. فلم تكن العلاقة بين الجيشين علاقة تكامل في كثير من الاحيان بل علاقة تصادم وتنافر، من ذلك ما وقع في بداية دولة محمد باي سنة 1756. فقد «وقعت هيعة بين عسكر الترك بتونس وعسكر زواوة وركب محمد باي وأطفأ نارها». ولئن كان المتسبب في هذا الصدام الداي تزدغلي حسب ابن ابي الضياف فإن تعصب البايات لجند الترك وتفضيلهم لهم على بقية الفرق العسكرية هو السبب الرئيسي لتوتر العلاقة بين عسكر زواوة وجند الترك.

وعندما قام جند الترك بثورة أولى على حمودة باشا في سبتمبر 1811م ثم بثورة ثانية على محمود باشا باي في ماي 1816 لجأ البايات الى الاكثار من جند زواوة والاعتماد عليهم في الحراسة وفي الأمحال وأقاموهم، على حدّ تعبير ابن ابي الضياف «شجى في حلق الترك». وفي اطار هذه السياسة العسكرية للبايات تواصل وفود زواوة على البلاد التونسية لا سيما بعد احتلال الفرنسيين للجزائر سنة 1830.

إلا ان علاقة زواوة بالخدمة العسكرية بعد هذا التاريخ عرفت تقلّبات عديدة نذكر منها خاصة طرحهم من الخدمة العسكرية تماما في عهد محمد باي لاكتفائه آنذاك بالجيش النظامي المؤلف من ابناء البلاد بالأساس.

ولما اندلعت انتفاضة 1864 وعجز محمد الصادق باشا باي عن اخمادها لفرار الجند عاد زواوة الى الخدمة العسكرية من جديد بل أظهروا استعلاء وترفعا أدى بهم الى الثورة في أواسط جويلية 1879.

هذا وتجدر الملاحظة الى انقسام عسكر زواوة من حيث التنظيم الى قسمين.

قسم التحق بالحراسة فسكن القشل والابراج بمدينة تونس خاصة كبرج زواوة وبرج الجلاز وبرج سيدي قاسم إلخ. ويتمتع أفراد هذا القسم بالمؤونة والأجر. أما القسم الثاني من زواوة فهو معفى من العمل زمن السلم، ويستدعى عند الضرورة ولا سيما عند السفر بالامحال الردعية أو الجبائية.

وينقسم عسكر زواوة الى وحدات أو صناجق يضم الواحد منها ستّين رجلا يقودهم ضابط برتبة بلكباشي ويأتمر الجميع بإمرة آغا زواوة.

ومهما يكن من أمر هذا التنظيم، والذي لا يختلف في جوهره عن تنظيم جند الترك، فإن ما ميز جند زواوة عن غيرهم هو قيامهم بالمهام الشاقة والخطيرة وكل ما كان يتطلب استعمالا للعنف والخشونة. لذلك أطلق عليهم المحليون نعت «المغندفين». وفضلا عن ذلك فإن ما ميز جند زواوة كذلك عن بقية الفرق العسكرية هو قلة ما يكلفونه من أموال للخزينة المركزية، ولقد تمّ

التعبير عن وضعيتهم هذه في مثل شعبي لا زال يضرب لوصف حالة الشقي المحتاج «مثل عسكر زواوة متقدمين في الشقاء مؤخرين في الراتب».

هذا وقد عمل البايات وخاصة منهم الحسينيون على تنويع الفرق العسكرية وخاصة منها التي لم تكن لها عصبية وولاء للسلطة المركزية، ومن بين هذه الفرق يمكن أن نشير الى فرقة المماليك التي جعلها حمودة باشا باي الحسيني حرسا خاصا به، لكن أكثر هذه الفرق ولاء للسلطة المركزية وأنجعها في فرض نفوذها وهيبتها هي فرق الحوانب والصبايحية.

ج - الحوانب والصبايحية

ينتسب هؤلاء في معظمهم الى العنصر المحلي من المتطوعين للخدمة العسكرية من ابناء القبائل والقرى والأرياف بصفة عامة. هذا ووجدت نواة من الحوانب والصبايحية من الترك. وقد كانوا منظمين في ديوان خاص بهم وذلك حتى سنة 1840، تاريخ اقحام أحمد باشا لهم - دون الحوانب والصبايحية العرب - في الجيش النظامي.

ويبدو من خلال المصادر التاريخية ان تنظيم هذه العناصر وخاصة منها الصبايحية وتوزيعها على أوجاق قد تم على يدي حمودة باشا المرادي.

فلما وصل حسين بن علي الى السلطة حافظ على هذه الفرق بل قرّبها اكثر من جند الترك. وحسب بعض التقديرات، بلغ عدد الصبايحية في عهده ألف وسبعمائة صبايحي موزعين على ثلاثة أوجاق وهي : وجق تونس، وجق باجة ووجق الكاف. وقد قدر الاستاذ محمد الهادي الشريف ما يكلفه الحوانب والصبايحية للباي حسين بحوالي 30% من جملة المصاريف الحربية.

وفي إطار السياسة العسكرية نفسها والمتمثلة في تقريب العناصر المحلية وتشريكها في الجيش اولى حمودة باشا الحسيني عناية فائقة بالحوانب والصبايحية، فبلغت أوجاق الصبايحية في دولته أربعة : «وجق بتونس وعليه باش آغة وكاهية وباش خوجة ووجق بالقيروان وعليه آغة وكاهية

وخوجة، ووجق بالكاف مثله، ووجق بباجة، على شرط ان كل كاهية يسكن ببلد وجقه على أهبة، ويرون أمامه فارسا فارسا في كل عام، ولا أقل من خمسمائة فارس في كل وجق ... ».

وبالرغم من فقدان هذه العناصر لمكانتها صلب المؤسسة العسكرية على إثر تجربة الجيش النظامي فإنها تمكنت من البقاء كعناصر أساسية في القيام بأعمال الحراسة حيث استعادت شيئا من مكانتها في عهد محمد الصادق باشا باي. كما ارتفع عدد أوجاق الصبايحية في عهده إثني عشرة وجقًا موزعة بأهم المناطق كالوطن القبلي والجريد وصفاقس وماطر والأعراض، وهو ما يؤكّد الدور الأساسي والمتزايد للعناصر المحلية والتقليدية في خدمة دولة البايات بالتوازي مع تقلص دور الفرق والوحدات العسكرية المستحدثة ولا سيما جند الترك.

II ـ الجيش المستحدث

1 ـ جند الترك بتونس : من الهيمنة إلى الاندثار

يعتبر هذا القسم من الجيش نتاجا مباشرا للتحول السياسي الذي عاشته البلاد التونسية في العصور الحديثة، فبالرغم من استخدام الحفصيين لعدد من الاتراك في حراستهم الخاصة وفي جيشهم، فان جند الترك كتنظيم عسكري لم يبرز إلا مع السلطة العثمانية الجديدة التي انتصبت بالبلاد منذ عام 1574م. فما هي علاقة هذا الجند بالجيش الانكشاري في الامبراطورية العثمانيّة ؟ وما هي التطورات التي عرفها هذا الجيش المستحدث بالبلاد التونسية ؟

أ ـ عسكر متميز ومتفوق

ذكر ابن ابي دينار ان سنان باشا ترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار الينشرية وهي الواحدة بعد المائة، لتأمين الولاية

الجديدة وضمان تبعيتها للباب العالي. فهل يمكن لنا بالاعتماد على ما ذكره صاحب المؤنس القول بأن جند الترك بتونس تصح نسبته الى الجيش الانكشاري ؟

بين الاستاذ البشروش أن سنان باشا لم يعتمد فقط على الجيش الانكشاري في حملته على تونس بل أيضا على صنف آخر من الجند ويسمى في الامبراطورية العثمانية باللوند (Levende) ينتدبون كمرتزقة للقيام بمهام معينة ولا سيما إخضاع ولاية جديدة وتأمينها.

تبعا لذلك فان الجيش الذي خلّفه سنان باشا بتونس يكون مركّبا في معضمه من المتطوعين والمغامرين الذين شاركوا في حملة سنان باشا طمعا في الامتيازات وأملا في تحسين أوضاعهم الاجتماعية المتدهورة بالاناضول وغيرها من المناطق.

ومهما يكن من أمر فإن الجيش الذي تركه سنان باشا والذي أصبح يسمى في مصادرنا فيما بعد بجند الترك قد مثل الجيش الانكشاري المتميز بتنظيمه وتقنياته الحربية الحديثة. وانتظم هذا الجيش ومعه بقية الأتراك في ديوان خاص.

فكان الأتراك مطالبين بتسجيل أسمائهم على دفاتر الديوان منذ ولادتهم فيكون ذلك التسجيل بمثابة الالتزام بالخدمة العسكرية، الشيء الذي يمكنهم من تقاضي راتب بسيط قدّر بنصف ناصري يوميا. وينخرط التركي الشاب في الخدمة العسكرية كجندي بسيط يدعى باليولداش : -yol dach ومعناه رفيق الدرب، ويتفرق اليولداشات على غرف تسمى الواحدة منها بالأودة : oda والتي كانت تضم بين 20 و 30 يولداشيا يرأسهم الأودة باشي، وتخول هذه الرتبة لصاحبها الارتقاء الى الرتب السامية في جند الترك بعد المرور بالرتب التالية من أسفل السلم الى أعلاه : البيرقدار - الكاهية - آغة الصنجق - شاوش بالحصون الداخلية والحاميات التركية او ما يسمى «بالنوبة» - شاوش الآغة - شاوش بالديوان - باش شاوش. ثم يتدرج الاودة

باشي الى الباشي أودالار وهو بمثابة المستشار بالديوان، ومنها يرتقي الى رتبة صولاق التي تمكنه بدورها من الحصول على رتب سامية بداية بالبلوكباشي boluk - bachi، ويعني قائد وضابط السرية الواحدة والتي كانت تضم 100 جندي ومنها يرتقي البلوكباشي الى آغة باحدى الحاميات التركية ثم يصير آغة الحراسة بالقصر فآغة معزول، بمعنى محال على التقاعد او على تعاطي وظائف مدنية كأن يتحول الى آغة لبيت المال او أمين معاش او وكيل لبعض الاحباس العامة وغيرها من الوظائف التي اختص بها الأتراك في الولاية.

فضلا عن ذلك كان لجند الترك مراسمهم الخاصة بهم وأجهزتهم التي تتولى تسيير شؤونهم والمحافظة على طائفيتهم ونفوذهم بالولاية. ومن ابرز هذه الأجهزة آنذك دار الباشا التي كان يصرف منها راتب الجندي وذلك منذ تأسيسها سنة 1574 الى 20 أوت 1865 تاريخ إلغائها.

واختصّ الديوان برئاسة آغة الكرسي وبقية أعضائه بالنظر يوميا في الدعاوي التي تعرض عليه والمتعلقة بالاتراك وذلك وفق أحكام ومراسم ظلت قائمة بالولاية حتى إلغاء هذا الجهاز في 13 نوفمبر 1856.

ومهما يكن من أمر هذه التراتيب الخاصة بديوان جند الترك فهي ان دلت على شيء فإنما تدل على بحث الأتراك المتواصل للانفراد والتميّز عن المحليين وبقية الفرق العسكرية.

لكن إلى أي حدّ تمكن جند الترك من المحافظة على هذه الوضعية صلب المؤسسة العسكرية للبلاد التونسية خلال العصر الحديث ؟

ب ـ نحو الانهيار

لقد عرف جند الترك بولاية تونس عدة تطورات أثرت على عدده وعلى انتماءاته العرقية والجغرافية. وتشير المصادر التاريخية في هذا الصدد إلى أنّ الألف الرابعة من جند الترك لم تظهر الا مع يوسف داي الذي قد يكون انتدب بعض الأتراك المولودين بالبلاد أو من الكراغلة ليعزز حظوظ

الجيش التونسي في حربه ضدّ دايات الجزائر. ومهما يكن من أمر هذه التقديرات واختلافها من مصدر الى آخر فإنه يمكن القول بأن عدد جند الترك كان يتأرجح بين ثلاث آلاف وأربع آلاف جندي وذلك حتى عهد حمودة باشا باي الحسيني. فبالرغم من الانتدابات التي قام بها علي باشا ثم علي باي الذي انتدب 600 جندي تركي من بين الحنفية المولودين بتونس سنة 1770 فان عدد الأودات او البيوت التي يتوزع عليها الجند قد استقر في حدود المائتين.

بيد أن السياسة العسكرية لحمودة باشا تميزت بالاهتمام بجند الترك والمبالغة في الاكثار منه، فارتفع عدد الأودات الى ثلاثمائة أودة، ولئن تراجعت مكانة جند الترك وعدده بعد قيامهم بثورة أولى سنة 1811 ثم ثورة ثانية سنة 1826 فان مكانة جند الترك وعصبيته لم تنحل بصفة نهائية إلا مع أحمد باشا باي وتكوينه للجيش النظامي على الطريقة الأوروبية، حيث تخلى على عدد كبير منهم ولم يحتفظ الا بأعداد محدودة جعلهم مع المماليك وكون منهم مع الفرسان المحليين فرقة خاصة عرفت بفرقة الخيالة وكان ظهورها سنة 1839.

وكنتيجة حتمية لسياسة احمد باي العسكرية، وسياسة الاصلاحات عموما، انخفض عدد جند الترك في عهده من 3500 جندي الى 2431 جندي سنة 1848. الا انه بعد فشل تجربة الجيش النظامي وبعد دخول البلاد في أزمة مالية حادة لجأ محمد باي الى التخلي عن خدمة عدد كبير من المجندين ولا سيما من الترك، ولم يعودوا الى الخدمة العسكرية الا سنة 1864. وكان ذلك عندما عمد محمد الصادق باشا باي الى من تبقى من ابناء جند الترك والشيوخ منهم ونظمهم في فرقة عسكرية عرفت بعسكر الحنفية. ولقد حاول الباي الاعتماد عليهم خاصة في حراسة العاصمة وقصري باردو والمرسى وبعض الموانئ الاستراتيجية بالبلاد كطبرقة والبيبان ... إلخ : ووصل عدد المجندين من الحنفية سنة 1870 الى 2700 جندي، بيد أن عسكر الحنفية كما وصفه ابن أبي الضياف أصبح في معظمه متكونا من العاجزين عن الخدمة العسكرية لكبر سنهم «وقد نسي جميعهم ما يراد من

العسكر، حتى ان أفرادا منهم تضرروا بسلاحهم لجهلهم كيفية التوقي من غوائل السلاح والبارود، لأنهم دخلوا في جملة العامة ...».

هكذا ونتيجة للتحولات الاقتصادية والسياسية التي مرّت بها الولاية تحول جند الترك من فئة عسكرية متميزة عن العناصر المحلية لا سيما من حيث حذقهم للأساليب الحربية الحديثة وتقنياتها الى فرقة مهمشة في الجيش ومن وراء ذلك داخل المجتمع.

2 ـ الجيش المستحدث بالمغرب الأقصى : بين التماهي والتميّز

أ ـ العهد السعدي والتجارب الأولى

احتوى الجيش السعدي على عناصر غير محلية ذات أصول مختلفة منها الأندلسي و الأوروبي و التركي، وقد لعبت هذه الوحدات العسكرية المستحدثة دورا أساسيا في تثبيت الدولة السعدية وتحقيقها لانتصارات هامة على القوى المنافسة لها بالداخل والخارج ولا سيما القوى الايبرية والعثمانية. هذا ويعتبر السلطان محمد المهدي الشيخ (1539ـ 1556م) أول من اعتمد العناصر المستحدثة في الجيش من السعديين. الا ان تجربته لم تكن الوحيدة بل تلتها محاولات أخرى ارتبطت بتنوع الظرفية السياسية للمغرب الأقصى طوال المرحلة السعدية.

ومن أهم العناصر غير المحلية التي اعاد استخدامها مولاي محمد المهدي الشيخ في الجيش، العنصر الاندلسي الذي تكونت منه فرقة عسكرية عرفت بجيش الاندلس من جيوش النار.

* جيش الأندلس

لقد عرف المغرب الأقصى ولا سيما بعد سقوط غرناطة توافد عدد هام من المورسكيين اشتغل جانب منهم في قطاع الجهاد البحري وجانب آخر

في الجيش فأصبح لهؤلاء تنظيم خاص في عهد مولاي محمد المهدي الشيخ. وقد اشتهر عدد من قادة هذا الجيش نذكر منهم سعيد بن فرد الدغالي الغرناطي في عهد محمد الشيخ والقائد جوذر في عهد مولاي احمد المنصور،وقد اعتمد على هذا العنصر مولاي زيدان (1603 . 1627) عند مقاومته لأبي حسون السملالي في ناحية درعة الا انهم فروا فيما بعد من الجيش لعدم حصولهم على رواتبهم.

وبصفة عامة لعبت العناصر الأندلسية الأصل دورا أساسيا في القرصنة المغربية وبحريتها ولا سيما بالرباط وسلا.

* العنصر التركي

ومن العنصر التركي تكونت فرقة عسكرية كان أوّل من نظمها مولاي محمد المهدي الشيخ، بيد أن هذه النواة الأجنبية والمنظمة على منوال الجيش الانكشاري لم تعرف استقرارا في علاقتها بالسعديين واختلف دور العناصر التركية صلب الجيش السعدي باختلاف العلاقة بين السلطة التركية في الجزائر والسلاطين السعديين.

فلئن لجأ مولاي محمد المهدي الشيخ الى خدمات الأتراك الذين انتموا في السابق الى جيش ابي حسون الوطاسي فـ«ملؤوا عينه وقلبه» على حدّ تعبير المؤرخ المجهول، فان عودة الوطاسيين مؤقتا الى الحكم بفاس في أوائل صفر 961هـ/ 1553م بمساعدة أتراك الجزائر . قد نفّرت الأهالي منهم لما قاموا به من اعمال شنيعة من جهة ونفّرت السلطة السعدية من هذه العناصر خاصة بعد تورطها في اغتيال محمد المهدي الشيخ في اواخر سنة 964هـ / 1557م، وقام مولاي عبد الله الغالب بالقضاء على العناصر التركية في الجيش السّعديّ وانتقم من الحامية التركية بتارودنت وأعلن سياسة عداء مطلق لاتراك الجزائر.

وبوصول مولاي عبد الملك المعتصم الى العرش، (1575 ـ 1578م) بمساندة أتراك الجزائر، استعادت العناصر التركية وجودها من جديد ضمن ما عرف بجيش النار في الدولة السعدية.

وبالرغم من قصر مدّة حكمه فقد حاول عبد الملك إعادة تنظيم هذا الجيش واعتمده في حراسته وحروبه، من ذلك ما قام به هذا الجيش وهذه العناصر التركية من دور في واقعة وادي المخازن.

وتواصل دور العنصر التركي في الجيش مع مولاي أحمد المنصور الذهبي بل أن سياسته العسكري كانت في مجملها تقوم على الاقتباس من التنظيمات العسكرية العثمانيّة الى حدّ التماهي المطلق.

ويبرز هذا التوجه التحديثي من خلال تكوين مولاي احمد المنصور لعدد من الفرق من العجم والموالي فضلا عن العبيد السود وتنظيمهم على المنوال العثماني، ومن أهم الفرق التي كانت ملازمة له :

* البياك : وأصلهم من العجم وقد كان لهم زي خاص مذهّب ومهمتهم حراسة قبة جلوس السلطان.

* السلاق : ولهم نفس المهام المرتبطة بحراسة السلطان.

* البلبردوش : ويقفون وراء السلاق ويتميزون عنهم بسلاحهم.

* الشنشرية : واختصوا بالسهر على مؤونة السلطان وحاشيته.

* الشواش : وهم ضبط الجيش في زمن السلم والحرب وإبلاغ أوامر السلطان الى الجهات.

فالتأثيرات التركية العثمانية على الجيش السعدي وعلى جيش مولاي أحمد المنصور واضحة لا من خلال الترفيع في عدد العناصر التركية الأصل فحسب ولكن أيضا من خلال التسميات والمصطلحات العسكرية للفرق والرتب ومن خلال الأزياء وآلات النفخ والأسلحة النارية التي كانت بحوزة الجيش المستحدث والتي كان لها تأثير قوي وبالغ على الرعية والمجموعات المناوئة منها بالخصوص. ولقد صور لنا الفشتالي في كتابه «مناهل الصفا» على سبيل المثال وقع آلات النفخ التي كانت تستعملها الفرق المستحدثة ولا سيما جيش الموالي المعلوجي بأن قال : « ... وأمامه الطبل العظيم الذي يسمع دوي صوته على البعد ومن خلفه الطّبول الأخرى

التي يقرع مع المزامير المعروفة بالغيطات واحدتها غيطة يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيذ يتعلمونها فتنبعث منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطبع ولا تبعثه على شيء سوى الحرب حكمة فلسفية... ». تذكرنا هذه الموسيقى العسكرية بضرب النوبة في الجزائر وتونس من قبل جند الترك وتأثير ذلك على المحلّيين، بذلك يكون المغرب السعدي قد تأثر بروح العصر وما فرضته من تحديث للمؤسسة العسكرية.

إلا أن ما ميّز سياسة أحمد المنصور العسكرية هو تكوينه كذلك لنواة عسكرية من العبيد فعلى إثر حملته على بلاد السودان سنة 1591 تمّ استرقاق عدد هام من السود قدّر حسب بعض المصادر بعشرة آلاف من بلاد برنو وجاغو وكنور ... الخ. ونظم مولاي المنصور الذكور القادرين منهم على حمل السلاح في ديوان عسكري خاص بهم.

ولم يشهد دور العبيد السود تطورا جديرا بالملاحظة بعد موت مؤسّسه إذ سرعان ما دخلت الدولة السعدية في فترة احتضار انتهت بسقوطها وتلاشي جيش العبيد الذي تحول في معظمه إلى ملكية الخواص فهجر الخدمة العسكرية ولم يعرف إنطلاقة جديدة إلا مع الدولة العلوية، مع مولاي اسماعيل بالذات.

هذا ولا تفوتنا الاشارة كذلك إلى الاختلافات الكبرى بين الاخباريين في تقدير عدد الجيش من العناصر غير المحلية في العهد السعدي، فقدر عددهم في عهد أحمد المنصور الذهبي بأربعين ألفا منهم أربعة آلاف من العلوج ومثلها من جند الأندلس فضلا عن عشرات الآلاف من العبيد السود.

ب - العلويون وعبيد البخاري

إلى جانب الوحدات العسكرية التقليدية ولا سيما من القبائل وبقية الوحدات التي ورثها العلويون عن السعديين فان ما ميّز سياستهم العسكريّة منذ عهد مولاي اسماعيل هو تحديثهم لجيش العبيد وجعله من أهم الوحدات الردعية للدولة العلوية وأخطرها على الدولة والمجتمع معا.

ولئن لا يمكن لنا هنا الاحاطة بكل الجوانب المتعلقة بجيش العبيد فإنّه من الضروري التأكيد على الدور المزدوج الذي لعبه هذا الجيش كما يمكن أن نؤكد اهمية الأبعاد والجوانب السياسية والاجتماعية لهذه العناصر المستحدثة في الجيش العلوي كما شدد على ذلك الاستاذ عبد الله العروي.

فقد «ولع» مولاي اسماعيل على حدّ تعبير الزياني بجمع العبيد من الذين كانوا في خدمة السلطان السعدي مولاي احمد المنصور الذهبي وذلك بالاعتماد على دفاتر ديوان العبيد وبإشارة وإشراف القائد عليلش والكاتب محمد بن العياشي وغيرهما من عمال مولاي اسماعيل العلوي بمختلف الجهات ولا سيما بمراكش وحوزها وبالغرب وبفاس وبلاد الهبط ... إلخ. واجتمع لديه حسب بعض المصادر ثمانية آلاف من العبيد.

هذا وقد اقترنت عملية جمع العبيد واسترقاقهم من قبل المخزن بعدة انحرافات وتجاوزات لم تكن لتنال رضا كافة الناس ولا كافة الفقهاء، فاحتدّ الجدال بينهم عندما باشر مولاي اسماعيل سنة 1690 جمع الاناث من العبيد والحراطين اذ تضررت الفئة الارستقراطية ولا سيما بفاس وتطوان من نزيف اليد العاملة والقوى التي كانت مسخرة في خدمتهم.

ومهما يكن من أمر هذه التأثيرات السلبية على الارستقراطية الفاسية خاصّة وعلى الاقتصاد المغربي عامّة فان مولاي اسماعيل سعى الى تنظيم هذا الجيش والاستغناء به عن خدمات العناصر التقليدية القبلية. فخضع العبيد في الدولة الاسماعيلية الى نظام عسكري واجتماعي صارمين استلهمه من التجربة التركية ولا سيما الجيش الانكشاري بل ان مولاي اسماعيل حاول التأكيد على ولاء العبيد اللا مشروط الى السلطان بأن حلّفهم على نسخة من صحيح البخاري التي تحولت بمثابة الرمز للتحالف الموضوعي والتاريخي بين السلطة العلوية المجسّدة للشرف والأداة الردعية الرديفة لها. ومنذ ذلك التاريخ عرف جيش العبيد بعبيد البخاري.

وتمكّن مولاي اسماعيل من تكوين جيش من العبيد طيّع مرتبط مباشرة بالسلطان وبمخزنه ليس له أي ارتباط بالمجتمع وقد وصل عدد

البخاري في عهده حسب بعض المصادر، ولا سيما الاستقصا، مائة وخمسين ألفا منهم سبعون ألفا بمشرع الرملة قرب سيدي سليمان، ومنه يوزعون على مختلف الحاميات والقصبات بالبلاد.

لكن مكانة هذا الجيش وحظوته لم تتواصل بعد موت مولاي اسماعيل فكان لمشاركة هذا الجيش في الانتفاضات ضدّ السلطة وفي حروب الخلافة من جهة وتعرّضهم للأوبئة والتقتيل من جهة ثانية الأثر الكبير في دخول جيش العبيد في فترة ضعف كان من ابرز مظاهرها إجلاؤهم عن مشرع الرملة من قبل مولاي عبد الله سنة 1746م وانتقالهم بالسكنى الى مكناسة الزيتون بعد أن أرهقتهم قبائل بني حسن بالنهب والقتل والحروب.

ولما عاد الاستقرار السياسي إلى الدّولة العلوية في عهد مولاي محمد بن عبد الله وبالتحديد في سنة 1768م عاد العبيد من جديد الى صفوف الجيش العلوي بصفة محتشمة فتمّ تجميعهم من عدة جهات ولا سيما عبيد السوس وانزلوا بالرباط لكن ثورة العبيد وخروجهم عن طاعة مولاي محمد ومبايعتهم لابنه مولاي يزيد سنة 1775م دفعت به الى الانتقام منهم ونقلهم الى عدّة أماكن ونفيهم عن العواصم.

وبالرغم من ذلك فان عبيد البخاري تمكنوا من مزاحمة العناصر التقليدية في الجيش لا سيما في عهدي مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان وحافظوا على وزنهم العسكري والسياسي خاصة صلب الدولة العلوية وخاصة بعد سنة 1832.

وقد أصبح للعبيد ولقادتهم الكلمة الأولى والأخيرة بل أن أغلب المناصب الحساسة في الادارة والبلاط أصبحت بأيديهم أو بأيدي حلفائهم. وأحسن ممثل لذلك عائلة أحمد بن مبارك التي سيطر أفرادها على عدّة مناصب وزارية طيلة قرن من الزمن تقريبا بداية من أوائل دولة مولاي سليمان.

هكذا نتبين ان دور عبيد البخاري السياسي لم يختلف اختلافا كبيرا عن دور الجيش الانكشاري في الدولة العثمانية وفي الولايات التابعة لها، فبعد أن كان هذا الجند دعامة للدولة تحوّل الى خطر يهدّد كيانها.

فلم يعد الولاء مطلقا الا للسلطان القادر على توفير الاموال والامتيازات المتنوّعة. في هذه الظروف وتحت التأثيرات الأوروبية وموجة الاصلاحات العثمانية، قامت الأنظمة المغربية بتخطي تجربة الجيش النظامي لكن الزحف الاستعماري الذي طوّق المنطقة بعد احتلال الجزائر سنة 1830 كان ينبئ بحتمية فشلها.

نصّ عدد 34 :

محلّة السلطان

عندما يرغب الملك في الركوب، يخبر رئيس التشريفات باسم الملك سعاة البريد، فينقلون الخبر الى أهل الملك والقواد وقواد الرحى وسائر الفرسان، فيجتمعون كلهم في الساحة أمام القصر ... وعندما يخرج الملك من القصر يقوم سعاة البريد بتنظيم الموكب، يتقدم حملة الأعلام يتبعهم أصحاب الطبول، ثم يأتي رئيس الاصطبلات مع مرؤوسيه وخواصه، فالعلاف وأصحابه، فقواد الرحى، فرئيس التشريفات، فكتاب الملك وخازن ماله والقاضي وقائد الجيش، ويأتي الملك بعد ذلك مرفوقا بالمستشار الكبير وبعض الامراء، يتقدم بين يدي الملك بعض القواد الراكبين على الخيل، يحمل أحد سيفه، والثاني ترسه، والثالث قاذفته.

ويسير حول الملك خدامه المسلحون، يحمل أحدهم حربته، وآخر غطاء سرج جواده وزمامه، وعندما يترجل الملك يغطي السرج بهذا الغطاء ويوضع الزمام فوق اللجام ليقاد الجواد باليد، ويحمل خادم آخر قباقب الملك، وهي أحذية من خشب مزدانة بتطريزات متناهية الجمال، تعد من مظاهر الابهة والفخامة، ويجيء رئيس الخدم المسلحين وراء الملك متبوعا بالخصيان ويشتمل الموكب بعد ذلك على أسرة الملك يتبعها الفرسان الخفاف، ثم القاذفون ورماة البنادق.

يرتدي الملك في هذه المناسبة لباسا متواضعا لائقا، فالذي لا يعرف الملك لا يصدق أنه هو نفسه، لأن خدامه المسلحين يرتدون لباسا أفخر من لباسه مصنوعا من اقمشة ثمينة مزخرفة، ولا يضع أي ملك أو أمير مسلم على رأسه تاجا او ما يشبهه، لأن الشريعة المحمدية تمنع ذلك.

وعندما يعسكر الملك في البادية يشرع في إقامة سور الفسطاط الملكي وسط المعسكر، وهو سور من كتان على صورة أسوار قصر بشرفاته، مربع الشكل، طول كل جهة خمسون ذراعا، يقام في كل زاوية برج صغير

بشرفاته وسقفه، ويعلو سقف كل برج كرة جميلة تبدو كأنها من ذهب، وفي السور أربعة أبواب، يقف عند كل واحد منها حرس من الخصيان، تضرب الأخبية داخل السور، وقد صنع الخباء الذي ينام فيه الملك بكيفية تجعل نصبه وطيه سهلا يسيرا، وتقام حول السور خيام القواد وأقرب رجال الحاشية الى الملك، وتضرب حولها عادة خيام قواد الرحى المصنوعة من جلود الماعز كخيام الأعراب.

ويوجد في وسط المعسكر تقريبا بيت المؤونة والمطبخ وقاعة الطعام الخاصة بخدم الملك في خيام عظيمة وتقع غير بعيد منها خيام الفرسان الخفاف الذين يأكلون في مطعم الملك ... ويقع الاصطبل بعيدا قليلا من هناك ... ويخيم بغالو الموكب الملكي خارج المعسكر، حيث تقام دكاكين الجزارين والبزازين وبائعي القديد، أمّا التجار والصناع الذين يتبعون الجيش فينصبون خيامهم بجانب خيام البغالين.

ويصير مقام المعسكر الملكي كأنه مدينة حقيقية، تقوم فيها أخبية قواد الرحى مقام الأسوار، لانها متصلة بعضها ببعض، بحيث لا يمكن الدخول الى قلب المعسكر إلاّ من ممرات معينة.

الحسن بن محمد الوزان الفاسي،

وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،

الجزء I الرباط 1980، ص ص 224.

نصّ عدد 35 :

جيش الودايا

هذا الجيش من أمثل جيوش هذه الدولة الشريفة أبقى الله فضلها وبسط على البلاد والعباد يمنها وعدلها وهو ينقسم الى ثلاثة ارحاء : رحى أهل السوس، ورحى المغافرة، ورحى الودايا، ويطلق على الجميع ودايا تغليبا، فأما اهل السوس فمنهم أولاد جرار وأولاد مطاع وزرارة والشبانات وكلهم من عرب معقل وكانوا في القديم جندا للدولة السعدية ...

ولما أشرفت الدولة السعدية على الهرم استطالت الشبانات عليها بما لهم من الخؤلة على أولاد السلطان زيدان، فاستبدّت فرقة منهم بمراكش كما مرّ وثارت اخرى بفاس الجديدة مع أبي عبد الله الدريدي المتغلب بها حسبما سلف، الى ان نقل أمير المؤمنين المولى اسماعيل رحمه الله جميعهم الى وجدة كما سيأتي ثم خلطهم بعد بأخوانهم من المغافرة والودايا وصير الجميع جيشا واحدا فهذه أولية أهل السوس ...

وأما الودايا فكان السبب في جمعهم واستعمالهم في الجندية انه لما فتح المولى اسماعيل رحمه الله مدينة مراكش الفتح الثاني وأجفل ابن محرز عنها أقام بها اياما ثم خرج الى الصيد بالبسيط المعروف بالبحيرة من أحواز مراكش، فرأى أعرابيّا يرعى غنما له وبيده شفرة يقطع بها السد ويضعه لغنمه لتاكل ورقه، فقال للوزعة : «علي بأبي الشفرة» فأسرعوا اليه وجاءوا به الى ان أوقفوه بين يديه، فسأله فانتسب له الى ودى ....، قبيلة من عرب معقل بالصحراء، وأخبره بأنهم دخلوا من بلاد القبلة بسبب جدب أصابهم قال : «دخلنا السوس بنجع كبير فافترقنا وذهبت كل طائفة منا الى قبيلة فنزلت عليها، ونحن نزول مع الشبانات» فقال له المولى اسماعيل رحمه الله : «أنتم اخوالي وسمعتم بخبري ولم تأتوني، والآن أنت صاحبي واذا رجعت بغنمك الى خيمتك فأقدم علي الى مراكش» ... ثم بعد أيام قدم أبو الشفرة على السلطان فكساه وحمله وبعث معه خيلا يجمع بها اخوانه من قبائل

الحوز، فجمع من وجد منهم وَجَاءَ به الى السلطان فأثبتهم في الديوان وكساهم ...

وأما خبر الخلط : فانه لما أوقع بهم المنصور السعدي تفرقوا في القبائل شذر مذر، وصاروا عيالا على غيرهم، ولما اشرفت الدولة السعدية على الهرم اجتمعوا ... وتمولوا واكثروا من الخيل والسلاح الى ان جاء الله بالمولى اسماعيل رحمه الله فانتزع منهم خيلهم وسلاحهم كغيرهم من قبائل المغرب، وضرب عليهم المغارم واستمروا على ذلك الى ايام السلطان المرحوم المولى محمد بن عبد الله فظهروا في دولته، وكانوا يعكسون معه في حروبه ويغرمون ما وجب عليهم من الزكوات والاعشار ... وهم اليوم في عداد القبائل الغارمة.

أبو العباس أحمد بن خالد الناصري،

كتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى،

تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،

الدار البيضاء 1956، الجزء 7 ص ص 50-53.

نصّ عدد 36 :

جيش عبيد البخاري

هذا الجيش من أعظم جيوش هذه الدولة السعيدة، وكان السبب في جمعه ما وجد مفصلا في كناش كاتب الدولة الاسماعيلية ووزيرها الاعظم النقيب الأديب ابي العباس احمد اليحمدي رحمه الله قال : لما استولى السلطان المولى اسماعيل بن الشريف على مراكش ودخلها اول مرة كان يكتب عسكره من القبائل الأحرار ... حتى أتاه الكاتب ابو حفص عمر بن قاسم المراكشي المدعو عليليش، وبيتهم بيت رياسة من قديم، وكان والده كاتبا مع المنصور السعدي ومع أولاده من بعده، فتعلق ابو حفص هذا بخدمة السلطان المولى اسماعيل واطلعه على دفتر فيه اسماء العبيد الذين كانوا في عسكر المنصور، فسأله السلطان، هل بقي منهم أحد؟ قال : نعم، كثير منهم ومن أولادهم، هم متفرقون بمراكش وأحوازها وبقبائل الدير، ولو امرني مولانا بجمعهم لجمعتهم فولاه أمرهم وكتب له الى قواد القبائل يأمرهم بشد عضده وإعانته على ما هو بصدده فأخذ عليليش يبحث عنهم بمراكش وينقر عن انسابهم الى ان جمع من بها منهم، ثم خرج الى الدير فجمع من وجد به، ثم سار الى قبائل الحوز فاستقصى من فيها حتى لم يترك بتلك القبائل أسود، سواء كان مملوكا أو حرطانيا او حرا اسود، واتسع الخرق وعسر الرتق فجمع في سنة واحدة ثلاثة آلاف رأس منهم المتزوج والعزب ثم كتبهم في دفتر وبعث به الى السلطان بمكناسة ... فكتب اليه يأمره بشراء الاماء للاعزاب منهم ويدفع اثمان المماليك منهم الى ملاكهم ويكسوهم من أعشار مراكش ويأتيه بهم الى مكناسة ...

ثم بعث السلطان كاتبه ابا عبد الله محمد بن العياشي المكناسي الى قبائل الغرب وبني حسن وأمره بجمع العبيد الذين بها فمن لا ملك لأحد عليه يأخذه مجانا، ومن كان مملوكا لأحد فليعط صاحبه ثمنه ويحجزوه عنه ... وكان السلطان قد كتب أيضا الى عماله بالأمصار بأن يشتروا له العبيد والإماء من فاس ومكناسة وغيرهما من حواضر المغرب عشرة مثاقيل للعبد

وعشرة مثاقيل للأمة، فاستوعبوا ما وجدوا حتى لم يبق عند أحد عبد ولا أمة، فاجتمع مما اشتراه العمال ثلاثة آلاف أخرى فكساهم السلطان وسلحهم وبعث بهم الى المحلة بعد أن عين لهم قوادهم ثم أن ابن العياشي قدم بدفتر فيه ألفان من العبيد فيهم المتزوج والعزب فكتب السلطان الى القائد ابي الحسن علي بن عبد الله الريفي صاحب بلاد الهبط ان يشتري للأعزاب منهم الإماء. ويكسوهم ويعطيهم السلاح من تطاوين ويعين لهم قوادهم ويبعث بهم الى المحلة، فصار المجموع ثمانية آلاف، وهذا العدد هو الذي نزل اولا بها ثم ألزم السلطان قبائل تامسنا ودكالة ان يأتوا بعبيد المخزن الذين عندهم واعطوهم الخيل والسلاح وكسوهم وبعثوا بهم اليه فمن تامسنا ألفان ومن دكالة ألفان، فانزلهم السلطان بوجه عروس من أحواز مكناسة الى أن بنى قصبة آدخسان فانزل عبيد دكالة بها وانزل عبيد تامسنا بزاوية أهلا الدلاء.

ثم دخلت سنة تسع وثمانية وألف فيها غزا السلطان المولى اسماعيل صحراء السوس ... وجلب من هذه الغزوة ألفين من الحراطين بأولادهم ... وبعث بهم إلى المحلّة ... فكان عدد ما جمع من العسكر البخاري أربعة عشر ألفا، عشرة آلاف منها بمشرع الرملة وأربعة آلاف بآدخسان ... ثم عفوا وتناسلوا وكثروا حتّى مات المولى اسماعيل وقد بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا ...

أبو العباس احمد بن خالد الناصري،

كتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى،

تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،

الدار البيضاء ـ 1956،

الجزء. 7 ـ ص ص 56. 57.

نصّ عدد 37 :

قيام العبيد على المولى سيدي محمد
وتفريقهم في القبائل

وفي شهر شوال عام اثنين وتسعين ومائة وألف 1192هـ / 1778م خالف الوصفان أمر السلطان سيدي محمد بن المولى عبد الله بن اسماعيل، وبايعوا ولده المولى اليزيد وخطبوا به شهرا وهرسوا الامداد بالرحبة وقتلوا الذي كان عليها (مكناسة الزيتون) وحاربوا الوداية وهرسوا الامداد بفاس والسلطان بمراكش، فأتى إليهم مسرعا ونزل برباط سلا ولم يتكلم مع العبيد الذين بأكدال ثم ارتحل ونزل بمكناسة فتلقاه ولده اليزيد ... فقبضه ... ثم عفا عنه وسرحه ... ثم أعرض السلطان على العبيد وسار لفاس الجديد وأقام به اياما ثم بعث للعبيد المال مع ما يلبس نساءهم من الحرير ... وانفق عليهم مالا كثيرا ...

ثم أمرهم بالرحيل من مكناسة ويجتمعون مع اخوانهم العبيد برباط الفتح وذلك حيلة منه ... وساروا من نحو اليوم، ثم دوّر بهم المحال من كل ناحية من البرابر ... وأهل الغرب ... مع محلة السلطان التي أتت من حوز مراكش فلما طلع عليهم النهار وأرادوا الرحيل، رأوا المحل فأتاهم وعزيز المطيري وقال لهم : «أدّوا امر السلطان»، فقالوا «السمع والطاعة» فقرأ عليهم كتاب السلطان وهو يامرهم بالمرور لثغر طنجة وللعرائش، فامتثلوا للأمر وساروا لطنجة وللعرائش وأقاموا بالثغور أياما ثم حاصوا بعد ذلك حيصة حمر الوحش وزاغوا لما تحت أيديهم في الثغور من بيوت الاموال، فتحيل عليهم الى أن أخرجهم من طنجة والعرائش والرباط وتركهم في حيرة، وفرقهم على فرق ... وذلك أن السلطان نصره الله لما أحسّ منهم الخلاف والاستقلال بأنفسهم فاحتال عليهم بأن وجه لهم الملف والكتاب وأمرهم بالنزول مع اخوانهم الوصفان للرباط لما أخرجوا أمرهم بالنزول في دار عربي فخرج من طنجة أربعة آلاف وخرج من العرائش ثلاثة آلاف واجتمعوا بدار

عربي المذكورة بنحو اثني عشر ألفا بانضمامهم لخمسة الاف خرجت من مكناسة الزيتون.

ومن الهم والغم والنكد والمعيرة التي لا تنسى والقصة التي لا تبلى تفريقهم بدار عربي المذكورة وذلك سنة 1193هـ.

ولما نزلوا بها بنسائهم وخيلهم وعدتهم وأموالهم وامرهم السلطان ان يقيموا بها ثلاث اشهر ووكل بهم ابني حسن مع القائد بعز القسطالي واهل الغرب مع القائد الهاشم، ونزع لهم الخيل والعدة والبغال وكان الجميع يباع ويعمرون الاسواق عليهم بدار عربي من أهل الغرب وبني حسن وهم يشترون الخيل والعدة والسلاح والبغال والمال ويجمعونه للسلطان وبعد هذا حبس عليهم الراتب وامر أيضا اهل الغرب أن يشتروا منهم ثيابهم وينفقون من أثمانها ...

وبعد هذا امر السلطان بتفريقهم فانقسموا على فرقتين فرقة منهم تفرقت بدار عربي عند أهل الغرب وفرقة بالفندق عند بني حسن وفرقة عند الخلط واطليق بعد أن أكلوا ثيابهم ...وبقوا حفاة عراة ... ثم كتب السلطان لبني حسن وأهل الغرب أنه اهاب عليهم العبيد فالرجال يحطبون لهم الحطب والنساء يسقون لهم وأولادهم يسرحون لهم المال، فكان العبد يذهب لناحية وزوجته تذهب لناحية وولده كذلك وهم يتعانقون مع بعضهم بعضا ويبكون ...

محمد الرباطي، **تاريخ الضعيف الرباطي**،
الجزء I دراسة وتحقيق الاستاذ محمد البوزيدي الشيخي،
دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء 1988، ص
ص 333ـ 336.

نصّ عدد 38 :

بياليك الجزائر ومحالها

كان للاتراك بارض الجزائر ثلاث بايات : باي وهران وباي قسنطينة، وباي المدية وهم مرتبون على حسب فتوحات الاتراك الأوائل. فأول فتوحهم كان ناحية تيطرى، فأولوا هنالك بايا وسموه باي البايات واسكنوه المدية، وجعلوا له خليفة وأعوانا واغوات، آغا الدوائر، وهم من الأعراب، وآغا الصبايحية وهم من الأتراك.

ثم لما فتحوا ناحية الغرب، تلمسان واحوازها، ومعسكر ونواحيها، والقلعة ومستغانم وما جاورها، جعلوا في معسكر بايا يسمونه باي الغرب.

وأخيرا فتحوا الناحية الشرقية، ونصبوا فيها بايا وسموه باي الشرق، وكان قسنطينة بيد ملوك تونس فلما رجعت لحكم الجزائر سكن باي الشرق بها، فكان هذا الباي هو أصغر البايات في التقديم، واما من حيث القوة ووفرة الرعية فلا يضاهيه باي تيطري وباي الغرب، ولزمته لا تعادلها لزمتهما.

ثم بنى الاتراك برجا في سباو، قرب زواويت، وجعلوا فيه قائدا، ولم يسموه بايا، وكان هؤلاء البايات كل ثلاث سنوات، وخلفاؤهم يدنّشون مرتين كل سنة وعندما يدنّش البايات، لا يدنّش خلفاؤهم.

فكان قدوم باي تيطري وباي الشرق وقائد سباو، يقع في الربيع كل ثلاث سنوات وقدوم باي الغرب يقع كذلك في الخريف، ولم يكن لقائد سباو خليفة مثل البايات.

الخلفاء يأتون في آخر الربيع، فيخرجون معهم الأمحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار، وهكذا وضع الاوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب اموال المسلمين، وما وقع هذا، حتى صار الناس فجارا والامراء ظالمين.

فأما محلة الغرب فتخرج في ابريل وتقيم اربعة شهور، ومحلة تيطري تخرج في الصيف وتتم ثلاثة شهور، ومحلة الشرق تخرج في اليوم الأول من الصيف وتقيم ستة شهور، واما قايد سباو فلا محلة له وان وقع عصيان في رعيته تاتيه محلة مخصوصة يقضي بها مآربه مع الباغي وترجع، وليس ذلك كل سنة.

وكل باي من البايات له في مدينة الجزائر وكيل كاتب وله دكان قرب دار الملك يقيمون فيه.

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار
نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني
الجزائر 1980، ص ص 35. 36.

نصّ عدد 39 :

محلّة تيطري

تتكون محلة طيطري على النحو التالي :

- شاوش دار الباشا وهو بمثابة ضابط الحكومة
- الآغا وهو القائد العام
- الكاهية وهو نائب الآغا
- بولكباشي، أوده باشي ووكيل الحرج على رأس كل خيمة
- خمسة عشر خيمة تعدّ كل واحدة أربعة عشر جندي
- عزريان، طباخا وتشراك مكلف بالخدمات داخل الخيمة التي يرجع اليها.

الطريق الذي تسلكه محلّة طيرطري يتمثل في :

- المرحلة الاولى فندق الحمير
- المرحلة الثانية قنطرة بن هاني
- المرحلة الثالثة ذراع البغال
- المرحلة الرابعة كرمة الحايط
- المرحلة الخامسة سور الغزلان

إذ ما توقف الباي للاستراحة أياما مع محلّته، يستقبل وفود قبائل الديرة والقبائل الجنوبية لدفع الضرائب.

وابتداء من سور الغزلان تجمع المحلة الضيفة والعلفة من قبائل طيطري التي لم تكن مطالبة بدفع ضريبة المونة لمخازن دار المونة بمدية.

ومن سور الغزلان تنطلق المحلة لتعسكر في اليوم الأول بوادي أولاد فرحة، أما في اليوم الثاني فتحلّ برجة أولاد نابي بين الأداورة وأولاد مريم، وفي اليوم الثالث بشلالة عند الأداورة وفي اليوم الرابع بعين المشرف عند أولاد علام وفي اليوم الخاس بالفراش عند الرياعة وفي اليوم السّادس تحلّ برجة أولاد دايد، وبعد جمع الضيفة وفي نفس اليوم ترحل المحلة الى بالروايغية.

بعد هذه الجولة الطويلة يرجع الباي الى جنانه بمدية، ويرجع الآغا بجيشه الى الجزائر عابرا مناطق حسن بن علي، بني بو يعقوب، وادي العكارة وحوش ميموش.

عن هـ. فدرمان وهـ. أوكبتن

(ترجمة المولفين)

Mahfoud Kaddache. *l'Algérie, durant la période Ottomane* Office des Publications Universitaires, Alger 1992, p 135.

نصّ عدد 40 :

خروج المحلة في عهد حسين بن علي

ومن عادة عمالة تونس ورعاياها سهلها وجبالها نخلها وزرعها من قديم الزمان قبل فتح تونس الترك هذه عادتها لا بدّ ان تخرج في العام محلتين صيفا ومحلة شتاء.

فمحلة الصيف لها محلتين : واحدة التي فيها عسكر الترك يسفر بها خليفة الأمير ... وواحدة يسفر بها الأمير بنفسه ... يقال لها محلة الريح لانها كلها خيل.

فاذا جاء وقت خلاص المال والعوايد والحبوب سواء كان صيفا او شتاء فيأمر الأمير برمي الاخبئة في الحريرية ويعمّرها المسافرون الى ان يرحلوا. فاقتفى الامير حسين رحمه الله اثر القوم السابقين في صنيعتهم فاذا جاء وقت الصيف ووصل الى دراس النعمة امر الأمير برمي الكتان في الحريرية محلة عسكر الترك يعطي للعسكر رواتبهم فيجهزوا أرواحهم ويأخذوا مونتهم ويقضوا حوائجهم فاذا تمّ أمرهم رفعوا متاعهم واثقالهم الى الأخبئة وبكل خباء اوضا باشي وطايفة من العسكر معه فيدخلون المحلة شيئا فشيئا حتى يتمّ عدد المسافرين بزمن العسكر من تلك المحلة. ولا يقدر عسكري ان يتخلف عن السفر الا لعذر لأن لهم خوجات ضابطين امرهم ثم يأتي خليفة الأمير حسين سامحه الله فيدخل ومعه اصحابه وخدامه فكان قبل بلوغ الباشا علي يخرج بتلك المحلة أحد أكابر مماليكه مثل مصطفى وزّه وغيره ولما شبّ ابن اخي حسين علي باشا بن محمد باي وكبر قدومه وجعله خليفته في هذين المحلتين محلة الصيف ومحلة الشتاء، فاذا كمل أمر محلة الصيف طلع بها المرحوم بيرم يخرج الصفّ من مدينة تونس ويلبس الدولاتلي عدّته ويقفل على رجله سباطه وكذلك يفعلون اختياراته فيتقلّدون العدد المحلّية بالذهب والفضة الغالية الثمن وكذلك أولاد الدولاتلية لهم عدد علية يصنعن لهذا اليوم ويلبسون اللباس الرفيع ويجتمعون عند دار الدولاتلي ويتحزّمون

الكثير من عسكر تونس وتأتي الى ناحية القصبة واقفون ينتظرون مجيء الدولاتلي ومن معه، فاذا قدم اليهم مدوا صفين يمينا وشمالا عليهم سرّ عظيم وناموس جسيم ومن القصبة يقفون واحد الى جانب واحد الى ان ينتهي الى آخرهم ثم يمشي الدولاتلي على أقدامه وكلهم كذلك الى ان يخرجون من بابا تونس ويمشون الى ان يصلوا الى سيدي عبد الله الشريف ثم يمشون على الحدرة تحت سيدي عبد الله الشريف وأما الصفان مسافر وغير مسافر فيمشون الى ان يصلوا الى المحلة فعندما تتكلم المدافع من القصبة ثم من الابراج ثم من باردو الى ان يصير النهار ليلا ثم ذلك الصفان يعمرون مكاحلهم بالبارود ويطلقونها ثلاث مرات وتسرع أهل تونس وغيرهم للفرجة في هذا المجمع العظيم فاذا وصل العسكر المسافر ودخلوا خيمتهم رجع الباقون على عقبهم ويرجع ويأخذ الدولاتلي ومن معه بذلك الصفين فاذا وصلوا القصبة تفرقوا ويقصد كل واحد مكانه وكذلك يفعلون هذا الفعل عند قدوم محلة العسكر من السفر ويدخلون مدينة تونس كعادتهم ويأخذ الدولاتلي على خروجه في هذا اليوم مال معلوم يأخذه من الأمير عادة عائدة الى ان تغلب الأمير على باشا سامحه الله وملك وجق تونس بطل هذا الصف وهذا المجمع وصارت محلة الترك تخرج فرادى كوجق الجزائر ونقص فعل ما كان قبله فالله يرحمه.

محمد الصغير بن يوسف، **تاريخ المشرع الملكي في سلطنة اولاد علي تركي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 3536 ورقات عدد 21 ـ 23.

نصّ عدد 41 :

عوايد خروج الصفّ
عن محلة الشتاء سنة 1130 هـ / 1718م

ريـــالات :

123	كاهية الباشا
61	الترجمان
17	السلاق
6	آغوات الباشا
6	خزندار باشا
3	شطار الباشا
1.5	آلاي شاوش الباشا
1.5	كاهية شاوش الباشا
3	التفيكجي والمطرجي
1	علامة الباشا
4	شواش الباشا
3	قبجية الباشا
1.5	شنشرية الباشا
1	الفراش والقهواجي والصبيان
18	شواش العسكر
6	علامة العسكر
6	طبالة الديوان
1.5	قبجية الديوان
1	بواب الديوان
1	الذي يرفع زمام الخوجات
6	علامة سيدنا
6	شطار سيدنا

علي الشريف العلام	1
طبالة سيدنا	6
شواش صبايحية الترك	6
شواش صبايحية أولاد عرب	6
شواش زواوة وباشوضاتهم وعلامتهم	4
شواش الخيل والمحركين	3
شواش المدافعية وباشوضاتهم وعلامتهم	4
مهاتريت الخيام	3
قرات الخبا	4
مؤذنين جامع الزيتونة	2
العزاوي	2
نقيب الجبل	1
نقيب الحلفاوي	1
طبالة القصبة	1
قبجية القصبة	1.5
المسمعين	3
البخار والبراح	1
بواب دار سيدنا والذي يرفع الركوب	1
بواب المدينة	1
بواب ديوان زواوة	0.5
مقدم عزارت الترك	1
مقدم عزارت أولاد عرب	1
عادة الذمي خياط الأخبية بمحلة سيدنا علي باي	3

الأرشيف الوطني التونسي،

السلسلة التاريخية،

دفتر رقم 5

نصّ عدد 42

وصف محلة تونس سنة 1830

ومن حسن طالعنا أن صادف دخولنا الى تونس خروج ما يعرف بالمحلة منها للمرة الأولى بقيادة ولي العهد الجديد «سيدي حمدة باي»، فكان لي أن التقيت بها، ومن البعد أبصرنا السهل بجوار قصر «المرناقية» للنزهة مغطّى بخيام المحلة التي لم تقطع في يومها الأول هذا سوى مسافة قصيرة، وكانت طوابير مختلفة تعدّ ما بين سبعمائة وثمانمائة من الجمال موزعة على الروابي المحيطة بالمكان فزادت في طرافة المنظر.

وتكفّلت الجمال بنقل جميع الامتعة لأن الجيش لم يكن يجرّ معه سوى أربع عربات من عربات الخيول، كلها على ذمة القائد فقط، وفي الحين أوفدت مملوكي لاعلام الأمير بزيارتي وإثر ذلك قدّمت اليه من قبل «صاحب الطابع» ... وتلبية لطلبي كلّف أحد رجاله ليطوف بي بعد المقابلة عبر المعسكر ...

لقد ضرب المعسكر دون اتخاذ أي تدابير دفاعية. ولا داعي الى ذلك فعلا في هذه البقاع، أمّا عندنا فلا شكّ أن الجنود ما كانت تعفى من هذه المشقة العديمة الجدوى عقب سير مرهق تحت حمل ثقيل، وكانت دائرة الخيام الخارجية تعدّ ما يناهز السبعين خيمة نصبت بعيدة عن بعضها البعض، وخيّم في كلّ واحدة منها نحو الأربعين من رجال المشاة غير النظاميين وهو ما يشكّل، إن صحّ القول سرية يقودها اثنان من الشواش. وأقيم بين كلّ خيمتين قربة ماء ضخمة. وجمعت الدائرة الثانية الخيّالة بأحصنتها المربوطة على طول الخيام بحبال طويلة، أمّا الدّائرة الثالثة فضمّت أماكن للطبخ والحدادة وما يشبه ذلك، ثم جاء بعد ذلك دور حلقة خيام المماليك بجيادهم وأتباعهم، وفي قلب المعسكر برزت خيمة الباي الشاب، المتوجة بكرتين مذهّبتين، والمؤثثة في عدّة أقسام تأثيثا وثيرا الى أقصى حدّ وعلى غاية من الاناقة، وكان عدد الخدم ـ لا خدم الباي والمماليك فحسب، بل كذلك خدم جميع الجنود ـ يساوي

تقريبا عدد جنود المعسكر وباستثناء بعض الأمات الزنجيات فانه لم يكن هنالك الا القليل من النساء، وبدأ وكأنّه بوسع كل فرد أن يجول خلال النهار بكامل الحرية عبر سائر ارجاء المعسكر...

... لكن بعد غروب الشمس لا يسمح بالدّخول والخروج الأ من نقطة واحدة ركّز فيها مدفعان من عيار اثني عشر رطلا مطليا بالأحمر والأصفر والأخضر واثنان آخران في نفس التلوين من عيار ستة أرطال، ويقام هنا ليلا ما يشبه المخفر المركزي، تفتح عليه خيمة قائد المحلة، ويفسح ممرّ عريض بين الخيمة ومركز الحراسة حتى يتيسّر لصاحب القيادة مراقبة ما يدور هناك، والجدير بالذكر أن السكون والهدوء كانا يخيمان على ذلك المعسكر من الجيش البدائي وأنّ النظام كان سائدا في كل مكان منه.

بوكليو موسكاو، **سميلاسو في افريقيا**،

نقله الى العربيّة منير الفندري والصحبي الثابتي،

بيت الحكمة - قرطاج 1989، ص ص 409-410.

نصّ عدد 43 :

مزارقية المحلة

الحمـد لله بيـان عـدد خـيل وتريس العـروش المزملين على ا
المنصورة في 8 جمادى الأولى سنة 1279 هـ / 1862م.

العدد	خيل	تريس	العروش
01410 "	0000"	000"	نجع دريد
00734 "	229"	505"	عروش ماجر ودوفان والخما
02230 "	080"	150"	عروش ورتتان
00515 "	288"	227"	عرش جندوبة
00306 "	071"	235"	عرش أولاد بوسالم
03195 "	668"	1117"	
00250 "	250"	0000"	عروش الطرابلسيّة
0041 "	031"	0010"	عرش التوابع
00133 "	057"	0076"	عرش أولاد يعقوب
00215 "	000"	0000"	عرش ورغة
00163 "	107"	0056"	عرش أولاد الأندلس
03997 "	1113"	1259"	
00097 "	0000"	0000"	عرش الكعوب والقوازين
00206 "	0000"	0000"	عرش أولاد يدر
00163 "	0088"	0075"	عرش العوامر من شارن
00145 "	0084"	0061"	عرش أولاد وارث
04608 "	1285"	1395"	
00348 "	0050"	0334"	عرش عمدون

عرش الشيحية	0174"	0022"	00196 "
عرش أولاد عون	0000"	0000"	00244"
عرش غزوان	0000"	0000"	00213"
عرش حكيم	0000"	0000"	00104"
عـرش أولاد ناجي وأولاد عـلي لم			
يقـدم منهم سـوى قـوادهم ومـا رسم	0027"	0023"	00050"
يمناه وأم قـايد أولاد وازن لم يقـدم	1930"	1380"	0579"
الى الآن هو ولا عـرشـه أعلمناكم			
بذلك والسلام			

الأرشيف الوطني التونسي،

صندوق عدد 180، ملف عدد 929، وثيقة عدد 117.

نصٌ عدد 44

محلة الرقبة

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم.

جناب مولانا الصدر الهمام أمير الامراء سيدي مصطفى الوزير الأكبر أدام الله حفظه واجزل من السعادة حظّه اما بعد تقبيل الأيدي الكرام واداء ما يجب من الاجلال والاعظام فان المرجع كتابكم المؤرخ في 7 شهر التاريخ بلغنا وما تضمنه علمناه على التفصيل ويكون العمل في شأن احوال الخلاص وتنبيه العمال لما اشار به جنابكم على نحو ما ذكره وكذا خطاب جبالية باجة والنيشان الذي لبسه مولانا ايده الله والذي ورد معه لذلك الجناب الرفيع جعلهما الله مباركين سعيدين مصحوبين بمزيد الاجلال والاعضام وما امرتموني به من الرحلة بالمحلة الى عمل جندوبة لملاقات محلة الرقبة فلا يخفى جناب سيدي اني ممن يتشرف بمزيد الخدمة لجناب الدولة العلية ويسرّني ذلك للغاية الا اذا كنت اشرت لجنابكم بما عليه حال المحلة من نهاية الكلل والان ينبغي ان نشرح له الحال وهو ان عسكر زواوة لم يبق منهم بالمحلة الا نحو المائتين فاكثر بشيء يسير لانهم لازالوا يشتكون طوال السفر ويعتذرون باعذار مقبولة وغير مقبولة وأنا ألانفهم وأمنيهم وهم في اثناء ذلك يتسللون ليلا ونهارا إلى أن بقي هذا المقدار ولازال النقص فيهم كل يوم وطالما عينت لجلبهم والبحث عنهم بالحاضرة وبغيرها وفي زعمهم أن الذي يجدونه يوجهوه ولم يقدم أحد وكذلك المخازنية حوانب وصبايحية توانسة وباجية بقي منهم بالمحلة نحو المائة وخمسين وطالما عينت لهم وجلبتهم ثمّ يهربوا بحيث أنّه لم يوجد بالمحلّة سوى ما ذكر وقد عينت لهم هاته المدة القريبة ولا زال المتعينون لم يقدموا ولا قدم أحد من المتخلفين بحيث ان المحلة الآن عمارتها العسكر النظامي على ما هو عليه من التصريح بالكلل وقد تخلف منهم جانب عيّنا في طلبهم منذ ايام ثم ان العسكر المذكور قد كان طلب الكسوة لسترة نفسه منذ مدّة لان كساويهم بليت وتخرقت ولم يبق فيها وجه للاصلاح حتى أن بعضهم بادي محل التستر وانا اماطلهم في ذلك حيث كان الظن ورود الاذن

بالقدوم بالمحلة للجناب الرفيع وكذلك ساير رحلة المحلة من جليل وحقير ما عدا الظهر من اخبية ووصف وحصر وامشاد وبرادع وغير ذلك مما يتعلق بالرحلة لم يبق فيه مطمع شيء منذ زمان ولما كان الامل متعلقا بقرب الرجوع رأيت تلفيق الاحوال بما امكن حيث كان الوقت حرا الى ورود الاذن بذلك مراعاة للرفق بجانب الدولة ولما امرتموني بالرحلة حيث أرى ان القصد به ارهاب الجبالية لتقسيم احوالهم مع المحلة القادمة اليهم وارى ان هذا يحصل مع بقاء المحلة هنا حيث كانت قوة المحلة الماضية معلومة عند ساير الجهات فيرونها باقية على حالها وبذلك يحصل الغرض من الارهاب والمحلة تبقى بصرامتها لا يطلع على نقصانها احد الى أن تصلهم المحلة ويتبين حالهم فان لزمت الرحلة لاعانتها يكون التوجه بالحالة الموجودة ضرورة وان ظهر لسيدي التوجه لتلك الناحية بالحالة الموجودة من الان فحسبي العمل بما يقضيه النظر السديد الا انه يتأكد توجيه ما يلزم لتجديد الرحلة باجمعها على نحو ما ذكر على كل حال حيث لزم بقاء المحلة في السفر وبدون ذلك يعسر الامر لا سيما من جهة الامشاد حيث انها ضرورية والوقت حر وبرادع الخيل والأخبية والحصر ولما يصلنا ذلك نتوجهوا بحول الله وان رءا سيدي قبول معذرة هؤلاء الناس فهو محل الرافة والحلم وإن رأى التوجه الحالة الموجودة كيفما كانت من الآن فما لنا الا الامتثال ودمتم لمزيد الرفعة والاجلال والسلام من الفقير الى ربه تعالى أمير الامراء رستم وفقه الله بمنه آمين في 15 المحرم سنة 1282.

الارشيف الوطني التونسي،

السلسلة التاريخية، صندوق عدد 180،

ملف عدد 991، وثيقة عدد 180.

نصّ عدد 45

مدافع الشيشخان

الحمد لله وحده

اعلام بكيفية المدافع التي تعمر من آخرها مسمات بمدافع الشيشخان.

اعلم ان هذه المدافع المذكورة تصلح برا وبحرا اما كيفيتها برا فانها تعمر بقطع الحديد وأما بحرا فتعمر بالذكير وانها في البر يستعمل بها مثل البرج عند تكاثر العدد من كل ناحية فتنصب على الأربع جهات ومهمى أتى أحد من أيّ الجهات الا واطلقوا عليه أو تطلق من الجهات الاربع عند تكاثر الخاطر من الجهات المذكورة وانها تذهب النار عند اطلاقها خمسة آلاف ميترو والذي هم سبعة آلاف وخمسمائة ذراع هذا برا واما بحرا فان هذه المدافع تحمل برندالة مثل السفينة الصغيرة من حديد واسعة تباع مع المدافع قدر ما يحمل فيها من عشرة الى عشرين مدفعا هو وما يشتهي الانسان من الحمل ينبه على هذه السفينة بقدر ما يشتهي وتاتيه بالقدر الذي يشتهيه من الحمل وان هذه السفينة التي يحمل فيها عشرين مدفعا في البحر فانها تؤثر اكثر من اربعة واربعين مدفعا فرانصيص من الكبار وان في الخفة وفي كل شيء توثر احسن مما ذكر وهذه السفاين التي تحمل هذه المدافع لا يوثر فيها مدفع العدو شيء اصلا لانها من الحديد وان مثل هذه لا يضر ثمنها ولا يضر المصروف الذي على الرجال الذين بوسطها لانها مليحة في ثمنها ومليحة في مصروفها وان عمالتنا هذه اذا كانت عندها من هذه المدافع والسفن مقدار أربعة أو خمسة او ستة مثلا تسير على الشطوط التي لعمالة تونس باسرها فانها تامن من سفن العدو ولو تكاثر عددها من كل ناحية ومن كل جنس وهذه السفن اذا كانت واحدة تحمل عشرة مدافع ودخلت لمرسى من المراسي مملوؤة سفن فانها تمتدّ جميع السفن باسرها وان كورة هذه المدافع تبرز من فمها وتذهب على وجه الماء حتى اذا صادفت سفينة او جفن فإنها تثقبه

وتخرقه وان هذه السفن دون المدفع لها مصمار خارج من جهة البروة شديد الغلظ قاطع للضرب حتى اذا لم يعمل المدفع في واحدة من السفن يلتصقون بالسفينة ويضربونها بتلك العمود الحديد فيثقبونها وان اهل هذه السفينة لا يخافون لانها من الحديد وان هذه السفينة تذهب في البحر بالنار مثل البابور.

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية،
صندوق عدد 187، ملف عدد 1080
وثيقة عدد 29.

الباب الثالث

المجتمع المغاربي

الفصل الأول

التشكيلة القبلية

تكمن أهمية دراسة المجتمع القبلي في بلدان المغرب في الفترة الحديثة، في أن التنظيم القبلي مثّل الشكل الأساسي للتنظيم الإجتماعي في الأرياف الى حدود نهاية القرن التاسع عشر، ولم يشهد هذا التنظيم تسارعا في نسق تفككه وضعفه الا مع تحوّلات المجتمعات المغاربية وإعادة هيكلتها نتيجة الغزو الاستعماري الفرنسي، وبالرغم من ذلك فإننا مازلنا نلمس بقايا هذا التنظيم بأشكال متفاوتة في جلّ الأرياف المغاربية.

والتنظيم القبلي في مجتمعاتنا كان محور اهتمام عديد الدّارسين من آفاق معرفية وعلمية متعدّدة لذلك لم يعد من الممكن اليوم بناء مقاربة تاريخية للأرياف المغاربية دون أن نأخذ بعين الاعتبار ما توصّلت اليه المدارس السوسيولوجية والانتروبولوجية المعاصرة من استنتاجات وما وفّرته من رصيد معرفي وفضاء منهجي جديدين.

وبالرّغم من الحدود المنهجية التي قد تفصل ميدان علم التاريخ عن الأنتروبولوجيا، حتى وان حاولت أن تكون تاريخية، فان التاريخ الاجتماعي يدرس اكثر فأكثر الفئات الاجتماعية والانسانيّة.

والقبيلة يمكن تعريفها بالجماعة البشرية التي تربط بين أفرادها مجموعة من الصّلات تكوّن وحدة عضوية تتشابك فيها عناصر القرابة الدّموية والاشكال الجماعية للعمل وتوزيع الانتاج، ونمط العيش وأسلوب صياغة القرار وتنفيذه، وتصوّر مشترك للأصول والقيم ومعايير السلوك.

غير ان هذا التعريف المجرّد مهما كانت مرونته الاجرائية فإنّه لا يعكس لنا من الناحية التاريخية سوى تصوّر جزئيّ للواقع الذي يبدو أكثر تنوعا وتعقيدا.

فالقبيلة يمكن ان تضم بعض المئات من الأفراد أو عشرات الآلاف، ويمكن ان تكون ملتصقة برقعة جغرافية محدّدة وثابتة او موزّعة ومشتّتة عبر الفضاء دون ان تضعف او تختل تضامناتها الداخلية، ويمكن ان تقوم كوحدة سياسية متماسكة ومستقلة في تنظيم حياتها وتعاملاتها وتحالفاتها كما يمكن ان تكون منخرطة ومندمجة ضمن مجموعة سياسية أوسع إمّا في شكل

صفوف قبلية او ولاءات سياسية مخزنية. وهذه الوضعيات المتباينة حدّدتها عوامل تاريخية وبيئية وثقافية . دينية متنوعة أثرت على أشكال التنظيم والتوزيع الفضائي وانماط العيش والسلوك لكل مجموعة.

لذلك فان كل محاولة لدراسة تأليفية او تركيبية للظاهرة القبلية في المغرب العربي لا يمكن ان تحقق أهدافها المنهجية والمعرفية إلاّ إذا وفّقت في ابراز مظاهر التحوّل والتنوع للمجتمع القبلي المغربي دون طمس الثوابت المشتركة والعامة التي تسمح ببناء مقاربات تحليلية شاملة للبنية القبلية أو نفيها.

وقد سيطرت مجموعة من الأسئلة حول فهم وتفسير جوانب أساسية من التشكيلة الاجتماعية المغربية تتجاوز حدود الظاهرة القبلية نفسها، مثل الظاهرة الولائية وآليات التحول وأسباب الركود، ونوعية العلاقة بين المدينة والريف، وأشكال التضامنات الحرفية والعائلية داخل المجتمع الحضري وغيرها من الأسئلة.

ونظرا لكون هذه الاسئلة تتصل في أغلبها بكافة العلوم الانسانية والاجتماعية فقد أصبح اليوم من الصعب، بعد تراكم وتعدّد المقاربات والاستنتاجات وضع حدود وفواصل أكاديمية تبدو أكثر فأكثر مصطنعة أو البحث عن ميادين مستقلّة لكلّ حقل معرفي على حدة.

ولعل الوعي بالتفاعل الايجابي لمختلف المقاربات بدأ يفرض نفسه بأكثر عمق ونجاعة بعد ان تميزت المراحل الأولى للنقاشات بتناقض وصل حدّ الرفض الشامل بين الأطروحات المختلفة والتي مثل فيها نقد الأطروحة الانقسامية مركز اهتمام المدرسة التاريخية المغربية.

وإذا كان من الصعب اختزال النقاشات والاستنتاجات التي دارت وصيغت على مرّ العقود الثلاثة الأخيرة، فاننا سنكتفي بالتعرّض الى أبرزها من خلال هذا التقديم الذي يضع الخطوط العامة لتطور الظاهرة القبلية وتوزيعها في المغرب العربي.

I ـ القبيلة : نمط تنظيم يتحدّى التاريخ ؟

إنّ مقاييس التعريف الثابتة للتنظيم القبلي، والتي تجعل من القبيلة حقيقة بنيوية تتجاوز الظرف ونمطا يصمد أمام الزمن، هي النّسب الذي يسمح بتصنيف المجموعات القبلية حسب تسلسلها العرقي، حتى وان كان ذلك النسب مزعوما، والتضامنات المؤسسة للعصبية التي تربط بين الأفراد المنحدرين من أصل واحد.

إنطلاقا من هذه المقاييس الثابتة والتي يكتسي فيها التصور القبلي بعدا قيميا، تشكلت النظريات الانتروبولوجية الحديثة كالانقسامية، كما تأسست النظريات القديمة كنظرية ابن خلدون.

إن استمرارية هذا النمط الأصلي منذ العهود السابقة للاسلام، مرورا بالمراحل الاسلامية المختلفة، وحتى بداية العهد الاستعماري، تطرح مسألة قدرة النمط على التكيّف مع ظرفيات مختلفة، والقدرة على التكيف تعني استمرارية النمط في التصور والسلوك مع تغيره في الواقع وفقا للشروط الجديدة.

والبحث في أشكال ومضامين التغيير والتكيف هو ميدان عمل المؤرخ قبل غيره، كأن ندرس مثلا تطوّر علاقة المخزن بقبائل منطقة محدّدة في الفترة الحديثة او انتقال مجموعة من القبائل من الحياة الرعوية الى الحياة الزراعية على إثر التحولات الاستعمارية.

أمّا البحث في العناصر الثابتة والتي تحدّد التضامنات الداخلية والصراعات والتصورات الجماعية المشتركة، فقد مثل المجال المفضّل لعلماء الاجتماع والانتروبولوجيا لأنه مجال البناء النظري المرتكز على البنية الاجتماعية في استقلالها الكامل او النسبي عن الظرف والمتغيرات.

إنّ قدم الظاهرة القبلية ورسوخها في شمال افريقيا أمران لا نقاش فيهما، وعندما نتحدّث مثلا عن البربر ومقاومتهم سواء للدولة الرومانية الزاحفة أو فيما بعد للتوسع الاسلامي، فان ذلك يعني مقاومة المجموعات

المحلية المنتظمة في شكل قبلي سبق مجيئ الرومان وعاصره كما سبق مجيئ الاسلام وتكيف معه.

وحتى انتشار الاسلام في دواخل المغرب فقد تمّ بشكل تدريجي ولكن جماعي، اي من خلال القبائل نفسها، التي اندمجت في الاسلام وعبّرت من خلاله عن تذمّراتها واحتجاجاتها بنفس الحماس الذي قاومته به من قبل.

والظاهرة التي وصفها لنا ابن خلدون في القرن الرابع عشر، هي تلك البنية القبلية التي لعبت دورا محوريا في جدلية البناء والهدم وإعادة بناء مؤسّسة الدولة في المغرب الاسلامي في العصر الوسيط.

وبالرغم من ان النمط الخلدوني، لتكرّر قيام الدول وسقوطها على قاعدة العصبية القبلية لم يعد نافذا في المغرب بعد الاستقرار العثماني في كل من الجزائر وتونس وقيام الدولة السعدية على قاعدة الشرف في المغرب الأقصى، فإن الظاهرة القبلية كنمط اجتماعي وسلوكي بقيت فاعلة.

واستمرت هذه الظاهرة تغذي العديد من الدراسات والنظريات التي ركّزت في معظمها على واقع الانقسام والصراع سواء بين القبائل والسلط المركزية في المدن او داخل المجتمع القبلي ذاته، حيث تتكون التحالفات والتضامنات على أساس الصفوف الداخلية بين العشائر والعروش او الصفوف القبلية عندما يتعلق الأمر بمواجهة خصم «خارجي» مثلما حدث زمن الحرب الأهلية في تونس في النصف الاول من القرن الثامن عشر حيث انقسمت القبائل التونسية بين أنصار حسين بن علي (حسينية) وانصار علي باشا (باشية).

وفي مجال البناء النظري التحليلي، كانت المدرسة الأنجلو - سكسونية سباقة الى سحب التحليل الانقسامي على مجتمعات المغرب.

ويعود هذا السبق الى التراكمات والاتجاهات الجديدة التي عرفتها الانتروبولوجيا الاجتماعية الأنجلو - سكسونية المعاصرة، وما ترتب عن ذلك

من إعادة توجيه الدراسات النظرية في اتجاه التحليل البنيوي والتخلي أكثر فأكثر عن مقولات المدرسة الوظيفية التي اسسها مالينوفسكي.

ومثلت القارة السوداء الفضاء الخصب الذي طورت فيه البنيوية دراساتها للظواهر الاجتماعية.

فنشأت نظرية «الفضاء الاجتماعي الواحد»(espace social unique) التي ترتكز على مفهوم الصراع الاجتماعي (م. قلوكمان ـ 1949) في ضوء مقاربات جديدة للمجتمعات الافريقية.

وأولى الدراسات التي ركزت على مفهوم الانقسام او الصراع داخل المجتمعات القبلية الافريقية هي الدراسة التي وضعها ايفانس بريتشارد حول مجموعات النوير بالسودان (بريتشارد 1940).

ومن خلا هذه الدراسة نلمس استعمالا منهجيا لمفهومي الالتحام (fusion) والانقسام (fission) في إطار صراع ووحدة التقسيمات داخل البنية الاجتماعية، وأطلق بريتشارد على ذلك الواقع صفة «الفوضى المنظمة» مفسرًا توازن ووحدة ذلك المجتمع بانقساميته.

وفي دراسته اللاحقة حول الحركة السنوسية في ليبيا (1949) توصّل بريتشارد الى استنتاجات مماثلة في مستوى التنظيم الانقسامي.

ومن أبرز الخصائص التي ركّز عليها استنتاجه :

ـ وحدة المجال القبلي الذي يتشكل حول الأراضي والمراعي الجماعية.

ـ الانتساب الى جدّ واحد يعطي اسم المجموعة، وتجسيد ذلك الانتساب المشترك بأضرحة الجدّ المؤسس وأبنائه.

ـ انقسام القبيلة الى فروع وسلالات متوازية.

على أساس تلك الاستنتاجات الميدانية، قام ارنست ڤلنر بإعادة قراءة الواقع القبليّ في شمال افريقيا وفقا للنظرية الانقسامية.

واستند في دراسته وتحليله الى رصيد الابحاث التي قام بها روبير مونتان ودراسات هانوطو ولوتورنو، فاقتبس منها مفهوم «الديمقراطية القبلية» وطبقه على قبائل الأطلس الكبير (قلنر 1969).

وكانت مقاربته تنطلق من ثنائية البنية والموقع.

فالخاصية البنيوية هي الانقسامية والخاصية المتصلة بالموقع هي الهامشية.

فالانقسامية تعني هنا سيطرة النسب الأبوي وانعكاس علاقات القرابة الدموية على مستوى المجال والتّضامنات الداخلية التي تخضع لمبدأ الانصهار والانشطار.

فالقبيلة تتألف من فروع تسمّى العروش، وتتفرع العروش بدورها الى بطون تنقسم بدورها الى سلالات او عائلات واسعة تضم الأفراد المنحدرين من نفس الأب والمكونين لعائلات «نووية».

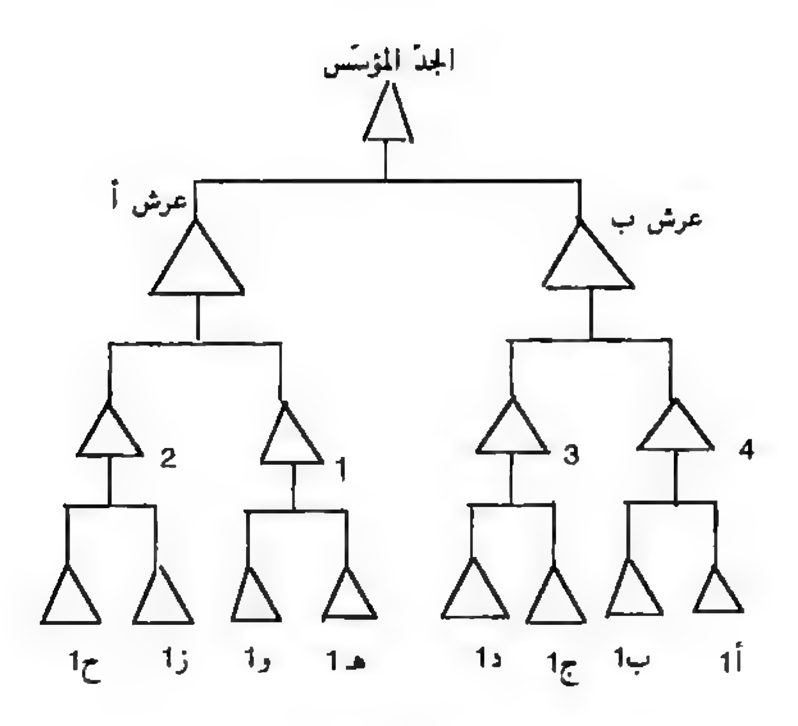
وتكون هذه التقسيمات متساوية ومتوازية رغم تفاوت احجامها.

وتتحدّد العلاقات بين مختلف التقسيمات المتوازية وفق قانون الصراع والتضامن. فالصّراع هو حالة طبيعية تنشأ بين أطراف موازية ضمن السلالة او العرش، ويقوم الصّراع حول خلافات او نزاعات داخلية، عادة ما يقع فضّها داخل الوحدة نفسها.

غير أنّ حالة الصراع والتضادّ داخل سلالة او قسيمة سرعان ما تنتفي وتتحول الى تضامن آلي عندما يظهر خطر خارجي إمّا من فرع مواز أو من قبيلة اخرى

وفي مستوى أعلى تتّحد كل فروع القبيلة وتتجاوز صراعاتها الداخلية أو عبر ـ القبليّة لتواجه خطر قبيلة أخرى تنازعها الأرض او النفوذ أو خطر السلطة المركزية نفسها.

وعادة ما يلجأ علماء الانتروبولوجيا في تفسيرهم لهذه العلاقات الهيكلية الى وضع الرسم التالي :



فالخلاف الذي ينشب بين أ1 وب1 داخل عرش ب، يتمّ فضّه داخل هذا المستوى ولا يتعدّاه. أمّا إذا نشب خلاف بين أ1 وج1 فان الخلاف يشمل كل عناصر الفرعين 3 و 4 وإذا كان الخلاف بين أ1 وهـ1 فان العرش ب بكافّة وحداته يدخل في خلاف مع كافة وحدات العرش أ.

ولا يعني قيام خلاف ما بين وحدة وأخرى النزوع دوما الى العنف وانما تحلّ الخلافات والنزاعات عادة على قاعدة الأعراف المتبعة او بالالتجاء الى سلطة الولي او الى مجلس القبيلة المعروف بالميعاد.

وهنا تبرز أهمية القوانين العرفية، والتي كثيرا ما دوّنت خاصة في المغرب الأوسط والأقصى.

ويتمثل دور المؤسسات القبلية مثل الميعاد في حرصها الدائم على احترام تلك الأعراف وتطبيقها حتى تتم المحافظة على التوازن في العلاقات بين الأفراد والمجموعات.

أمّا في المستوى السياسي فان النظرية الانقسامية اكّدت على مبدإ «العدالة القبلية» او «الديمقراطية البنيوية» كنتيجة حتمية للتضاد بين مختلف الوحدات وما يترتب عن ذلك من تحييد متبادل لنزعات النفوذ والتسلّط،

ويظهر ذلك التوازن في السلطة الجماعية التي عادة ما تتوزع بين عدد من شيوخ القبيلة او في وجود السلطة الحاسمة بين الأطراف خارج التسلسل السلالي في أضرحة الصلحاء.

وبالرغم من ان اجرائية الفرضيات الانقسامية قد ارتكزت بالخصوص على مثال المجموعات القبلية في المغرب الأقصى، فان عددا من الباحثين في مجال التاريخ والانتروبولوجيا قد طبقوا تلك الفرضيات على بقية جهات المغرب بما في ذلك البلاد التونسية.

وأهم الدراسات التاريخية التي تبنت هذه الفرضيات هي دراسة المؤرخة لوسات فالنسي (L. Valensi) حول الأرياف التونسية في الفترة الحديثة.

وانطلاقا من مثال قبائل الهمامة بمنطقة السباسب توصّلت الى استنتاجات عامة أهمها :

- يتحدّد الفرد من خلال علاقاته بالمجموعة، فهو يذوب فيها ولا وجود له خارجها.

- الانتساب السلالي الأبوي هو القاعدة.

- تقوم الايديولوجيا القبلية على أساس ذاكرة انتقائية تنطلق من الزمن الأول التأسيسي ثم تقفز على بقية الأجيال لتربط الزمن التأسيسي بالحاضر فتكون الذاكرة وظيفية تقوم فيها أسطورة الجدّ الأول وتجربته بدور المرجع الموحّد والمحدّد لحاضر القبيلة ومصيرها.

- خضوع النمط القبلي الى قوانين التجزئة كما بيّنتها التّحاليل الانقسامية مع فاعلية عوامل الانشطار والانصهار.

وتقوم تلك البنية على قاعدة الاقتصاد العتيق حيث يضعف التقسيم الاجتماعي للعمل وتضعف التّفاوتات الاجتماعاية الهرمية في حين تسود النزعات الأفقية بين التقسيمات المتوازية.

II . القبائل والسلطة السياسية في المغرب العربي

يقترن تاريخ المجتمع القبلي في المغرب خلال الفترة الحديثة بأهم مراحل قيام وتركيز الدولة المركزية وإخضاع أهمّ القبائل المحاربة وترويضها.

وكما أشرنا الى ذلك فان ظروفا تاريخية جديدة نشأت مع مطلع القرن السادس عشر ووضعت حداً لمسار قيام الدول وسقوطها على قاعدة العصبية القبلية بمفهومها الخلدوني.

ومن أهم التغييرات الحاسمة التي طرأت على الساحة المتوسطية ما يرتبط بالعوامل التقنية والاقتصادية الجديدة. فالنهضة الأوروبية روّجت علي نطاق متوسّطي واسع ما أنتجته وابتكرته، من أسلحة نارية حديثة واقتصاد نقدي تجاري، كما دعمت الكيانات السياسية المركزية.

ومقابل ذلك المسار التصاعدي، تعمّق مسار الترديّ والتهميش للكيانات السياسية التقليدية في المغرب الأقصى، الزيانيين في المغرب الأوسط، والحفصيين في إفريقية.

واقترن تفكك الكيانات السياسية المغربية، بتدهور المجتمع وتراجعه نحو البداوة وانتعاشة جديدة للعصبيات القبلية.

غير أن بروز قوى سياسية وعسكرية اكثر تكيّفًا مع الظرفية الجديدة سيضع حداً لتلك الفوضى.

ففي المغرب الأقصى صعدت سلطة السعديين على قاعدة الشرف فوق ـ القبليّة.

أمّا في تونس والجزائر، فقد استقرّ العثمانيون بعد غزوهم البلاد وبدؤوا في تركيز تنظيماتهم الجديدة.

وبذلك فإن الفضاء المغربي أصبح في اغلبه تحت سيادة قوى غير محلية في غياب قوى داخلية قادرة على تقديم البديل.

واعتمدت الكيانات السياسية القائمة على عناصر اجنبية في امنها وتنظيماتها وتأسيس قاعدتها الاجتماعية (الانكشاريون، المماليك، الأندلسيّون، الزنوج المسمّون بعبيد السودان أو عبيد البخاري ...).

كما اعتمدت أيضا على اقتباس تقنيات خارجية مثل الأسلحة النارية والعملات المتداولة متوسطيا كالريال الاسباني واقتحمت البحر عن طريق «المغامرة» القرصنية ثم التجارة.

وبذلك فقد بقيت تلك القيادات وبالتحديد القيادات التركية في الجزائر وحتى في تونس لفترة طويلة في قطيعة سوسيولوجية مع مجتمعاتها، وفي موقع شبه هامشي مع دواخل البلاد بسبب توجّهاتها الخارجية، وأدّى ذلك الوضع الى تعميق الهوّة بين الحكام والمحكومين، وبقيت المجموعات المحلية، لا سيما القبلية منها، عاجزة نهائيا على ترجيح الكفة وإقامة توازن للقوى مع السلطة الحاكمة.

ولم يعد من حلّ أمام القوى القبلية المستعصية سوى المزيد من التهميش بالالتجاء الى المناطق الوعرة للحفاظ على استقلالها.

لكن الاتجاه العام كان يسير نحو اخضاع مستمر للمجموعات الريفية القبلية لفائدة الدولة والفئات الحاكمة، ونحو تركيز علاقات استغلالية غير متكافئة بين المدن والأرياف بصفة اصبحت معها الأرياف تمثل هوامش بالنسبة للمراكز القيادية الحضرية، مثلما تمثل هذه الأخيرة هوامش بالنسبة للاقتصاد الأوروبي المركانتيلي.

إذا كان التقسيم الكلاسيكي لبلاد المغرب الأقصى يفصل بلاد المخزن عن بلاد السيبة انطلاقا من اتساع فضاء سيطرة الدولة على

المجموعات القبلية، فان تقسيم البلاد التونسية في المرحلة الحديثة يخضع لاعتبارات أكثر تنوّعا وتعقيدا.

ففي البلاد التونسية تفاعلت المعطيات البيئية والاجتماعيّة والجغرافية لتبرز ثنائية مركبة تجعلنا نميز بين شريط ساحلي غني يتسع كلما اتجهنا نحو الشمال، ومناطق داخلية أكثر فأكثر فقرا مع بعض الاستثناءات.

ومثل الشريط الساحلي تاريخيا مناطق التحضّر، والاستقرار والمركزة السياسية بينما بقيت دواخل البلاد تخضع لتنظيمات اجتماعية واقتصادية غير متطورة تمثل داخلها المجموعات القبلية أغلبية شبه مطلقة الى حدود القرن التاسع عشر.

والتنظيمات القبلية الداخلية لم تكن بدورها متجانسة بل كانت تشقها تباينات هامة ترتبط باختلاف الظروف البيئية وبنمط العيش وباختلاف موقعها من السلطة والمجتمع.

وعموما فإن الدولة عمدت إلى توظيف التناقضات والتباينات التي تشق المجتمع الداخلي من أجل إخضاعه، ونجحت في تنفيذ سياسة هيمنة شاملة بتمييز مجموعات على غيرها.

ومن هذا المنطلق يمكن ابراز صنيفين من القبائل :

1 ـ القبائل المخزنية :

وهي القبائل الموالية للسلطة إما بصورة طوعية أو انتقلت إلى خدمة الدولة بعد اخضاعها بالقوة.

وأغلب قبائل المغرب انتقلت الى موقع الولاء والخضوع الى السلطة خلال الفترة الحديثة، بصفة أصبح معها التمييز عسيرا بين القبائل الموالية تقليديا والقبائل المخزنية الجديدة.

ولكن مع ذلك يمكن ابراز مجموعة من القبائل التي عرفت بولائها وتحالفها الدائم مع السلطة مثل الوديا والشبّانات وقبائل الخلط وغيرها بالمغرب الأقصى وقبائل الدواير واوالزمول وأولاد خليف بالجزائر، وقبيلة دريد والهمامة وغيرها في تونس.

ومقابل تحالفها تحصل تلك القبائل على جملة من الامتيازات فهي تساهم أساسا في تدعيم الجيوش النظامية او فرق المحلة او الحركة بعدد من فرسانها، وهي تساهم بذلك في تنفيذ السياسة الجبائية او الحملات التأديبية للسلطة، وتتحصّل مقابل ذلك على اعفاءات جبائية وإعانات وحتى على اقطاعات.

ومن أشهر القبائل التونسية التي انتقلت الى مواقع مخزنية خلال الفترة الحديثة قبيلة اولاد سعيد المتمركزة بمنطقة السباسب في الجهات الوسطى من البلاد، وقد اقترن اسم هذه القبيلة بالصراع مع السلطة المرادية خلال النصف الأول من القرن 17.

وهي مثال معبّر على انتقال القبائل من وضع محارب رافض للمركزة الى وضع مسالم مخزني، حيث تحولت هذه القبيلة بعد أن تعرّضت للضربات والتهجير من قبل البايات المراديّين الى قبيلة مخزنية خلال القرن 18. وأصبحت تدعم السلطة وتنتفع بها، حيث أقطعها الباي حمودة باشا الحسيني احدى أكبر «الاقطاعات» المعروفة بهنشير النفيضة، غير أن هذا التحول لم يكن دائما، فتعرضت هذه القبيلة من جديد الى ضربات السلطة لا سيما في عهد أحمد باي.

من بين القبائل الكبرى الأخرى، نذكر قبيلة جلاص وهي من أوسع القبائل التونسية، وكانت تضمّ حسب تقديرات المؤرخ الفرنسي جان قانياج أكثر من 60000 نسمة في منتصف القرن الأخير، وتتوزع هذه القبيلة الى 3 مجموعات أساسية وهي أولاد سنداسن، أولاد يدير وأولاد خليفة.

ومن الناحية السياسية، فان قبيلة جلاص مندمجة في إطار الولاءات المخزنية منذ بداية القرن 18 وقد وقفت في الصف الحسيني خلال الحرب الأهلية في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

فمن خلال هذه الأمثلة نفهم كيف تصبح القبائل مخزنية وكيف يتحول عداؤها الى ولاء.

فالصورة تبدو متنوعة والحالات متعدّدة فهناك قبائل عرفت بولائها التقليدي للسلطة منذ العهد الحفصي ومن أشهر تلك القبائل : دريد العربية الأصل وهي أنموذج القبائل المخزنية منذ العهد المرادي وحتى الحفصي.

وهناك قبائل أخرى تحولت من مواقع هامشية الى الولاء في ظروف خاصة مثل الحروب الاهلية حيث تكون الأحلاف المنتصرة هي المستفيدة طبعا في حين تفقد القبائل المهزومة كل امتيازاتها.

وبصفة عامة فان وجود قبائل مخزنية ساعد السلط المركزية في المدن على إخضاع المجتمع القبلي والريفي عموما من اجل استنزافه ضرائبيا، فالقبيلة المخزنية كانت أداة مثلى وضعتها سلطة المدينة لتثبيت أمنها واستغلال الأرياف وترويض بقية القبائل.

2 ـ القبائل المحاربة بين الرفض والخضوع :

إن أغلب المجموعات القبلية أصبحت خاضعة خضوعا شبه تام للسلط المركزية إذا استثنينا بعض المجموعات التي ساعدها موقعها في المرتفعات على الحفاظ على شيء من الاستقلاليّة مثل قبائل المرتفعات الاطلسيّة في المغرب الاقصى أو مجموعات جبل وسلات في تونس. لكلّ ما حلّ بعروش جبل وسلات بعد إقصاء علي باشا وأبنائه سنة 1762 بقي دليلا صارخا على ما يمكن أن تصل إليه السلطة المركزيّة من قمع وتسلّط على القبائل المناهضة لها.

والقبائل الخاضعة أكثر من غيرها الى الحكم المركزي، هي المستقرّة في المناطق الشمالية الماطرة وفي السهول الرطبة حيث تتعاطى زراعة الحبوب.

وهي المجموعات التي تتحمّل القسط الأوفر من الضّرائب التي تستخلصها الدولة عن طريق المحلة والحركة.

وتنوّعت الضرائب الموظفة على الأرياف المغربية وتعدّدت خلال الفترة الحديثة.

فبالاضافة الى الضرائب العادية مثل الأعشار على الحبوب، والقانون على الزيتون والنخيل، كانت هناك ضرائب غير عادية توظف على الأشخاص والمجموعات ومعظمها ضرائب مالية، ومن اشهر تلك الضرائب الخطايا والدوايا في تونس والنائبة في المغرب الأقصى التي مثلت خلال القرن الثامن عشر خاصة جزءا هاما من المداخيل الجبائية للدولة.

ويعتبر النظام الجبائي بثقله وشططه أحد أهم العوامل التي عطلت تطور المجتمع الريفي ومنعت تراكم فوائض الانتاج وبروز فئات داخلية قادرة على الاستثمار. ومقابل ذلك فقد ساهم ذلك النظام في تدعيم فئات مخزنية مرتبطة بالدولة، لا سيما فئة اللّزامة من القياد وكبار الأعيان.

فكانت سيطرة السلطة على القبائل من أجل استغلالها التجسيم الخصوصي في بلدان المغرب لهيمنة المدينة على الأرياف، ومع الاستنزاف الضرائبي تطورت أشكال أخرى للهيمنة تمثلت بالخصوص في انتشار الملكية الحضرية في الأرياف وخاصة ملكيات الامراء وأعوانهم التي امتدت على مساحات شاسعة.

الفصل الثاني

المدينة والمجتمع الحضري
في المغرب العربي
في العصر الحديث

بالمقارنة مع عالم الأرياف، يمثل عالم المدن مجتمعا أكثر تعقيدا سواء من حيث تركيبته أو أنشطته او المؤسسات التي تحكمه.

وإذا كان من السهل نسبيا تقديم المجتمع الريفي المغاربي إنطلاقا من التشكيلة القبلية باعتبارها التنظيم الاجتماعي الأكثر شيوعا، فانه من العسير اختزال المجتمع الحضري في شكل محدّد من اشكال التنظيم لان مجتمع المدينة هو مجتمع التباينات الاجتماعية، وتعدّد الأنماط والأنشطة والمجموعات.

لذلك فان كل محاولة تأليفية في مجال تقديم عالم المدن، ستكون بالضرورة انتقائيّة مهما حاولنا الشمول.

I ـ المدينة فضاء لتعدّد الوظائف وتشابكها

أصبحت المدن المغربية في الفترة الحديثة مركزا للسلطة السياسية واستقرارها ومنطلقا للهيمنة على محيط ريفي أوسع فأوسع.

ففي الجانب الشرقي والأوسط برزت مدينتا تونس والجزائر كمركزين حضريّين لاستقرار سلطة جديدة ولاعادة تنظيم الهياكل السياسية والعسكرية والاجتماعية في الولايتين وذلك على اثر الاستقرار العثماني في المنطقة. وبالرغم من ضعف الشبكة الحضرية عموما في المغرب، فان الوزن الديمغرافي للمدن والكثافة الحضرية يختلفان من منطقة الى أخرى.

تتميز ولاية تونس على بقية بلدان المغرب بكثافة عمرانية حضرية مرتفعة حيث تمتدّ سلسلة من المدن الساحلية النشيطة من بنزرت الى قابس وتحتل مدينة تونس موقعا متميزا ومحوريا في هذه الشبكة منذ بداية العهد الحفصي، كما تتخلّل الفضاء الداخلي مدن هامة مثل العاصمة التاريخية القيروان أو المراكز الفلاحية مثل باجة.

وبالرغم من أن المغرب الأقصى يضمّ عددا من المدن والعواصم كفاس ومراكش ومكناس، فان الوزن الديمغرافي والاجتماعي وحتى السياسي للمدينة بقي ضعيفا بالمقارنة مع البلاد التونسية.

وبالرغم من أن نسبة سكان المدن بقيت عموما ضعيفة في كلّ بلدان المغرب حيث تتراوح بين 10% و 15% في كل من المغرب الأقصى وتونس، وأقل من ذلك في الجزائر، فان الظاهرة المميزة لهذا المجتمع هي التنوع والحركية.

وعموما، فإن حجم المدن كان ضعيفا، إذا استثنينا بعض المدن الكبرى والتي يقرب عدد سكانها المائةألف، مثل تونس وفاس وتلمسان. فسكان الجزائر العاصمة لم يتجاوز عددهم 30 ألف ساكنا سنة 1830.

وقد تدعّم التنوع الاثني (ethnique) لمدن تونس والجزائر مع الاستقرار العثماني، حيث استقرت مجموعات من أصل عثماني (تركي أو من الأقاليم الأوروبية العثمانية) وأصبحت تمثل الفئات الحاكمة في كل من تونس والجزائر، فاحتكرت الوظائف السياسية والعسكرية والمخزنية عموما بينما بقيت الوظائف الدينية في معظمها بين أيدي نخب العلم المحلية، غير ان هذه الفئة الحاكمة من أصل اجنبي شهدت اندماجاتدريجيا داخل المجتمع الحضري المحلي خاصة في تونس، فعربّت وأصبحت جزءا من فئة الأعيان المحليين. ولم تحافظ تلك الفئة على انغلاقها إلاّ في الجزائر حيث تمسّكت أوجاق الانكشارية بتنظيمها الأول وتضامنها العرقي.

الى جانب هذه الفئة نجد مجموعات أخرى من أصل غير محلّي مثل الأقليات الأندلسية التي استقرت بمدن شمال افريقيا منذ القرن السابع عشر وساهمت في تنشيط الحياة الاقتصادية وخاصة منها الحرفية، إذ يعود إزدهار صناعة وتجارة الشاشية بمدينة تونس مثلا الى دور هذه الأقلية.

أما أغلبية سكان المدن، فهي تتكون من جمهور الحرفيين والتجار الصغار، وهم الرعية. غير ان هذا الجمهور غير متجانس بدوره سواء من حيث منحدراته الجغرافية او انتماءاته الدينية والعرقية. فاذا كانت الحرف والصناعات الرئيسية محتكرة من قبل «البلديين» أي أصيلي المدينة أو الذين استقروا بها منذ زمن طويل، فان العديد من الاختصاصات والنشاطات الثانوية توزّعت على مجموعات قدمت الى المدينة من جهات أو

مدن أخرى. ففي مدينة تونس اختصت بعض المجموعات البشرية بأنواع معينة من الأنشطة، فصناعة الخبز والفطائر كانت من اختصاص المجموعات القادمة من الجنوب الشرقي، كذلك حرفة نقل البضائع، كما ان تجارة الصوف والتجارة الصغيرة ارتبطت بالأقليات القادمة من جزيرة جربة.

كما ضمنت المدينة المغاربية أقليات دينية هامة مثل اليهود الذين نشطوا في المجال التجاري والحرفي، وأقليات أوروبية جاءت للتجارة.

ونتيجة لتواصل الحركة التجارية مع بلدان جنوب الصحراء عبر القوافل، استقرّت أقليات افريقية من الزنوج في جلّ المدن المغربية.

فكان الفضاء الحضري المغربي فسيفساء عرقية ودينية ولغوية، وهذا ما أدّى بعديد الرحالة الأوروبيين الى اعتبار بعض المدن الكبرى كتونس والجزائر مدن متوسطية مفتوحة على شعوب البحر.

II - تنظيم الفضاء الحضري التقليدي

تتميز المدينة المغربية بتنظيم خاص للفضاء العمراني وللبناءات، إذ ترتفع الأسوار حولها وتجعل منها فضاءا مغلقا باسوار دائرية لا يفتح على العالم الخارجي الا عن طريق الأبواب المحروسة التي تتخللها، وهي بذلك تركز عن طريق الاسوار الشاهقة فكرة الثنائية بين الحضري والريفي وبين «البلدي» و«البرّاني». كما أن المدينة تظهر تفوقها العمراني من خلال منشآتها الخاصة فالمساجد الكبرى مثل جامع الزيتونة بتونس أو جامع عقبة بالقيروان او جامع القرويين بفاس، لم تمثل فحسب بناءات ضخمة وثرية من حيث الهندسة والزخرف والمواد التي استخدمت لبنائها، انما كانت أيضا القلب النابض لتلك المدن.

فموقع هذه المساجد الكبرى الذي يتوسط المدينة يحدّد من حولها توزيع مختلف الانشطة الاقتصادية وتراتبيتها، وبدورها الديني ـ العلمي، تسمو بالمدينة الى مركز قيادي ومرجعي.

الى جانب المنشآت الدينية، يضمّ الفضاء الحضري منشآت السلطة السياسية ومؤسساتها، غير ان قصور السلاطين بالمغرب والدايات في الجزائر والبايات في تونس لم تبق دائما داخل الأسوار، فبنيت خارج المدن في الاحواز المريحة مثل باردو ومنوبة والمحمدية في تونس، وبقيت المدينة مركزا للسّلطة العسكرية أو الأمنيّة المباشرة داخل القشل والثكنات والقصبة.

ففي تونس انتقل مقرّ السلطة السياسيّة العثمانية تدريجيا الى خارج المدينة، فدار الباي التي بناها يوسف داي (1610 ـ 1637) والتي زاد في توسيعها حمودة باشا المرادي (1631 ـ 1663) كانت تقع في الحدود الغربية للمدينة قرب القصبة، ولكن الحسينيين قطعوا نهائيا مع الاستقرار داخل المدينة، وسكنوا منذ عهد حسين بن علي (1705 ـ 1740) في ضاحية باردو على بعد بضع كلمترات من المركز الحضري، خاصة وأن البايات المراديين من قبلهم قد جعلوا من بلاط باردو رمزا لسلطتهم.

وفي مدينة الجزائر نلاحظ نفس الظاهرة ولو بصورة متأخرة، فمنذ 1817 انتقل الداي علي خوجة للسكن في القصبة التي تشرف على المدينة من حدودها الغربية بعد أن كان الدايات يسكنون قصورا داخل المدينة، وربما خضع ذلك الاختيار الجديد الى عوامل أمنية.

يمثل العنصر الاقتصادي ـ الى جانب العامل الديني ـ عنصرا محدّدا في تنظيم المدينة، وقد بيّن المستشرق «لويس ماسينيون» كيف ان تنظيم المدينة الاسلامية مبنيا بالاساس على فكرة السوق، كما توصّل الى نفس الاستنتاجات الباحث «سوفاجي» الذي درس مدينة دمشق، حيث أكّد أن المدينة هي الجزء الأساسي من النسيج الحضري ويعني السوق، مقابل «البلد» الذي يعني الاحياء السكنية. وحتى المساجد الكبرى فقد كانت شديدة الارتباط من حيث موقعها بالأسواق، فأسواق مدينة تونس تمتدّ حول جامع الزيتونة من جهاته الأربعة، والدليل على الوحدة والترابط بين أسواق مدينة تونس وجامعها الكبير، هو أن المؤرّخين الّذين وصفوا المدينة في القرون الفارطة قدّموا جامع الزيتونة والأسواق المحيطة به كمشهد حضري واحد.

وانطلاقا من مركزية الجامع والأسواق ، تبرز ثنائيّة التوزيع العمراني الحضري بين الفضاء المركزي الإقتصادي والفضاء السّكني.

ويبرز هذا التباين حتى في أشكال الممرّات واتّساع الأنهج، حيث تكون أكثر إتساعا وإستقامة في المركز، وتضيف ثم تتحوّل إلى أزقّة ملتوية في الأطراف والأحياء السكنية التي تمثل وحدة متراصة لديار متشابهة في الحجم والشكل الخارجي والهندسة الداخلية. وكثيرا ما كان يفصل بين حيّ سكني(حومة) وآخر باب يغلق ليلا، شأنها في ذلك شأن الأسواق التي كانت تخضع لمبدأ التقسيم الحرفي والجغرافي.

هذا النسيج الحضري هو انتاج للنسيج الاجتماعي بتقسيماته العرقية والجنسية، وتبايناته الاجتماعية انعكاس لذلك النسيج، فكل مجموعة او تركيبة اجتماعية او حرفية تجد لنفسها تمايزا جغرافيا.

وتبرز هذه الظاهرة بوضوح عند الأقليات الدينية، فيهود مدينة تونس. كان لهم حي خاصّ بهم منذ العهد الحفصي وهو ما يعرف الى اليوم «بالحارة»، كذلك الشأن في مدينة فاس حيث يسمى حي اليهود «بالملاح».

وان كانت هذه الظاهرة تميّز أيضا العديد من مدن أوروبا منذ القرون الوسطى، حيث فرض على اليهود الاستيطان بأحياء مهمشة (les ghettos) فان مدن شمال افريقيا، تبرز بأكثر وضوح هذا التقسيم الديني - الجغرافي. فكان أيضا للأندلسيين حي خاص بهم داخل مدينة تونس، وما تزال أنهج وأحياء المدينة العتيقة تحمل اسماء المجموعات التي استقرت بها مثل «المطاوة» و«الزواوة» وغيرها.

وبشكل عام فان هذا التوزيع الجغرافي من المركز الى الأطراف، كان تجسيما لتراتب اجتماعي هرمي يضع في أعلى السّلم الفئات الاجتماعية العليا وهي وجاهة الدين والسلطة والمال. فالأحياء السكنية المركزيّة المحيطة مباشرة بالاسواق، كانت تضم المساكن الضخمة للعائلات الوجيهة، أو المخزنية او أرباب الحرف العليا مثل كبار الشواشين والعطارين والتجار بتونس. بينما تضم الأطراف والأرباض احياء العامة والحرفيين الصغار والريفيين النازحين وغيرهم.

غير ان هذا التقسيم كثيرا ما يبدو في شكل نموذج نظري مبسّط لأن الواقع التاريخي أكثر تعقيدا.

فمدينة تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شهدت تطورا خصوصيا قلب الموازين التقليدية المتعارف عليها لتنظيم فضائها الحضري.

فقد مثل القرن الثامن عشر بالنسبة الى مدينة تونس مرحلة ازدهار ملحوظ بالارتباط مع النشاط التجاري المتوسطي الذي جعلها تلقب بـ «شانغاي المتوسط»، غير ان تلك الحركية الاقتصادية التي تزامنت مع تطور ديمغرافي ايجابي بفعل قلّة الأوبئة، فتحت المدينة لهجرات بشرية داخلية وخارجية.

فعوامل الازدهار جعلت منها مركز استقطاب بشري خارجي وداخلي. فتضخمت الجاليات الأوروبية المتوسطية (ايطاليين ـ يهود القرنة ـ مالطيين) وتكاثر عدد الوافدين على المدينة من المناطق الداخلية.

وانعكس ذلك الوضع سلبًا على المدينة خلال القرن التاسع عشر مع تغيّر الظرفية فعادت الأوبئة الفتاكة الدورية منذ بداية القرن التاسع عشر، وتدهورت الأوضاع التجارية، واصبحت المدينة تشكو حالة من التشبّع بصفة لم يعد بالامكان المحافظة معها على التوازنات القديمة.

ومع منتصف القرن التاسع عشر بدأت تظهر النتائج الملموسة لذلك التطور الجديد. فلم تعد الجالية اليهودية قادرة على البقاء داخل حيّها المكتظ، ففاضت على الأحياء السكنية الاخرى، وأدّى تكاثر الوافدين من الأرياف الى ظهور فضاءات متريفة داخل المدينة (خاصة في الربض الجنوبي) وخرجت الأقليّة الأوروبية من محيطها الضيق قرب باب البحر وتعدّدت البناءات المعدّة للسكن الجماعي كالفنادق و«الوكالات».

وأصبحت المدينة في حالة فوضى يصعب التحكم فيها، مما دفع بالسلط تحت تأثير تناصل أوروبا الى بعث مؤسسات جديدة لمراقبة الفضاء الحضري، بعد أن أصبحت المؤسسات التقليدية عاجزة على القيام بدورها،

فتأسس أول مجلس بلدي بتونس سنة 1858، ثم تم بعث جهاز الشرطة بمفهومه العصري سنة 1860 لحماية الأمن.

فأزمة مدينة تونس خلال القرن التاسع عشر، كانت مؤشرا لأزمة المجتمع والدولة، وبداية لنهاية النمط القديم.

III ـ المدينة فضاء للنشاط الإقتصادي التبادلي

مثلت المدينة المغاربية مركزا للنشاط الإقتصادي السلعي والتبادلي، رغم محدودية تقسيم العمل والتقنيات البدائية وضعف الإنتاج عموما. وإذا كانت أزمة القرن السادس عشر قد انعكست على حياة المدن الإقتصادية، بركود الإنتاج وتراجع الدورة النقدية، فإن الإستقرار النسبي الذي شهدته بلدان المغرب في الفترة الحديثة قد أعاد للحياة الحضرية نشاطها. فكانت المدن الساحلية الكبرى منطلقا للمغامرة القرصنية المتوسطية وحتّى الأطلسيّة، واشتهرت بذلك النشاط الذي أشرف عليه الأمراء. وساهمت فيه مدن مثل سلا بالمغرب الأقصى والجزائر وحتّى تونس. وكان ذلك النشاط القرصني هو الشكل المهيمن للعلاقات بين المدينة المغربيّة والضفة الشمالية للمتوسّط، في ظروف سيطرت عليها المواجهة «الجهادية» والنزعة نحو التصادم.

واستفادت المدن المغربية من النشاط القرصني، لا فحسب من حيث الغنائم والعائدات، حيث توفّرت مداخيل هامّة للفئات الحضريّة، بل وأيضا من حيث التقنيات الحربية والخبرات البشرية، حيث تكونت أجيال من القراصنة العارفين بالتقنيات الحربية والخبرات البشرية، حيث تكونت أجيال من القراصنة العارفين بالتقنيات البحرية والحربية معا.

غير أن القرصنة لم تمنع قيام التبادل التجاري والذي نشطت فيه فئات مثل اليهود الذين لعبوا دور الوساطة بين الإقتصاد الحضري المغاربي والمدن الأوروبية.

غير أن فوائض الإنتاج الداخلي وخاصّة منها الحبوب والزيوت والمواد الصناعية المصدّرة مثل الجلود والشاشية، رغم أهميتها في بعض الفترات، لم تكف لقيام دورة تجارية متوسطية متكاملة داخل هذه المدن.

فالفوائض التجارية استنزفتها منذ البداية الفئات الحاكمة التي احتكرت جزءا من تلك التجارة، وكذلك العناصر الأوروبية المستخدمة في الدورة التجارية. فعن طريق احتكار النقل البحري والتأمين على البضائع، ضمنت تلك العناصر لنفسها الجزء الأوفر من عائدات التجارة الخارجية المغاربية، وتدعمت تلك التبعية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر عندما أصبح جزء كبير من التجار و الحرفيين في المدن مدينين للتجار الأجانب. وانعكست تلك التبعية التقنية والنقدية بتدهور العملات المحلية.

ومقابل هذا الإنفتاح الملموس على التجارة الخارجية، كانت العلاقات التبادلية بين المدن المغاربية والأرياف ضعيفة.

ويعود ذلك الضعف إلى أسباب هيكلية منها سيطرة إقتصاد الإكتفاء الذاتي وانغلاق الأرياف على نفسها وضعف الدورة النقدية بها، ومنها ما يرتبط بالتوجه المبكّر للنشاط التبادلي الحضري نحو البحر والخارج.

وبذلك فإن التكامل بين المدينة والريف كاد يقتصر في معظم الحالات على ظهير ضيق يزود المدينة بحاجياتها الأساسية وبضم الأملاك العقارية لسكان المدن.

ولذلك فإن الشّكل الرّئيسي لهيمنة المدينة على الأرياف في المغرب، كان يمرّ عبر الدّولة وأجهزتها، التي مثلت العنصر الأساسي في استنزاف فوائض الأرياف عبر الريع الجبائي والريع العقاري.

فالمدينة، لم تدمج الأرياف في شبكة علاقاتها الهيمنية عبر التكامل التبادلي، وإنّما عبر أدوات الهيمنة السياسية والعسكرية المتمركزة بها.

نصّ عدد 46 :

وصف فاس

إن فاسا مدينة كبيرة جداً، تحيط بها أسوار متينة عالية، وتكاد تكون كلها مشيدة على تلال بحيث ان وسطها وحده هو المستوي ... ويدخل الماء الى المدينة من نقطتين، يمر احد فروع النهر بالقرب من فاس الجديد جنوبا، ويدخل الفرع الآخر اليها من جهة الغرب ، وبعد دخول الماء الى المدينة يوزع بواسطة عدد من القنوات تسوق معظمه لدور السكان ورجال الحاشية الملكية وسائر الأبنية الأخرى، فلكل جامع او مسجد حقه في هذا الماء وكذلك الفنادق والملاجئ والمدارس، وتوجد قرب المساجد ميضات عامة...

والدور مبنية بالأجر والحجر المنحوب بدقة، ومعظم هذا الحجر جميل ومزدانة بفسيفساء بهيجة، وكذلك الافنية والأروقة مبلطة بزليج مربع قديم مختلف الألوان على شكل أواني ما بورقة الخزفية، وقد اعتاد الناس ان يصبغوا السقوف بألوان زاهية مثل اللازورد والذهب.

وتتألف الدور كلها تقريبا من طابقين، وفي كثير منها ثلاث طبقات ... وفي فاس حوالي سبعمائة جامع ومسجد والمساجد أماكن صغيرة للصلاة.

ويوجد من بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء، مزدانة بأعمدة من الرخام أو غيره من الحجر الذي لا يرى مثله في ايطاليا ...

وفي المدينة جامع عظيم يدعى جامع القرويين، وهو في غاية الكبر، يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف ميل، وله واحد وثلاثون بابا كلها كبيرة عالية.

وفي داخل الجامع على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء الأساتذة ... ولا تلقى الدروس صيفا الا من منتصف الليل الى الساعة الواحدة والنصف صباحا ... ولا

يتولى القاءها الا بعض الناس الخصوصيين ... والمتضلعين في المواد يتقاضون عن دروسهم اجورا عالية حسنة وتقدم لهم الكتب والانارة ...

وفي فاس احدى عشرة مدرسة للطلاب جيدة البناء كثيرة الزخرف ... وتحتوي كل مدرسة على عدّة حجر في هذه مائة حجرة او اكثر، وفي تلك اقل في هذا العدد، وكلها من تأسيس مختلف ملوك بني مرين ... وفي كل مدرسة أساتذة لمختلف العلوم ... ويتقاضون جميعا مرتبات حسنة ... وكان كل طالب من طلبة هذه المدارس في الزمن الماضي معفى من مصاريفه ولباسه مدة سبع سنوات، أمّا الآن فلم يبق له غير السكن، إذ خرّب عدد كثير من الاملاك والبساتين التي كانت محصولاتها مخصصة لهذا الغرض ... ولم يبق اليوم سوى دخل بسيط يمكن من الاحتفاظ بالاساتذة الذين يتقاضى بعضهم مائتي مثقال، وبعضهم مائة، وبعضهم اقل من ذلك، ولعل هذا أحد الاسباب التي ادّت الى انخفاض القيمة الفكرية ليس في فاس وحدها، ولكن في جميع مدن افريقيا.

يوجد بفاس مائتا فندق ... بداخلها قرابة اربعمائة طاحونة ... يشغل العدول حوالي ثمانين دكانا ... وفي كل دكان عدلان ... والى الغرب من ذلك نحو ثلاثين دكانا للكتبيين ...

سوق التجارة ... شبه مدينة صغيرة مسورة بجدران ينفتح فيها اثنا عشر بابا ... وينقسم هذا السوق الى خمسة عشر حيا ... تسمّى قيصاريات ... يقوم الى جانبها ... بجهة الشمال منها سوق العطارين ...

هذا القسم من المدينة الواقع في الجهة الغربية ... كان في القديم مدينة مستقلة ... انشئت بعد المدينة الأخرى الواقعة على الضفة الأخرى من النهر الى جهة الشرق.

القسم الشرقي من المدينة متحضر جداً كذلك، يشتمل على ابنية في غاية الجمال، وعلى جوامع ومدارس، الا انه غير مزود كالقسم الآخر بأناس من مختلف طوائف الحرف ...

وفي القسم الغربي للمدينة المجاور للقصر الملكي تشاهد القصبة التي أسست ايام ملوك لمتونة ... وقد كانت قديما مقر إقامة عمال فاس وأمرائها قبل ان تصبح المدينة عاصمة المملكة، ومنذ أن أسس ملوك بني مرين فاس الجديد لم تعد القصبة سوى دار مقام للعامل وفيها جامع جميل بني أيامنا هذه وصار مكانها بساتين، ولم يبق منها سوى قصر واحد يسكنه العامل.

الحسن بن محمد الوزان الفاسي

وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر الرباط 1980، الجزء 1 ص ص 173 - 195.

نص عدد 47 :

يهود مدينة فاس بين السلطة والأهالي

... ولما قبض مولاي محمد الشَيخ المهدي الدرعي السعدي على احمد الوطاسي حيث ولى على المغرب وفاس وخلص له ملك المغرب ... شكى له أهل فاس بما ينالهم من المهاجرين من الغش والمكر والخديعة والربا في ساير الأسواق والحرف وانهم لا يؤتمنون في المعاملة من ذلك وان ذلك تكرر منهم جميعا وذلك دأبهم بحيث لا يسلم أحد منهم بذلك ... فرأى المنع هو الصواب ... لكون من قال بالمنع من العلماء اكثر عددا واضح عدالة فأمرهم بالخروج من الاسواق ... فأخرجوهم ورجعوا الى ما كانوا يحترفون به ومكثوا على ذلك الى ان ولى امير المؤمنين مولاي احمد المنصور المعروف بالذهبي واستخلف على فاس واعمالها ولده مولاي محمد المدعو بابي الشيخ المامون وكان معه ابي العباس المنجور الفقيه العلامة المشهور الاسلامي طلبوا منه ان يتكلم فيهم فتكلم بعد هدايات له ولصاحبه.

فأباح لهم ذلك سنة احدى وتسعين وتسعمائة بعد استخلافه، فلما أراد الناس القيام على المهاجرين حيث ظهر شيء على عادتهم من الغش والمكر والخيانة والربا وانهم لا يؤتمنون ... صاروا الى القصار الذي ولى الفتوى والخطابة والامامة بالقرويين سنة سبع وثمانين وتسعماية، فافتى لهم لمن يؤتمن ان يعمّر واذا ظهر عليه غش يمنع من ظهر عليه غش أو خديعة ... وهم وغيرهم في ذلك سواء ... فكثرت دعاويهم وجورهم ... فيتحقق قول من قال انهم لا يؤتمنون دون غيرهم من المسلمين ... فأمر باخراجهم من تلك الحرف ومن الأسواق ... فمكثوا ممنوعين مدة والناس في هدنة من الغش والخديعة ... الى ان توفي سنة ثلاث وثلاثين وألف ثم مكثوا ممنوعين مدّة أخيه مولاي عبد الملك بن الشيخ المأمون الى ان توفي قبل الاربعين وألف وضعفت الاحكام بفاس واعمالها من يوم خلافة عبد الملك بن الشيخ المأمون

قام المغرب وقام الشرّ في كل ناحية منه واستولى على المغرب الفقيه الرئيس

ابو عبد الله محمد الحاجي ابن الشيخ سيدي محمد بن سيدي بوبكر الدلاء ... وولّى السيد محمد الحاجي على فاس القايد أحمد بن صالح بن عبد الرحمان الليزي الاندلسي وولى القضاء بها الفقيه أبا عبد الله التلمساني جاءه المهاجرون وقالوا له يا سيدي ان الشرفاء السعديين الذين منعونا من العمارة بقيسارية فاس والأسواق والحرف الرفيعة بها أخرج الملك من ايديهم وهو الآن بيد العوام ونحو قد أفتوا الفقهاء باباحة ذلك وهذه هدية للأمير سيدي محمد الحاجي ... استاذنه باباحة ذلك لنا ونجعل لك وله خرج في كل سنة فأفتى لهم بذلك وبعث بالهدية الى سيدي محمد الحاجي ومعها كتاب يطلب منه ان يأذن لهم في اباحة ذلك ... فكتب يقول له الصواب هو ... المنع ولا يؤذن لهم في شيء من ذلك ...

مؤلف مجهول، **قصّة المهاجرين المسمون اليوم بالمهاجرين**، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم 9923

نصّ عدد 48

مدينة مراكش

تعدّ مراكش من كبريات عواصم العالم وأشرف مدن افريقيا، تقع في سهل فسيح بعيدة عن الأطلس بنحو أربعة عشر ميلا، بناها يوسف بن تاشفين امير لمتونه حين دخل مع قبيلته الى هذه الناحية، واتخذها عاصمة لملكه بالقرب من طريق أغمات التي يقطع منه الأطلس للذهاب الى الصحراء مواطن هذه القبيلة، وقد بنيت مراكش بحسب تصاميم لمهندسين ممتازين من طرف صناع ماهرين في وسط إقليم عظيم وفي حياة علي بن يوسف بن تاشفين كان بها ما ينيف على مائة الف كانون، وأربعة وعشرون بابا، وسور في غاية الجمال والقوة مبني بالطين المد كوك بالجيروالرمل الغليظ الممزوج بالحصى ويمر على بعد ستة اميال منها نهر كبير يدعى تنسيفت.

في هذه المدينة مساجد ومدارس وحمامات وفنادق على الشكل الافريقي، من هذه المساجد ما بناه ملوك لمتونة ومنها ما بناه من خلفهم من ملوك الموحدين، وفي وسط المدينة جامع على بن يوسف، وقد هدمه عبد المؤمن من الملوك الذين جاؤوا بعد اللمتونيين واعاد بناءه لغرض واحد، هو ان يمحو اسم علي ويجعل اسمه هو مكانه ... ويوجد أيضا قرب القصبة جامع آخر بناه عبد المؤمن، وزينه بعدة أعمدة جلبها من اسبانيا وبني تحته خزان ماء باقواس على جميع مساحة الجامع ... وشيد كذلك صومعة بالحجر الضخم الشبيه بحجر برج الكوليزي بروما ...

والجامع المذكور غير مزخرف كثيرا من الداخل ... والواقع ان هذا الجامع من ابهى معابد العالم، لكنه اليوم مهجور لأن سكان مراكش تعودوا الا يقيموا فيه غير صلاة الجمعة، ولان المدينة قليلة السكان جداً لا سيما في الحي المجاور لهذا الجامع، وحتى الوصول اليه يتعذر كثيرا بسبب انقاض الخرائب المتراكمة في الطريق، وكان تحت رواقه قديما نحو مائة دكان للكتبيين لم يبق منها اليوم ولو دكان واحد.

ان ثلثي هذه المدينة السكنية غير مسكون، والأراضي الفارغة فيها غرست بالنخيل والكروم والاشجار المثمرة لان السكان لا يستطيعون ان يملكوا ولو شبرا واحدا من الارض الصالحة للفلاحة خارج الأسوار لكثرة تعسف الأعراب.

ولم يضرّ بمراكش من التغييرات في الحكم اكثر مما أضرّ بها بنو مرين الذين استقروا بفاس وأقاموا فيها بلاط ملكهم وارسلوا نائبا عنهم الى مراكش.

وفي وسط القصبة جامع في غاية البهاء تعلوه صومعة متناهية الجمال وفي القصبة ايضا مدرسة في غاية الحسن، أو على الأصح مؤسسة معدة للدراسة وسكنى مختلف الطلبة، تحتوي على ثلاثين حجرة، وقاعة في الطبقة الأرضية كانت تعطى فيها الدروس فيما سبق، وكان كل طالب مقبول في هذه المدرسة ينفق عليه ويكسى مرة في السنة، ويتقاضى الأساتذة مرتبا قدره مائة او مائتا مثقال حسب نوع الدروس ... ولم يكن يقبل في هذه المدرسة الا من كان يعرف مبادئ العلوم معرفة تامّة، وكان بالمدرسة قديما حسبما سمعت عدد كثير من الطلبة، لكنهم اليوم لا يتجاوزون خمسة طلاب مع استاذ جهله بالفقه فاحش، ليس له سوى معرفة سطحية غامضة بالأدب وأقل من ذلك بعلوم أخرى.

ولما ذهبت الى مراكش كانت لي علاقة ودية مع قاض غني عارف بتاريخ افريقيا معرفة تامة، إلا انه قاصر في العلوم الفقهية، حصل على هذا المنصب بفضل التجربة التي اكتسبها مدّة أربعين سنة قضاها كعدل مقرب الى السلطان ...

ورغم قلة آثار الماضي الباقية بهذه المدينة فانها تدل على الفخامة والعظمة السائدتين في عهد المنصور ولم يبق مسكونا في أيامنا هذه سوى قصر الأسرة الملكية، وقصر حرس الرماة الذي يقيم فيه الحجاب والمكلفون ببغال الأمير الحالي، أما سائر القصور فيعشّش فيها الحمام والغربان وما شابههما، والبستان الذي كان من قبل في غاية البهجة اصبح اليوم مزبلة

للمدينة، والقصر الذي كان فيه خزانة الكتب استعمل جناح منه للدجاج وآخر للحمام، وأصبحت الخزانات التي كانت توضع فيها الكتب اقفاصا لهذه الطيور ...

خلاصة القول ان مدينة مراكش فقدت شهرتها القديمة وغدت مضطربة على الدوام بسبب الأعراب كلما امتنع السكان من ارضاء أقل رغباتهم.

الحسن بن محمد الوزّان الفاسي، **وصف افريقيا**،
ترجمة محمد حجّي ومحمد الأخضر منشورات الجمعية
المغربية للتأليف والترجمة والنشر
الرباط 1980، الجزء الاول ص ص 100 ـ 107.

نصّ عدد 49 :

إنتشار الجوع والخراب بمكناس سنة 1737م

وفي تلك السنة ماتت عامة الناس بالجوع وعجزت الناس عن دفن موتاهم وكانوا يرمونهم في الازقة والمزابل وغير ذلك. نسأل الله السلامة والعافية بمنه، وفي هذه السنة استولى الخراب على مدينة مكناسة وخرب منها وجه أعروس بأسره وكان به من المساجد خمسة وسبعين مسجدا وكان في ليلة سبع وعشرين من رمضان يفرق عليهم الزيت مولاي اسماعيل، وكانت في أيامه قد انتهت من العمارة والغبطة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن الغرب وشيد بها المباني والقصور وأدار بالمدينة وبالقصبة السور واحتفل في بناء القصبة الواسعة التي لم ير مثلها حسنا وجمالا وارتفاعا واتقانا وكمالا وصيرها حاضرة المغرب له ولأولاده من بعده واحتوت على مساجد وديار وحوانيت ومصاري والترابع والأدرنة والكوش والافراش والأفران ما لم يكن في المغرب من البلدان وخرب ذلك كله في أيام المجاعة والفتنة التي كان ابتداؤها في دولة السلطان أبي الحسن مولاي علي الأعرج وكان في أمره محجورا نحو عام وتسعة أشهر والتصرف كله لسالم الدكالي الى أن خلعوه في ذي القعدة من عام ثمانية وأربعين ومائة وألف (1735م) بعد أن كان أخوه السلطان مولانا عبد الله في دولته الأولى احتفل في تحصينها واتقانها وزاد في علو أسوارها وفي كل ركن من أركان القصبة بستيونا مثل بستيون الكعيدي الدغمي والسريعي وغير ذلك فلما تولى السلطان سيدي محمد ولد عربية ساءت بولايته حال البلاد والعباد واستولى على الجميع الخراب والفساد الى أن كانت الديار في أيامه لا تجد من يسكنها من شدّة الخوف والاضطراب وضيق على مكناسة وزرهون الأعراب كما مر ...

محمد الرباطي، **تاريخ الضعيف الرباطي**،
تحقيق محمد البوزيدي الشيخي دار الثقافة الدار البيضاء، 1988، الجزء الأول ص ص 220ـ 221.

وثيقة عدد 50 :

قوانين عرفية لآيت باعمران

- من حاول اغتصاب امرأة قرب البئر، إذا استغاثت وأدرك قبل وقوع الاغتصاب يؤدي مائة ريال انصاف وإذا كان قد اغتصب يلزمه خمسمائة ريال.
- من اختلص في نطفية او في طريق السوق، او في المدرسة وان حاول ذلك فقط ورني، يؤدي خمسين ريالا انصافا وان تعدد الفاعل فان كل واحد منهم يؤدي خمسين ريالا.
- من تشاجر مع غيره بدون أن يستفز، ووصل به الحدّ الى اشهار كميته دون استعمالها يؤدي عشر ريالات وإذا استعملها يؤدي خمسين ريالا.
- من أطلق النار على شخص ولم يصبه، يؤدي خمسة وعشرين ريالا.
- من ثبت عليه بالبينة انه سرق الماشية، عنزة كانت أو تيسا يؤدي مائة ريال.
- القاتل يلزمه مائة ريال مع النفي.
- من سرق في الخلا يؤدي خمسة وعشرين ريالا.
- من ضبط متلبسا بالسرقة او بنوايا سيئة يؤدي مائة ريال انصافا.
- من سرق عبدا أو مطمورة يؤدي خمسة وعشرين ريالا، عند وجود بيّنة وإلاّ فخمسين يمينا في ظرف عشر أيّام.
- من كسر رأس غيره يؤدّي خمسة وعشرين ريالا وينفق عليه إلى أن يشفى.
- من اغتصب بكرا يؤدي مائة ريال انصافا وصداق البكر.
- من دعا أحدا لدى الشرع فكسر دعوته يلزم المدعي عليه خمسة عشر ريالا انصافا.
- المرأة التي تنجب ابنا غير شرعي تؤدي مائة ريالة.
- من ضرب بالكمية دون ان يصيب يلزمه أداء خمسة مثاقيل، ويؤدي عند الاصابة مع الجرح خمسة وعشرين مثقالا.

- من عمر «مكحلته» دون ان «يخرج» يلزمه خمسة مثاقيل، وإذا خرج دون ان يتسبب في خسارة يؤدي خمسة وعشرين مثقالا، وإذا أحدث خسارة يؤدي خمسين مثقالا.

- قاطع الطريق يلزمه مائة مثقال انصافا.

- من سرق في السوق يؤدي مائة مثقال، ومن حاول الدفاع عنه يؤدي خمسة وعشرين مثقالا.

- من كسر الدعوة يؤدي خمسة مثاقيل : اثنان منها لأمغار، وثلاثة للقبيلة.

علي المحمدي، **السلطة والمجتمع في المغرب نموذج آيت باعمران**

دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، ص ص 131 ـ 132.

نصّ عدد 51 :

الطاعون بالمغرب

ومن اعجب ما يحكى في هذه السنة 1088هـ . 1679 . 1678 لحم العيد السمين والهزيل لم ينضج، وفي اوائل العام ظهر طاعون بتطّاون في حوز بني زيّات، ثم فشا في البلد ووقع الموت، وكان الشتاء في هذا العام دافيا وغلب نزول المطر في الصيف وبرد الجوّ ووقع بفاس ريح وسعال، وظهر الجراد بحوز مراكش الى سلا الى تفلالت، فافسد الجريد واشتدّ الغلاء، وسلّم الله فاسا وحوزها، وفي قبل نصف الليل من ليلة الخميس عاشر شعبان وقعت زلزلة فطن لها كثير من الناس ولم يشعر بها البعض، ثم في يوم الجمعة سابع عشر شعبان وقعت زلزلة اخرى، ثم وقعت اخرى في سابع وعشرين من الشهر.

وفي حوادث هذه السنة 1088 هـ 1678 . 1679م ظهر الطّاعون أوّلا قليلا ظهر بتطّاون الى ان بلغ الموتى بها خمسين نفسا في اليوم الواحد، وظهر بالقصر الى ان بلغ موتاهم مائة وخمسين في اليوم الواحد ، وبلغ خبره الى مولانا الخليفة اسماعيل الحسني فوجّه عبيده الى وادي سبوا وامرهم ان لا يترك احد يعدّوه، وخرج امير المؤمنين مولانا اسماعيل من مكناسة الى الحركة، وخرجت المحلة فاس في رابع عشر ربيع الأول فقدمت عليه، وظهر الطاعون بفاس الجديد المرينية، فصلّي بها ليلة المولد على عشرين، وكثر بها وخلت مدرستها وسدّت ثامن ربيع الاول، وكثر بالقرى المجاورة لها بعين الخميس وبموضع الخميس اليوم، وبتلك القصابي وافر كان حتى خليت، فوجّه السلطان مولانا اسماعيل عبيده إلى إحراق تلك القرى التي خلاها الطاعون فاحرقوها عن آخرها وخربوها وتركوها خرابا في خامس عشر ربيع الأوّل، وامر عبيده ألا يتركوا من يريد المرور من فاس الى مكناسة الزيتون، فكانوا يحرسون الطرق ليلا ونهارا ومن لم يسعفهم في الرجوع عن المسير الى مكناسة قتلوه. وظهر الطاعون بفاس وكثر الى أن بلغ الموتى في اليوم الواحد أربعمائة إلى ثمانمائة إلى ألف وأزيد إلى أن ضعف في منسلخ رمضان،فبلغ

الموتى في اليوم الواحد عشرة ثم ظهر الطاعون بمكناسة الزيتون دار الملك إلى أن بلغ الموتى بها ثلاثمائة إلى أن ضعف، فبلغ الموتى في اليوم الواحد خمسين، ، وظهر بمراكش فبلغ الموتى بها في اليوم الواحد نحو الفين واكثر ومات بمدغرة وتافلات وتوات وسائر بلاد الصحراء ما لا يحصى.

محمد القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط ص ص 22 ـ 23.

نصّ عدد 52 :

مدينة الجزائر في الربع الاول من القرن 17

إنّ تعداد سكان مدينة الجزائر في سنة 1621 هو حوالي مائتي ألف نسمة. في العام نفسه تم وضع قائمة دقيقة بكل العائلات التي تقطن مدينة الجزائر والتي عددها على النحو التالي : العائلات التركية ثلاثين ألف وعائلات السكان الأصليين سبعة وتسعون الف وعدد عائلات اليهود عشرة آلاف، بالاضافة الى ما بين ثمانية عشر او عشرين ألف عبد، فهذا التعداد كان قد انجز بسبب الوباء لاتّخاذ الاجراءات المطلوبة، ومن هذا الوباء مات ما بين خمسين الى ستين ألف شخص.

ففي هذا العدد المذكور اعلاه يمكن ان يوجد عشرين ألف شخص قادرين على حمل السلاح بمن فيهم عشرة آلاف من الانكشارية من ذوي الرواتب كما يدخلون في هذا العدد أيضا خمسة آلاف زواوي وهم عساكر من السكان الأصليين، من أصحاب الرواتب هم ايضا وفيه ايضا الكلوغلية وهي التسمية التي تطلق على أبناء الانكشارية والذين عددهم خمسة آلاف ويتقاضون مرتباتهم كذلك بحكم مولدهم، ومنهم من يعتبر ان عدد الانكشارية هم خمسة عشر ألف غير الخمسة الاف من الكلوغلية، ولكن في الحقيقة ان الانكشارية القادرين على حمل السلاح هم نحو عشرة آلاف وهم ليسوا كلهم قادرين على الخدمة والقتال لوجود عدد كبير من الشيوخ من بينهم.

وفي بعض أوقات السنة يخرج من هذه المدينة ما بين تسعة الى عشرة آلاف عسكري انكشاري وغيرهم موزعين علي مختلف العمارات وأساسا على السفن التي يسلحونها والتي يصل عددها حتى مائة سفينة ويبحر فيها دائما وفي جميع الظروف حوالي ستة آلاف جندي كما يقومون بجرد ثلاث معسكرات (حملات)، وهكذا يسمونها والتي يرسلونها الى بلادهم لاستخلاص الضرائب التي يدفعها السكان العرب الى السيد العظيم، وهي تتجه الى النواحي التالية : فالى ناحية قسنطينة يرسلون ما

بين ثماني الى تسعمائة رجل، والى ناحية تلمسان نفس العدد او أكثر وفي
ناحية أراضي يسر وبني عباس يرسلون عادة ألف وخمسمائة رجل. يخرج من
المدينة في هذه المعسكرات (حملات) كل سنة حوالي ثلاثة آلاف وثلاثمائة
رجل التي تضاف الى ستة آلاف جندي الموجودين على السفن فيصبح العدد
تسعة آلاف وثمانمائة والتي تطرح من عشرين ألف فيبقى حوالي عشرة آلاف
عسكري لحراسة المدينة.

وزيادة على ذلك، ففي الماضي كانوا لا يسلحون سوى ثلاثة اجفان
وبريجتان واحد، اما اليوم فانهم يسلحون منها حتى سبعة أجفان والتي يبحر
على كل واحد منها حوالي ثلاثمائة رجل من الانكشاريين الترك والمرتدين
وجموعهم ألفين ومائة من أحسن الجنود، وهو العدد الذي يجب طرحه من
عشرين ألف، ولن يبقى لحراسة المدينة سوى ثمانية آلاف.

Grammont de H.D :
«Relations entre La France et la Régence d'Alger.»
Revue Africaine 1879

ورد في، جمال قنان،
نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث،
الجزائر 1987

نصّ عدد 53 :

حول اخضاع أهل جبل فليسة

1767 ـ 1796م

وكانوا اناسا جهلة لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين وكان فيهم من يتبع الكتاب والسنة، وكانوا من جملة الجاهلية، يقتل بعضهم بعضا ويقطعون الطرقات على المسافرين ويذهبون الى متيجة في الليل ويسرقون، ويذهبون الى جبالهم ويبيعون للسواقين ما عندهم والذي ذهبت له ضالته يذهب للوقوف بجبلهم ويشتريها منه ويمنعون البنات من الارث.

ومن مات منهم فان اخاه او ابن عمه يرث زوجته وان لم تكن له بها حاجة فانه يزوجها من رجل آخر، ويأخذ منه صداقها، بدل الصداق الذي اخذته من اخيه او ابن عمه، فكانوا لا يخافون الله، ولا يخشون الامير، مانعين الزكاة والاعشار، بعث اليهم الامير محلة عام 1181 وقاتلهم فهزموا المحلة الأولى والثانية الي ان بعث لهم سبعة امحال واحدة فواحدة، فصعد الجند لبعض جبلهم ومات خلق كثير من الجانبين، فعند ذلك طلبوا الامان من الامير وادعوا التوبة من صنيعهم، وتعهدوا بدفع الزكاة والاعشار كل سنة فجعل الامير لهم اشياخا ورجعت الامحال.

مذكرات الحاج احمد الشريف الزّهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق احمد توفيق المدني ص 28.

نصّ عدد 54 :

الأعراش التي تتسوّق الى الباستيون

الحمد لله

بيان رعايات محروصة الجزائر بوطن محروصة بونه وجميع ما نذكرهم ان شاء الله ما يأت كلهم يتسوقوا للبرج بجميع ما يسحقه عندهم من كل خير ورزق صاحب الباستيون القبطان صمصوم.

أول ما نذكر النجع الكبير ولا كبير الا الله الشيخ خالد بن ناصر الحناشي بوطن قسنطينة وعنابة وانحسرت بلاده مما ذكر الى الحدادة المعلومة ما بين وطن الجزائر وتونس وهما هو خالد رعيت للجزائر خاصة في خمسة آلاف فارس يكون منهم ألف فارس تدرب بالنار على الخيل واما التراس خلق كثير واما نجعه في قدّاش ان دوار لم نقدر نحصر ذلك بالعدد لكثرتهم.

وايضا نجع الشيخ احمد بن منصور الشنوفي في ألف فارس وخمسمائة وهي رعيت لتونس والجزائر، وكذلك لم نحصر عدد دواويرهم، وأيضا جبل بن صالح رعيه لبونه في عشرة دواوير وأيضا وطن البحيرات ببونه وهي متاس مرداس في ميتين فارس والذي يحرث عندهم في الوطن المذكور ولها ست كلهم في ثلاثين دوار ما بين مرداس وولهاست. وولهاست اكثر في دواوير خاصة وهما الجميع رعيت لبونة، وأيضا وطن بوبياض وهو ينقسم على أسامي كثيرة، ابو حبل، عواد والشناشن والزواريت والنحيلة، طرفة، الخليج، حمام النافت، الزمزومة، الدراع، واد العسل، ام الشبارى، ام العقارب، الريغيت، والذي يملك هذه البلاد ويحرث فيها وهما الزكازكت وأولاد عبد اللطيف، الغفرة، بن سارة، النبشة، الربايع، القرانير، المغاوير، لواتت، وستاتت ويجمعهم اسم واحد السبعة. ويحرث معهم في هذا الوطن المذكور بوبياض، بن عامر، يكون الجميع هما والسبعة في اثني عشر دوار رعيت المحروصة بونة.

وأيضا وطن المعزولة اصله بالملكية اولا للأولاد بلقاسم وفكه الآن من يدهم عصا بالقوة سيدي محمد بن طراد وهذا الوطن له أسامي كثيرة : عين خيار، الدخالة، العيدانية، الطويرف، ام الأحواض، واد السواني، العذرار، القناطر، الزوايت، والذي يحرث في هذه البلاد متاع اولاد بلقاسم وأولاد عطية الذي فكها له الآن سيدي محمد بن طراد المذكور، سويلم في عرش وأولاد حريز في عرش، وأولاد فرارة في عرش وأولاد عمران في عرش، وأولاد الموهوب في عرش، وأولاد المراسن في عرش، وهذه الأعراش المذكورين الذي يحدث في وطن المعزولت المذكورة في اثنان وعشرين دوار.

وأيضا وطن التل ينقسم على أسامي كثيرة وهما ام الاحلام سنابت الوليجة، الاربعت الفحيص، الشانيت المعلقت المحاصر، الجناين المواريت، دار الرفروف، بوجهين، الدرادر، عين الشعرة، الشعيبت، فج اليهودي، الريحان، المريجة، الأدوار، الرمليت، عرقوب المشنة، كاف النور، تامجود المعدن، الحوش، الكريوت، ام نعال ماكت مجودت، والذي يملك هذا الوطن أولاد مسعود وأولاد نصر وأولاد حجاز وأولاد أحمد بن نصر وأولاد ستيتت وأولاد ناصر وأولاد عمران واولاد رحيم واولاد دوادي واولاد أحمد وأولاد المرابط والذي يحرث عندهم في هذه البلاد المحامدت، الكلابت الشيانيت، اولاد غزة، اللواتر، بني عمر، بني عيسى، اولاد علي المراسل، اولاد بخزار ... غزوان وبحارة رحال، رعير، وطن التل المذكور في ميتين دوار.

وأيضا وطن أولاد منصور الشيخ احمد بن علي من اولاد منصور الشواكر مليلة، خنقت عون، حمرا الخونت، جنان، واد الحوت، واد العرق، البياضات، سقلاب والذي يحرث عندهم في الوطن المذكور متاع اولاد منصور، العريبة، الهراوت، بني سلامة، الجنابت اولاد عامر اولاد احمد الهواوست العلاونة بني محمد السوارخ في اربعة عشر دوار ويجمع عرشهم الجميع.

وجميع ما ذكرناه من هذه الاعراش كلها من أوله الى آخره الذي يتسوقوا للبستيون الينا من رعيت بونه، البعض منها والكثير من رعاياها لم

يتسوق الينا من بعده علينا، والسلام على من ياقف عليه والرحمة والبركة من اخواننا اهل الامان بالله ورسوله بتاريخ اواخر شهر رمضان المعظم قدره سنة احدى واربعين وألف.

أرشيف الخارجية الفرنسية

مجموعة مذكرات ووثائق الجزائر

ورد في جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث**، الجزائر 1987.

نصّ عدد 55 :

قانون جماعة توريرت عبد الله
مع جماعة اذغاغ املال عرش واضية

الحمد لله على كل حال، والصلاة والسلام على خيركل صحب وءال
لما ان طالبوا مني اهل توريرت عبد الله وأهل اذغاغ املال ان ننقل لهم الوثيقة التي كتبوا فيها عوائدهم التي اتفقوا عليه بحضرة الشرفاء أولاد سيدي سعيد بن الطالب أدركنا الله في عناية السلف والخلف أمين يا رب العالمين امين امين امين. فأجبتهم الى ذلك خفت من الوقوع في النهي لقوله تعالى «ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله »الآية. ولقول النبي (ص) من سأل عالما ولم يجاوب ألجمه الله بلجام من النار.

ومن ذلك : من قام على أحد وخطيتهم درهم لكل واحد إن تضاربوا وإن تلاتبوا (تشاجروا) ولم يتضاربوا فعلى كل واحد ربع. من ضرب أحدا بالعصي او الحجر فعليه نصف ريال وإن رفع بغير ضرب فعليه ربع. ومن تداعيا على الملإ على وجه المشاحنة للصداوسة. فعلى من دعا منهما عليه ربع. وان راصف (؟) وإن ذهب حتى خرج من القرية فعليه ريال. وإن خرجا معا من القرية فعلى كل واحد منهما ريال ... ومن سل خنجرا او سكينا ولم يضرب به فعليه ريالين. ومن ضرب بهم فعليه أربع ريالات. وكذلك الفاس والقادوم والدبوز المرصع بالمسامير ومن ضرب بآلة الحديد المسمى أزدوز فعليه ثلاثة ريالات. ومن تعرض لغيره او خدعه بآلة العود من وقت المغرب الى الصبح سواء كان نائما ام لا فعليه عشرة ريالات... ومن سرق بحيرة البقول والقرعة او الفواكه مثل البطيخ او البصل فعليه خمسة ريالات إن كان في الليل او في النهار. سوى بحيرة البقول في النهار عليه ربع. والمرأة اذا ضربت الرجل فعليها أربعة ريالات وكذلك الرجل إذا ضربها فعليه أربعة ريالات.

والنســاء إذا تلاتين (تشــاجـرن) فـعلى كل واحـدة ربع وكـذلك اذا تضـاربن، ومن تكلم بكلام السفـهـاء في الجماعـة او صـاح بغنـاء فعليـه ريال والرجل اذا ضـرب بالحجر بعض النسـاء فـعليـه خـمـسـة ريالات، ومن رجم دار غيره في الليل او في النهار فعليه عشـرة ريالات. ومن طلق زوجته ثم ردها فـعليـه خـمـسـة ريالات. والمرأة اذا مـاتت فـعلى وليـهـا أربع ريالات وكـذلك زوجهـا، وان كـان لهـا مـالا وتصـدقت به فـيـؤكل جمـيعـا. والشـاهد الواحد لا تأخذ به الجماعـة في الصـدقة. واليـتيم اذا مـات قبل الصيـام وكـان له إخوان فعليـه عشرة ريالات، فان كا أخ لـه فعليه أربعين ريالات، والميت اذا أوصى بأكـثر من الثلث فليس للجـمـاعـة الا الثلث فـقط ... ومن سـرق شـيـئـا من المسجد فـعليـه ثلاثين ريالات، والسـارق يدفع بجـمـيـع مـا سرق لرب السـرقـة، ويزيد عشرون ريالات حرمة بيته ... ومن تعدى في التزويج وتزوج بالمحصنة على وجه الحرام فعليـه مائة ريالات، ومن ذبح (قطع) شجرة او اشـجار فـعليه عـشـرون ريالات سـواء كـان في الفـتـنة او في الامـان ... والارملة اذا مـات زوجهـا تبقى في بيت زوجها فليس لأحد من الورثة ان يـخرجهـا، فـمن طردها من الورثة فعليه عشرون ريالات فان تزوجها بعض العصبة، ولم يحسن معها المعـاشـرة فلهـا ان ترجع الى بيت اليـتـيـم وتنفـرد بحـال اليـتـيـم وتخـتص به، واليـتيم لا يأخذ أحد ماله، وإذا باع شيـئـا من عـقـاره او عـروضه فله ان يرده عند قدرته بعين الثمن ... ومن قـتل أخـاه ظلمـا وعدوانا فـيـؤكل مـال القـاتل جميـعا وامـا مال المقـتول فان كـان له ابن او بنت فـيترك ماله لأولاده وان كـان لم يكن للمقـتـول ولد أو أولاد ذكور فـالجـمـاعـة تأكل مـال القـاتل والمقـتـول ... والمسـافرين اذا سـافـروا فـخرجوا من البـلاد فـبـاع احـدهم غيـره فـعليـه خمسـون ريالات، وزوجـة المفـقـود تبقى ست سنين حتى يدخل عـام السـابع تتـزوج بعـد ذلك، ومن هدم مـا بنوه اولاد سـيـدي سـعـيـد بن الطالب فـعليـه دعـوة التي تلحقهم أبدا يلحقه الشر والهم والفقر والذل وتعسر عليه معيشته هو وأولاده الى أبد الأبد.

وكل مـا ذكـرنا في هذه الوثيـقـة قـد نقلت من الوثيـقـة القـديمة حرفـا بحـرف من غـيـر زيادة ولا نقـصـان ... والناقل لهـذه الوثيـقـة ناسك الحـرمين

الشريفين الحاج محمد أعراب بن عمر بن التواتي الزكنوني، رزقنا الله الخير والعاقبة الدائمة آمين يا رب العالمين والسلام على القارئ والمستمع...

مكتبة اللغات الشرقية باريس،
مخطوط رقم 672،
ورد بـ : جمال قنان نصوص ووثائق **في تاريخ الجزائر الحديث**، الجزائر 1987.

نصّ عدد 56 :

فتنة الدرقاوة

سبب قيام السيد عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بالليل الكساني قاطن وادي العبد، أنه لما ذهب الى المغرب ببني زروال عند السيد محمد العربي بن احمد البوبريحي الدرقاوي وأخذ عنه الذكر. قال له يا سيدي ان بوطننا قوما يقال لهم الترك لا شيء لهم من دعائم الاسلام ويظلمون الناس ولا يعبئون بالعلماء والأولياء ونسأل منك ان يكون هلاكهم على يدي لتستريح منهم العباد، وتطهر منهم البلاد فقال له عليك بجهادهم وقتالهم وأن الله ينصرك عليهم بكاملهم. وظنّ أنّ تلك القولة هي عين النصرة وأنه أدرك لا محالة فخره وكان أخذه ذلك أستاذ يقرئ الطلبة القرآن ويعز اهله ولما أخذ عنه ذلك أجازه في إعطائه للناس فرجع لبلده وترك تعليم القرآن للطلبة لبس المرقعة وركب الكلخ وعلق البيبوش والقرون معه ... وابتدع أمورا يمجها الطبع وينكرها الشرع. اقتدى به كثير من الناس واخذوا عنه عامة خصوصا أهل الصحراء وبقي هو وأصحابه على ذلك ينتمون الى التصوّف والصلاح فسيقت اليه الهدايا من كل فج وظهر صيته بين أظهر الأعراب فدعا أهل الصحراء للبيعة كالأحرار وغيرهم فأجابوهم لذلك وأقام بالأحرار يأمر وينهي فسمع به الباي مصطفى فجهّز له جيشا عظيما وقصده به. فابن الشريف هابط للباي وهو صاعد له الى ان تلاقيا بقرطاسه بين وادي ميناء ووادي العبد، وشعلت نار الحرب بينهما وحمي الوطيس فانهزم الباي بجيشه وأخذ ابن الشريف بجيشه أدبارهم يقتلون ويسبون الى قرب المعسكر وبقيت محلة الباي بما فيها غنيمة للدرقاوة فصار الباي في نكد والدرقاوة في رغد ودخل الباي للمعسكر على غير الحالة المعهودة وعساكره خلفه مطرودة، قال صاحب دار الأعيان كان ذلك يوم الأحد ثامن ربيع الاول

سنة 1219 هـ وقال غيره كان ذلك يوم الأحد ثالث ربيع الأول سنة 1219هـ / 1805م.

محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتحقيق المهدي البوعبدلي. الجزائر 1979، ص 208.

نصّ عدد 57 :

الوباء وطرق التحفّظ منه

... منذ مائتين من السنين والاحتراز على الوجه المسمى كرنتينة موجود في البلاد الفرنجية، وفي بعض بلاد المسلمين، مثل تونس، وطرابلس الغرب وتطوان من مراسي فاس ولم يسمع بوقوع الوباء في تلك البلاد. ولم تخل في الاكثر ماعداها من البلاد الاسلاميّة من الوباء، فالجزائر يتصل شرقيها بتونس كما يتصل غربيها بتطوان وقل ما تخلو الجزائر من الوباء ولم يسمع وقوع الوباء بتونس ولا بتطوان بعد حدوث الكرنتينة فيهما ...

وأنا العبد الحقير وقعت الوباء بالجزائر وأنابها فالتزمت بأقل مما يحتاط الفرنج، فكنت أصلي الجمعة وأحضر الجزائر مع أصحابي وأقاربي من غير ان اقتحم مجتمع الناس ولا امس احدا ولا قماشا، ثم ارجع وابتخر فسلمني الله سبحانه أنا ومن معي، وتكرر ذلك ازيد من عشرين سنة ... وليس في القواعد الدينية ما تترتب عليه الكراهة فضلا عن التحريم، إذ الاحتراز عن مقاربة المرضى بالوباء من جملة الاسباب الجائز أخذ الانسان بها مع اسناد التأثير والسلامة الى الله سبحانه ...

والذي ينقدح لنا، ان اصل تولد هذا المرض، هو تعفن الهواء وتولد السمية فيه كما صرّح به الحكماء ووافقهم عليه طوائف الفرنج فاعتنوا باصلاح الهواء وإزالة العفونات في مصر حين دخلوها سنة 1798 فلم يساعدهم عوام أهل مصر في مقترحهم، وإنّي أتوهم ان تلك السمية الحاصلة من العفونة قد تشتد في بعض الأفراد وتتكون قوتها بحيث تَتَشَبَّثُ بكل ما يجاورها ما يحفظ السمية كالقطن والصوف ونحوهما كما تحفظ الروائح فيكون ذلك سبب لسراياتها بان الله، وأطباء الاسلام لم يقع لهم ممارستها ولا استقراء ما تتشبث به، فلم يصرحوا الا بكونها من الامراض المعدية وأظن انهم لم يتحققوا بماذا تعدى ...

حمدان خوجة، اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء،

تقديم وتحقيق محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر

1988 ص ص 119 و 133 — 134.

نصّ عدد 58 :

تمنطيط

إعلم إن إسم الشيء هو علامته، وكأنه مشتق من الوسم والعلامة أو السمو وهو العلو والارتفاع، وعلم الأسماء هو أول علم علمه الله ولآدم ورفعه في الملائكة، حيث قال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) ... فإذا فهمت هذا فاعلم التمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات، وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والامارة والديانة والرياسة، وانتب بها الأسواق والصنائع والتجارب والبضائع، وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات فهي مورد الركبان ومحشر العربان ورئيسة البلدان، تنصت لسعرها الجيران، ويرد بها الضمآن، وترتئ (كذا) بها التجار في الآونة، ولا يقنع ذو سلعة عرفها الا بسعرها ... وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان بل هي متلاصقة العمران في خط جرم فرسخ أو قريب منه، وحولها أصول وبساتين ماؤها فقاقير، جارية وقلّ فيها ما هو ـانبة، وقد جاء الماء من الجهات الثّلاث شرقا وغربا وقبلة بخلاف غيرها من البلدان ويقال بها ثلاثمائة وستة وستون (كذا) فقارة، منها ما هو جار الآن ومنها ما هو معطل، قيل وقصور عددها كذلك ثلاثمائة وستة وستون قصرا يستضاف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر ...

ابن بابا حميدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديّين،** الموسسة الوطنية للكتاب الجزائر ـ ص ص 13 ـ 14.

نصّ عدد 59 :

سكان القطر التونسي

(ان اصل) أهالي هذا لاقطر هم من البربر وكانوا قبل الفتح إما نصارى أو وثنيين ثم أسلموا كلهم ولا زال في بعض القبائل شيء من عادات النصارى يفعلونه عن غير قصد وهو الوشم بين اعينهم على جباههم بصورة صليب مغير وكذلك استوطن به كثير من العرب واختلطت أنسابهم بالاصليين ثم استوطن به ايضا من هاجر من الاندلس بعد المائة الثامنة وقد بنوا بلدانا بالقطر خاصة بهم وكذلك في ربض باب سويقة من الحاضرة بنوا حارة خاصة تسمى الى الآن حومة الأندلس ومن بلدانهم التي أسسوها سليمان وزغوان وطبرية ومجاز الباب وتستور وكلها مؤسسة باماكن جيدة على شكل حسن متقابلة الطرق واسعتها مستقيمتها واختلط نسلهم بالقاطنين ثم وفد عليهم الترك واختلط نسلهم ايضا بالقاطنين ولكن الاكثر هم النوعان الأولان وديانة الجميع هي الإسلام إلا نحو ستين ألفا من اليهود أغلبهم في الحاضرة وباقيهم متفرقون في أغلب بلدان القطر كما أن في القطر من النصارى الأوروباويين نحو الأربعين الفا من أجناس شتى أغلبهم مالطيون من الانكليز ويليهم الطليانيون ثم الفرنساويون ثم غيرهم قليلا هذا من غير اعتبار المسلمين التابعين للفرنسيس والا فعدد الفرنساويين بذلك الإعتبار أكثر من غيرهم ثم أن الأهالي الأصليين كانوا في صدر المدة على مذهب ابي حنيفة هم وجميع سكان الجزائر والمغرب حتى ولاية المعز بن باديس فحملهم على اتباع مذهب مالك وذلك في حدود سنة 406 وبقوا على ذلك الى ان جاء الترك فكانوا هم ونسلهم على مذهب أبي حنيفة ولذلك كان أكثر الاهالي مالكية وهذا بيان أسماء الأعمال والقبائل والإشارة إلى أماكن إقامتهم : الحاضرة، القيروان، أولاد خليفة من الجلاص جنوبي القيروان، الكعوب والقوازين منهم غربي القيروان، أولاد يدير منهم، مثل السّابقين، أولاد سنداسن منهم مثلهم، كسرى في الغرب الجنوبيّ منهم، الساحل، المثاليث حول صفاقس من غربيها وجنوبها، صفاقس، جربة، الأعراض، نفات في الأعراض، نفزاوة من

الجريد في جنوبه الغربي، الوديان في جنوبه، الحامة في جنوبه الشرقي، توزر في شماله، نفطة في وسطه، الشبيكة وتامغزا في نهاية الجنوب منه، قفصة في شماله، اهل بيت الشريعة من عرب دريد رحَالة ما بين الجنوب الغربي والغرب الشمالي .. إلخ.

محمد بيرم الخامس، **صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار**، دار صادر، بيروت، I،
ص ص 124 ـ 126.

نصّ عدد 60 :

مدينة تونس وحياة أهلها في القرن 17

اعلم أيها الواقف علي هذا المجموع أن لتونس مفاخر جمّة لو استقصيناها لطال بنا المجال وخرجنا عن الحدّ ولكن نأتي من كل شيء بطرف، وقد كانت قبل هذا الزمان في غاية من الشرف، وأهلها في النعيم والترف، وكان محط الرحال، ومبلغ الأمال، إلاّ أن في زماننا هذا تلاشى أكثر نعمتها، ولكن بقيت منها بقية ستتلى عليكم لتعلم بمزيتها.

واذا افتخرت مدينة من مدن المغرب فما أحق الفخر بتونس، وإذا حل بها غريب نال التأنس من تونس.

والدليل على ما كانت عليه من رفاهية في القديم وبقيت آثاره هو أن غالب أهلها لهم جنات وبساتين يخرجون اليها بعيالهم في زمن الصيف والخريف وتكون النّاس في أسواقهم يتعاملون الى آخر النهار ومبيتهم في بساتينهم ومن الغد يبكرون الى البلد ولهذا كان سوق الربع وهو أكبر اسواقهم لا يفتح الا بعد طلوع الشمس وجرت هاته العادة الى اليوم ولهم غير ذلك في الاعياد والمواسم والتفاخر بالأعراس الحافلة واظهار التنعم حتى بالمآتم وناهيك ان اعيادهم مشهورة فمما يستعملونه في أيام العيد من الحلويات والأطعمة التي لا توجد الا في الحضرة : المقروض الذي يتفاخرون به وهو مشهور بينهم لا يحتاج الى تصريف وهو أطيب حلاوياتهم وليس بعده شيء ... وكذلك اللحم الذي يسمونه المروزية نسبة الى مروز مدينة ببلاد العجم يطبخونه بابزار تفوح لها قيمة ويرون أكلها عقيب الصوم من التطيّب.

وكذلك الخبز المعلوم في اعيادهم لم ير مثله في المعمور ويتفاخرون بعظمه ونقاوته حتى ان الرغيف الواحد لو وضع بين جماعة من عشرين فصاعدا لكفاهم ويطول مكث هذا الخبز نحو شهر وأكثر وهو في غاية الحسن.

وسبب تكبيره عندهم له ذكر ... ويغلب على ظني غير ذلك وهو ان حريمهم أي حريم هذه المدينة أكثر إنهما كا من رجالهنّ ويكرهن الامتهان بالخدمة عدّة أيام بعد العيد فلهذا جمعن بين الخبز والمروزية لطول بقائهما.

وكذلك العادة التي جرت بين أهل الحضرة أن مدّة أعيادهم خمسة عشر يوما وهذا المعهود بينهم وجرى العمل به وأدركنا قبل اليوم أن أسواقهم لا تفتح الا بعد تمام الخمسة عشر يوما وتكون أيام تنزهات خارج المدينة وتلاشى البعض وبقي البعض.

ابن ابي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**
تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة :
تونس 1967، ص ص : 304 – 305.

نصّ عدد 61 :

وصف لمدينة تونس

... وللمدينة سبعة أبواب يخرج منها للربضين والابواب المستديرة به من خارج الربضين الان 9 أبواب وقد كان بها 12 بابا سد واحد وجعل مكان اثنين برجان انشأهما المولى حمودة باشا رحمه الله تعالى.

أسواقها كثيرة أعزها سوق العطارين طويل عظيم وسوقا يعرف بسوق السلسلة ويعرف بسوق القماش في غاية الاحكام في البناء وهذان السوقان منهما مدخل الجامع الاعظم وسوق الترك يعمره الآن الخياطون للملابس وبهذا جامع جلل أسسه المرحوم يوسف داي وبه ميضات من أجل ما يرى للمرحوم وسوق يعرف بسوق الجديد انشأه المولى حمودة باشا في غاية الاحكام والاتقان تباع به السلع الرّئيسيّة وسوق البشامقية كذلك وعلى البعض منهما علو لداره البديعة الشكل المضمنة التي اسسها واتقنها وسوق البركة وتباع به الجواهر واليواقيت وانواع الذهب والجواري الا ان بيع الجواري بطل الآن منه كما يباع بسوق الترك الملابس وسائر الاشياء الرفيعة وسوق الرّبع وسمي بهذا الاسم سوقان احدهما يباع فيه غالبا ثياب النسوة وحوانيته معدة لنسج ثياب الحرير والفضة والسوق الثاني تباع به ثياب الصوف الجديدة ما كانت للباس او لفراش وبالاول منفذان لسوق الصاغة ويعمره اليهود وبقيت عدة أسواق كسوق السبابطية والبلغاجية والشبارلية وسوق القرانة وهو كبير يعمّر غالبه اليهود به يباع السكر والقهوة والكاغذ والادهان وما يطيب به الطعام كالفلفل الاكحل والزعفران وآلات القطع كالموسى والسكين والملاعق واوعية النفة وهو من الأسواق المعتبرة في البلاد المحتاج اليها ولا غنى لاحد عنها ... واماكن بديعة كباب البحر فيه انواع الخضر على اختلافها والثمار والطيور ومثله باب السويقة لكنه اقل وباب البحر هذا به فندق الزيت وفندق الوقد، وفندق العسل، وفندق الفول وتباع به سائر الحبوب ما عدى القمح والشعير، ومحل بيع الزبدة والسمن، وهناك سوق تباع به الحبوب كالحمص والدرع والعدس واللوبية وغيره كالسنوج والكمون والجلجلان وما كان على

شـاكلة ذلك يعرف بسوق الزرارعيـة وبه حـانوت ضـخمـة البنـاء مـعدّة لبيع البارود وبه عدّة خانات، كخان القريق وخان الطرابلسية وخان السوسية وخان العجم وعدة حوانت يعمرها النصارى...

محمد بن علي بن سلامة، **العقد المنضد في أخبار الباشا احمد**، المكتبة الوطنية ـ تونس، مخطوط رقم 18618.

نصّ عدد 62 :

المنستير

مدينة على ساحل البحر دائر بها سور له ثلاث أبواب وعلى كل باب منها برج يعرف باسم الباب، أولها قبلي يعرف بباب بريقشة والثاني جوفي يعرف بباب الخوخة والثالث غربي يعرف بذلك، ودون الابراج المذكورة عدة ابراج منها القصبة بها عدة مدافع وبرج سيدي عامر به عدة مدافع وبرج سيدي منصور على ساحل البحر خارج السور به عدة مدافع وكذلك برج القلب به عدة مدافع، وبها باب بالمدينة يعرف بباب الدرب، وجامع خطبة للمالكية يعرف بالجامع الكبير داخل المدينة، وجامع خطبة للحنفية من غير صومعة بالربط وسبعة وعشرون مسجدا منها اثنان بالصومعة ومقام بالقشلة للامام سيدي محمد بن يونس ومقام خارج البلد للامام سيدي المازري ومقام لسيدي عامر ومقام لسيدي ذويب.

ومقام لسيدي الحياص ومقام لسيدي مفتاح ومقام لسيدي بوبكر ومقام لسيدي عمر القلال ومقام لسيدي الهلالي ومقام لسيدي حسن بوطارة ومقام لسيدي بالقروية ومقام لسيدي السراج الحنفي ومقام لسيدي ابراهيم الصافاقسي ومقام لسيدي بوعلي وسيدي بالفضل ومقام لسيدي عبد الرحمان ومقام لسيدي الطيني ومقام لسيدي بوزيد ومقام لسيدي الطرودي، ومقام للسيدة فتحية ومقام للسيدة البرقوية ومقام لسيدي محفوظ وحوطة للسيدة حليمة كريشة ومقام لسيدي محفوظ الغدامسي ومقام لسيدي الغربي ومقام لسيدي منصور وزاويتان لسيدي عبد السلام وزاوية لسيدي عبد القادر الجيلي وأربعة اسواق احدها يعرف بالربع والثاني بسوق اللفة والثالث بسوق باب الجديد والرابع بسوق البلد وحمامان وخمس وعشرون معصرة سلطني وسبعة معاصر ضرب ماء وخمسة عشر طاحونة وألف ومایة وخمسة وعشرون دارا ...

المكتبة الوطنية التونسية، مخطوط رقم 18669.

نصّ عدد 63 :

من عوائد السودان بتونس

[illegible] د لا تتحصر بعدّ وإنما أذكر ما امكن لي في [illegible] ـير والديار، سلطان آلهتهم شر كندو وهو [illegible] تي يجتمعون فيها في شعبان كاجتماع الناس [illegible] ج، وفيها ايضا مطمورة يزعمون ان فيها حية [illegible] سلطان جنّ البلاد والصحراء، وفي تلك الدار [illegible] ـعدّ ولاتحصى، وعريفة تلك الدار ما سمعت كلمة الشهادة عند أحد أبدا إلاّ خاصمته.

وأصل دار كوفة هذه حبس على معتقة اسمها كوفة، وعندهم صنم آخر أيضا يقال له شرك جوار وهو دون الأولى في الرتبة بزعمهم لأن هذا سلطان في بلد فقط، وهو بمكان القايد مع الباشا وهو في دار جماعة كوار وبعد هذين الدارين لهم عجايز يعبدونها ويسمّونها كل واحد منهن عجوزا ...

وفي كل دار من هذين مطمور وآلهة يقال لها «كجبر» ويعبدون تلك الآلهة ويذبحون لها ولا يمسّها أحد منهم الا على الوضوء الكامل، ويزعمون أن كجبر هذه نزلت من السماء وانها كانت عند بلال رضي الله عنه.

ومن صفة عبادتهم انهم إذا أرادوا ان يعبدوا أصنامهم يأخذوا دجاجة حمراء او سوداء او بيضاء باختلاف أصنامهم ثم يأتون بحبوب الجلجلان ومعها غيرها من الحبوب ويبخّرون الدّجاجة ويأخذونها ويطعمونها بتلك الحبوب فان أكلت تلك الحبوب زغرتوا ويكتفوا أيديهم من وراءهم ويسجدوا لآلهتهم ويزعمون أن آلهتهم قد قبلت منهم الصدقة ورضيت بذلك، وإن لم تأكل ساءهم ذلك ويزعمون أن آلهتهم ردّت عليهم الصدقة وسخطت عليهم ... ومن عبادتهم أيضا أنهم يشربون الدماء عند ذبحهم لآلهتهم ويزعمون ان الجان هم الذين يشربون ذلك الدم.

ألا ترى يا أميرنا أن كثيرا من نساء المسلمين دخلت معهم في هذا المنكر ولا يقدر أزواجهم عليهم شيئا ... وألا ترى أيضا أن ضعفاء الرجال دخل معهم في هذا المنكر أيضا، أما رأيت عمل هؤلاء العبيد قد ضلّوا وأضلّوا، وأكلوا أموال بلادك ظلما وزورا، وألا ترى أنهم ياخذون أموالا لا تحصى ولا تعدّ في أيدي النساء لعبادة الجان ... ودخلت نساء المسلمين يسرقن أموال أزواجهم لانفاقها في لعب عبادة الاصنام.

وألا ترى ان كل من اعتقت من الخدم إذا كانت جميلة أو صاحبة مال لا يقدر أحد ان يتزوجها ولا يتزوجها الا بوري حتى تأخذ الخدم مالها ان كان لها مال او يجعلها زوجة بوري وهو الجان الذي في رأسهنّ ...

واجب عليك ان تأخذ دار كوفة، اما ان تبنيها جامعا كما كان النبي يفعل بكل كنيسة او مدرسة لطلب العلم، أو وكالة لعسكر المؤمنين لأنه لا يصح ان يحبّس دار أو غيرها لعبادة الأصنام ... وواجب عليك ايضا ان تأخذ كل صنم من دار كوفة ومن كل دار من ديار جماعتهم وتحرقها بالنار وان تهدّ جميع المطامر التي في ديارهم وأن تجعل منادي ينادي في بلدك أن كل من ذا الخدم يلقين مجتمعات في دار جماعتهم او دار رجل من رجال بلدك من غير عرس ونحوه ان يخبرك لتأخذهن وتعذّبهنّ ... وواجب على كل قاض وفقيه ان يمنع هؤلاء العبيد من نكاح المسلمات ونكاح المسلمين نساءهم بعد ثبوت شركهم ...

أحمد أبي بكر ابن يوسف بن ابراهيم التنبكتاوي
هتك الستر عما عليه سودان تونس من الكفر
المكتبة الوطنية التونسية، مخطوط رقم 9564.

نصّ عدد 64 :

حفلة من حفلات الزنوج بقسنطينة سنة 1862

وقد أتيح لي في اليوم التالي أن أشهد حفلة من نوع آخر، وهي حفلة من حفلات الزنوج التي تعرف باسم الدردبة. فالزنوج والزنجيات يشتهرون بين العرب المؤمنين بالأوهام والخرافات بأن لهم علاقة مباشرة بالجن، تلك الأرواح الغريبة صاحبة المعجزات، التي يؤمن بها كل مسلم صالح، لأن القرآن تحدث عنها يدعى هؤلاء الزنوج أنفسهم أن لهم بها هذه العلاقة وأنهم يستطيعون بواسطة الأضاحي التي يقدّمونها لأسيادهم الخفيّين أن يشفوا أمراض كلّ الذين يشاركون بأموالهم في تقديم هذه الأضاحي. إن الزنوج والزنجيات يشرفون على نوع من قسوسة الأرواح الخفية، «أمراء الفضاء» الذين تحدث عنهم القرآن. ويؤمن العرب الواهمون، وخاصة النساء منهم، بما لشعائر الجن من أهمية كبيرة أما المسلمون الصالحون فيعتبرون هذه الطقوس الزنجية إثما كبيرا، فالقرآن يدعو إلى الإيمان بوجود الجن، ولكنه ينهي أيضا عن التوسل إلى الجن، فالمسلم لا يستمد العون إلا من الله ثم إنّ القسم الأكبر منها شرير وكافر بالله، ولذلك لا يجوز للمسلم أن يقيم علاقة معها رغم أنها قادرة على إحداث المعجزات وتبعا لذلك فهي تستطيع أن تشفي من الأمراض و نهب الكنوز. وهناك قسم صغير من الجنّ يتميّز بالخير والصّلاح لأنّه أسلم ولذلك سمّي باسم الجنّ المسلم ولكنّ هذا النّوع فقد قدرته على إحداث المعجزات أو أنه لا يجوز له، بصفته مسلما صالحا، ممارستها.

وكانت حفلة النذور التي حضرناها، تتكون من حوالي عشرين زنجية، التفت أجسادهن السوداء القبيحة في ثياب مذهبة. وكن يؤدين، على نغمات موسيقى الطبل بالدرجة الأولى رقصة بطيئة حول كرسي في وسطهنّ، جلست فوقه رئيستهن، التي كانت زنجية سمينة عجوز في منتهى القبح، ومع ذلك حاولت أن تتزين، وكان يبدو عليها أنها فرحة بما أحيطت به من احترام وتبجيل، فقد كانت النساء الداخلات كلّهن، زنجيات وحضريات، يقبّلن يدها

في خشوع، وبعد انتهاء الرقص أحضرت الأضحيات إلى وسط الدار، التي جرت فيها الحفلة، فقرأت الرئيسة أدعيتها عليها ثم أدخلت في فم حيوان (وكان عدد الحيوانات يتكون من اثني عشرة نعجة، وأربعة عجول وثورين كبيرين) ملعقة مملوءة بالرز المطبوخ، وبعد ذلك تم ذبح هذه الحيوانات على الطريقة الإسلامية، بمعنى أن رؤوسها قطعت. ولكن بشكل يبقى معه الرأس عالقا بالجسم. وقد تم هذا المشهد المريع تحت صياح الزنوج المجنون، الذي استمر إلى أن جفت الدماء من عروق الاضحيات كلها فغسل فناء الدار وعاد الرقص من جديد ولم ينته إلا في ساعات متأخرة من الليل.

هاينريش فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، الجزء الثالث، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، 1980، ص 48 و49.

نص عدد 65 :

تجاوزات خليفة

العمدة الهمام صاحب المجد الذي لا يرام قطب دايرة الوزارة الأوحد الاحزم الصدر الأمنع مولانا سيدنا الوزير الاكبر سيدنا مصطفى صان الله ذاته وادام في العزّ أوقاته بيمنه آمين السلام عليكم التام والتقبيل براحتيكم الكرام يخصّ جنابكم الأسما ومقامكم الأعلا وبعد فاهم ما لدينا الدعاء لمقامكم بالعز الدايم والسعد القايم وان يجعل جنابكم محروسا ورفعكم مأنوسا بيمنه آمين هذا والذي يجب علينا اعلامكم رعاكم الله هو انه مما ظهر للسيادة ولاية السيد الحاج محمد بن عمر المساكني على عروش السواسي اناب خليفة عنه سي بلقاسم بن علي الساسي التحيمي وحين بلغنا قدوم سي الحاج محمد المساكني المذكور لسوسة قدمنا له وتمسكنا بضريح مولانا سيدي ابي جعفر جعلكم الله في بركاته وصالح دعواته لما أننا نعلم وانه كان حصل لنا من ضرروتهما السابقة بجميع ما فعلاه في المدّة الماضية كما ذلك في علم سيادتنا الوزارة الكبرى فأرسل إلينا وزير البحر محمد خزندار بالامان وقابلناه فتكلم معنا في شأن القايد المذكور ونايبه وأننا لا نخشوا منهما شيئا واطمئنت قلوبنا لذلك وتوجهنا من هنالك على الوجه المذكور ولما نزل النايب المذكور بزمالتنا طلب منا عشرين مطرا سمنا وخمسماية طير دجاج ومائتين علوشا فدفعنا له ذلك ذاكرا وان ذلك الى القايد المذكور ثم طلب علينا الخليفة المذكور زوج أحصنة وثمن كروسة فدفعنا له ثمن الزوج خيل ستة عشر ماية ريال فضة وثمن الكروسة ثلاثة آلاف ريال فضة وجميع ذلك أعلمنا به القايد سي الحاج محمد المذكور وهو اذ ذاك بالحاضرة ويوعدنا بالقدوم الينا وحين قدومه يفصلنا منه مع ان الخطية وادايها يكون على ادنى شيء، والنايب يباشرها بالسجن والضرب الوجيع ويقبل شهادة الزور لأخذ الخطية وأكلها ظلما ومع شدّة الوقت ويقبل شهادة إمرأة وصغير ليتوصل لأخذ الخطية ونحن مفوضون الأمر الى الله الذي لا تخفاه خافية ثم بعد ذلك قدمت لنا قياسة الزرع ومعهما الخليفة المذكور وتابع

القايد علي رويص المساكني فان كان صاحب الزرع يدفع لهما ما يطلبان عيه وهو كل عرش وما يظهر لهما ثمن الخمسمائة ريال الى الألف ريال فضة فيقيدان عليه ما يظهر لهما وإذا لم يدفع لهما ذلك الذي يظهر لهما فيعملان عليه حجّة وانه تسفل معهم ويسجناه مدعيان عدم الضيافة لهما فانفصل العشر مرتبا على ما أراد الله ولما شرعا في خلاص العشر طلب على كل ماشية ثلاثة وستين ريالا وربع فضة فدفعنا لهما ذلك عن كل ماشية مع عدم مطالعتنا عن زمام مولانا دام علاه ولم تأخذوا منه تذاكرا ويدعونا بتشطيب الزمام علينا وخلصا علينا عن كل قفيز من الزرع المجاح الذي لم يثبت ولم يخرج من الأرض اثنين وثلاثين ريالا فضة بحساب كل ماشية واحدة أربعة وعشرون ريالا فضة فدفعنا ذلك اليهم على يد عدول الزمالة القدر المذكور مع ان سيدنا دامت معاليه وسعدت أيامه ولياليه رفع عنا الظلم ولم يلزمنا الآداء على ما ذكره وطرحه عنا ولما قدم لنا الأوضه باشي علالة الساحلي في نازلة زرع سي علي الجلولي الذي كان حصده القايد وخليفته المذكورين مع امناء الفلاحة وعدول القيروان فاستشهد بأناس فان شهدوا له بالباطل فيكون مقربا عنده واذا لم يشهد له بذلك وشهد له بالحق ولم يسعفه فيسجنه ويضربه حتى ان بعض مشايخنا مسجونة بالزمالة كما عاينوها العدول والأوضة باشي المذكورون فكل من شهد عليه بالحق الواضح يقم عليه حجايج وأنه حصد الزرع وصار ساعيا بالفساد وغير تابع للأمر العلي واننا مخلصون في آداء المجابي والعشر مع طاعتنا لأمر مولانا وشدّة انقيادنا لأمره وللحق وانما كان ذلك من الخليفة والقايد ...

فالمطلوب من الله ثم سيادتكم تنهي عنا العامل وخليفته المذكورين عن ظلمهما الباين الذي لا يخفى على أحد...

والسلام من خدامكم وغرسة احسانكم الفقراء الى ربّهم ... الجميع من كبراء عرش المعاطه ... وكتب في أواسط ثاني الجمادين من عام 1290هـ.

الأرشيف الوطني التونسيّ، السلسلة التاريخية،
رصيد الحجج العدلية،
وثيقة عدد : ب 9296

وثيقة عدد 66

كوليرا 1867 بتونس

الصدر الهمام أمير الأمراء جناب الوزير الاكبر سيدي مصطفى حرس الله كماله وادام بيمنه اقباله واجلاله السلام التام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته اما بعد فانه بلغني الاعز كتابكم المتضمن انه بلغ على جنابكم من الكولير الطبيب نكوله على ان بعض ديار بالحاضرة وقع بهم مرض الكوليرا عافاكم الله والجواب سيدي انني ارسلت من يطلع عن حقيقة هذا الأمر فأفاد البحث ان بالمدينة دار يهود صغير جداً وبسقيفة الدار مزبلة وسخ وبالدار المذكورة ثلاثة بيوت كل بيت يسكن بها عائلتين او ثلاثة وبمقتضى ذلك حصلت بالدار رايحة كريهة حتى ان الصحيح اذا دخل هذه الدار يحصل له ألم من تلك الرائحة ويعلو الدار المذكورة بيت تسكنها يهودية وبنتها بكر مرضى منذ يومين وليس في مرضهما ما يدل على الذي بلغ الى جنابكم والمرجو من الله سبحانه ان يداركنا بلطفه ودمتم بأمن الله وحفظه والسلام من الفقير أمير الأمراء سليم رئيس الضبطية بالحاضرة في 13 ذث الحجة الحرام سنة 1283.

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق عدد 69، وثيقة عدد 1، ملف عدد 818.

نص عدد 67 :

وباء الكوليرا بالساحل

الحمد لله في 7 صفر سنة 1284

كتب من خليفة المنستير صالح المزالي الى الصدر الهمام المرفع شأنه جناب المولى سيدي الوزير الاكبر ادام الله عزه ووجوده آمين، نخبر السيادة ان من امس التاريخ ماضي اربعة ساعات من الزوال قد شرعت مرض الكوليرة ببلادنا وهو ان عشية امس قد مرض أربعة اشخاص بالكوليرة منهم امرأة توفيت ويلغني ايضا امس التاريخ ان عشرة أنفار من أهل خنيس قد مرضوا بذلك المرض وتوفوا منهم اثنان وخليفة الجم قد عرفني بجواب ان لما محلة الاعراض تعدات عليه فوضعت عنده خمسة عشر أنفار مرضة وخمسة منهم توفوا والآن ببلد الجم لا من مات احد وجميع ما بلغني في شأن هذا المرض بعد هذا فنعلم السيادة على الفور.

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية،
صندوق عدد 69، ملف عدد 817 وثيقة عدد 5.

نص عدد 68 :

وصف وكالة بمدينة تونس

... وجميع المساحة الارض الكائنة امام فندق البياض وفندق الزرارعي خارج باب البحر من تونس المحروسة وقيسها طولا مقبلا مجوفا مايتا ذراع ثنتان واثنان وثلاثون ذراعا بالذراع المعدّ لقيس الامتعة وعرضا مشرقا مغربا من الجهة الجوفية ثمانية وثلاثون ذراعا بالذراع المذكور ومن الجهة القبلية ستة وثلاثون ذراعا بالذراع المذكور وهي المشترات من جانب بيت المال المعمور ويحدها قبلة خندق هناك وشرقا طريق وجوفا خندق هناك وغربا صور باب البحر وقد أحدث الآن بالوكالة المذكورة بل بالمساحة المذكورة من الناحية الجوفية وكالة كبيرة ذات دريبة وأربعة وعشرين بيتا لكل بيت شباك حديد وباب ذو دفتين اثنان منها قبليات وثلاثة جوفيات أحدهما كبرى مدموسة على سارية وعشرة شرقيات وتسعة غربيات ومن الغربيات اثنان وهما المواليان للدريبة لك منهما منفذ لها ومن الغربيات وهي الثانية من قبلي الدريبة لها منفذ من الطريق عليه ستارة لوح ولكل منفذ باب متعوم وبهاته الأخيرة سدة لوحا على طولها وذات دويرة قبلية وبير بوسط الوكالة ومطلع على درج للسطح وبالزاوية الشرقية الجوفية من الساحة المذكورة قهوة شرقية بها شباك كبير ذو زنار وباب بدفتين ودكان ووجق وكاديك وستارة على مقصات حديد بالطريق وبالزاوية الشرقية حانوت ذو مقصورة وبالمقصورة المذكورة سدة لوح وبناء الجميع حجر وعجنة وسقفه دمس بالتحويلة وقبلي ماذكر فندق مدور من جهتين بالطابية من الجهة الشرقية والقبلية ببقية المساحة المذكورة وله باب ودريبة مدموسة ذات بيتين قبلي وجوفي طول البيت نحو الخمسة عشرة ذراعا فمن وقف على ذلك محددا مقيسا على نحو ما سطر أعلاه في غير هذا قيد به شهادته هنا في أواسط شوال عام خمسة وسبعين ومائتين وألف.

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، دفتر عدد 2279.

وثيقة عدد 69 :

تجاوزات الشيخ نصر بن علي بن جميل

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

حفظكم الله تعالى ورعاكم وأدام مجدكم وعلاكم ... الاجل المرعي المحترم وزير المال سيدنا مصطفى خزندار، أما بعد سلام كريم لايق بمنصبكم الفخيم يليه المعروض به عن شرف علم سيادتكم العلية الخير ان شاء الله على شأن النفر المذكور أعلاه انه كان تفضّل عليه سيدنا ومولانا وولي نعمتنا أمير المؤمنين المشير ألمع الله وجوده بالولاية علينا شيخا ففرحنا به وحمدنا الله تعالى على ما أنعم به سيدنا المشار اليه دامت نعم الله عليه. وفي علمنا انه خديم أولاد سيدي حسين بن علي رحم الله سلفهم وبارك لنا في خلفهم وابن خديمهم وانه بمجرد ولايته بادر لنا بالضّرر والجور والظلم وأخذ منا في العام المذكور عدد زايد على الستة وثلاثين، وقلنا هذا رجل صغير ويرجع على هذا الفعل، فلا زال على هذا الضرر وكم من مرة يأخذ منا مرة حيوان ابل وغنم ومرة دراهم، ومن جملة ضرره الموصوفة ان كيف حلت محلة الأجل الاسعد الأمجد أمير لواء سيدي فرحات كاهية بمحلّته المحمية بوطن الهمامة لرجوع التبعات التي قبل الهمامة (ما نهبه الهمامه) وبسبب ذلك كيف تقع عيانه (معاينة) لاصحاب العيب فتكون خدمة المخزن مثلا مائة ريالا يزيد مثلها علينا ونحن متضيمون من ضرره، المطلوب من فضل سيادتكم العلية لتعرف سيدنا ومولانا هناه الله بجميع ضرره الموصوف كما ذلك قادمة لسيادتكم حجة بالعدالة في طي هذا الجواب حسبما تطلع عليها ان شاء الله ونحن خدامك وغرس احسانك وخدامك وكيف يلحقنا الضرر نرفعوا امرنا لله ثم اليكم لانكم انتم متولون بالرعية وعبيدكم والعبد ملك سيده، ومن جملة الضرر رفع لنا كل ما عندنا من الحيوان لأجل بعض الحقوق وبعضه اخذه منا جوارا وظلما، فشريعة الله ورسوله ان تنظروا لنا بعين الرحمة وترجعوا هذا النفر المذكور وينتهي عن فعله الموصوف، والدار لله ثم اليكم والله سبحانه يبقي لنا وجودكم ودمتم في زمن الله وحفظه.

والسلام من الفقراء إلى ربّهم خدامك كبراء ميعاد الوذاينة من اولاد عبد الكريم اولاد عزيز محمود بن حميد ومحمد بن محمود وابراهيم بن الحاير وعلي بن عمارة وصالح بن علي وصالح بن نصر ومحمد بن الزهاني ونصر بن خليفة وعلي بن نصيب ونصر بن علي ومهذبي بن سيرة والغايع بن محمد ومحمد بن عبيد وبوعزيز بن عبد النبي وعمارة بن عمر ومن معهم يطول ذكر وكتب عن إذنهم في أواسط رمضان 1278هـ / 1861م.

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية،
صندوق عدد 18 ملف عدد 205 وثيقة عدد 16188.

وثيقة عدد 70 :

بين القادرية والعيساويّة

الحمد لله

آدام الله سعادة جناب الصدر الهمام المفخم أمير الأمراء الوزير الأكبر سيدي محمد أكرمه.الله تعالى بأجل إكرامه وحفه بسوابغ إنعامه أما بعد السلام التام ... فالمنهى اليكم اسبغ الله نعمه عليكم هو أنه كان ورد علينا مكتوب من جناب الوزارة الكبرى مؤرخ في 20 من الشهر المنصرم وعدده 271 مضمونه أنه عرض على الحضرة العليّة سليمان بن سليمان الغطاس البنزرتي أن خليفتنا تعرض لتلاميذة الشيخ سيدي عبد القادر الجيلي نفعنا الله به ومنعهم من ضرب البندير والطار والنقرات حال انشادهم بمدح الشيخ المذكور في زوايته الكاينة ببنزرت كما منعهم من الوقوف لذكر الله تعالى معتذرا بأن ذلك من خصائص الطريقة العيساوية وصدر الإذن العلي بأجرايهم في ذلك على عاداتهم. والجواب عن ذلك : أما أولا فإن خليفتنا المدعين عليه بالمنع فإنه بريئ مما ادعوا عليه وأن التحقيق في النازلة هو أنه كان وقع نزاع بين أهل تلامذة الطريقة العيساوية بالبلد المذكور وبين تلامذة زاوية الشيخ سيدي عبد القادر الجيلي نفعنا الله ببركتهما الكاينة بحومة سيدي عنان فمنعم مما ذكر إذ الزاوية المذكورة حادثة وأحدث بها تلامذتها أمورا ليست معتادة بزوايا الشّيخ السّالفة بالمكان مثل ضرب البندير ووقوف الحضرة والعلفة ... للتلامذة محتجين عليهم بأن ذلك من خصايص الطريقة العيساوية وكثر بينهما في ذلك النزاع إلى أن بلغت نازلتهم للحضرة العلية. وصدر إذن علي لنا بمنعهم من ذلك ما عدا الطار والنقرات اللذين هما أصل في إنشاد الطريقة المذكورة وما عدا ذلك لم يقع في غيرها من زوايا البلد المذكور السالفة وبموجب صدور الإذن المذكور لنا خاطبناهم بإتمام ما صدر به الإذن المذكور فلم يمتثلوا ولا زالوا على حالتهم الى الآن. ثم إنّ أهل

الطّريقة العيساويّة أقاموا حجّة بالعدالة بشيخي زاويتي الشّيخ سيدي عبد القادر السّالفتين بالبلد المذكور ومن معهما من أعيان الزاويتين في أن من خصايصهم إجتماعهم كل جمعة بعد صلاة العصر وقرائتهم لأحزاب الشيخ وضرب الطار والنقدات حال الإنشاد ...

والسلام من الفقير إلى ربه أمير اللواء مراد عامل بنزرت وغار الملح عفى عنه في 10 شعبان الأكرم 1294 هـ (جوان 1877).

الأرشيف الوطني، السلسلة التاريخية، صندوق عدد 33، ملف عدد 393، وثيقة عدد 65.

نص عدد 71 :

إغارة الهمامه على قرية القصر

الحمد لله هذا تلخيص مشتمل عن حجج جماعة أهل القصر عن إذن الشيخ الفقيه النبيه أبي عبد الله محمد العبيدي ابن المرحوم الفقيه حميدة قاضي قفصة وعملها في التاريخ الواضح طابعه أعلاه وذلك للمقابلة به لسيدنا ومولانا المشير ايده الله نصر الحمد لله توجه شهيداه عن إذن من يجب اعزه الله قاضيا بقفصة وساير عملها في التاريخ باستدعاء من المكرمين الحاج علي بن توحي والحاج علي الصالح بن صغير ومن معهم من عرش الشوامخ والقاري الحاج احمد بن خديم الله والحاج ابراهيم بن الحاج مبارك ومن معهم من عرش الشقران وعلي بن مبروك والقاري جديدي ابن كليلان ومن معهم من عرش كدالة وبلقاسم بن مبروك ونصر ابن الغربي ومن معهم من عرش القبايل وعلى بن عزيزة وتليلي بن محمد ابن سالم ومن معهم من عرش الردود الجميع من قرية القصر صحبة من لهم معرفة وبصارة بالتقويم والتقدير وهم المكرمون الطيب بن مبروك من احفاد الشيخ سيدي سلامة نفعنا الله به آمين والمرابط الحاج احمد بن عبد الله والمرابط محمد بن بلقاسم ... فجدينا معهم السير الى ان وجدنا جمع غفير لم تحصوا عدده نساء بل رجالا ونساء كبارا وصغارا مع جميع أعمامهم متقلدين بأسلحتهم وبعضهم راكبين على خيولهم حالين لخيامهم بإزاء الجر المذكور من جرهم والذي يجدوه خارجا من البلد المذكور رجالا ونساء وسعيا ينهبوه ويصرخوا عليه بالبارود والرصاص وصاروا أهل البلد المذكور منحصرين في أمكنتهم من سبب ذلك لم يقدروا على الخروج من يوم حلولهم به، فلما كان ذلك كذلك طفنا بالجر المذكور طوافا شافيا وتأملا كافيا وجدنا الجم الغفير المذكور بعضهم متعلقين برؤوس شجر الزيتون المذكور وينهبوا حبه وبأيديهم أعدلة ومزاود وغير ذلك والبعض يكسرون فيه لأكل أغنامهم شيء كثير ملقى على الأرض مما لا يفعله العاقل... وهم أولاد زيد من أولاد معمر ... ومن

العكارمة ... وأولاد ثليجان ... ومن أولاد عزيز ... الجميع هجموا على الجر المذكور ونهبوا من أجنة عرش الشوامخ المذكورين أعلاه جملة ذلك سبعة وخمسين بند زيتون وسبعين عديله قطانية صفرا وثلاثين ويبه وثمنه فول ومابة وخمسين حوض لفت ونهبوا ايضا من اجنة عرش الزمازمه احدى وسبعين بندا زيتون وربع بند وأربعين ويبه فول وخمسماية حوض اسفنارية وخمسماية وعشرين حوض لفت ... ونهبوا من محمد برقه زوج برنوص وحولي وجبه صوف من عمل الجريد بالحرير وكبوس وعمامه ومحزمه ونهبوا لسالم بن علي حولي وكبوس ... وجميع اللفت والسفنارية والفول المذكور أكلته أغنامهم ولم يبق له أثر وحضر الامناء المذكورين أعلاه وشهدوا على معنى النقل عنه والاشهاد الصادر منهم أنهم كانوا قبل نزول الهمامه المذكورة قرب البلد المذكور قدروا فيها ما قدر أعلاه حسبما تضمن تقدير ذلك بل تحصير ذلك أبناء وتقويما لأجل خماسة الأجنة المذكورة لهم علم على كل بند خمسين ريالا لكون قيمة البند أربعمائة ريالا فضة كل ذلك في علمهم وعليه قيدت شهادتهم ... وعرف ذلك بتاريخ أوائل رجب من سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف.

الأرشيف الوطني، السلسلة التاريخية، رصيد الحجج العدلية، وثيقة: ب 10602.

وثيقة عدد 72 :

حساب المطالب التي على أولاد سنداسن وعدد زمايلهم على يد فرحات نايبا عن الحاج سالم سنة 1124 هـ

دنانير		زمايل
2292	على أولاد شهيب مجبا	
328	على الفريوات مجبا	131
1215	على النقاقصة مجبا	486
756	على أولاد زايد مجبا	302
390	على أولاد عامر مجبا	156
702	على الهدايا مجبا	281
703	على المساعيد مجبا	281
382	على الصوال مجبا	153
412	على القضول	165
1126	على الجريرات	480
1232	على المحافيظ مجبا	653
944	على أولاد حمد	378

100 على بيت الميهوب وبيت عمار بن الذوادي قصطعه

50 على بيوت أولاد أم قرير الذي كانوا مع السلالمه مجبا

250 وقبل الهدايا النصف الثاني من دية الرجل الغربي

44 وعلى كافة أولاد سنداسن ضيافة الباشا

1750 وعلى المحاير حق 172 فرس عاده هذا العام.

50 وحقّ نصف فرس عاده على أولاد حمد من هذا العام في مقابلة نصف الفرس الذي استرفع بها علي بن عبد الرحمان،

100 وقبل أولاد هويمل حقّ فرس عاده من هذا العام.

150 وخطية على الرجاله الذي جرحوا أولاد نويل في واد كسره.

500 وخطية على أولاد سنداسن على أخذهم لدريد في واد مرق الليل.

المخرج اللازم :

10 ترك على الفقيه أحمد عوينه

100 ترك على الذي قتلوا الحماده

23 ترك أدابيت سالم بن موسى وموسى بن موسى وعلي بن موسى.

دنانير :

365 حقّ 300 شاه لمحلة الشتا في قبض محمد بن عمر سوم الشاة ثلاثة أرباع

50 تذكرة سيدنا احسان لمحمد بن ابراهيم المسوسي

10 تذكرة سيدنا لعياد بن سليمان على دية سالم بن مستور

الخارج للصبايحية

6700 تذكرة سيدنا لمصطفى آغة لشمرة الكافية وراتبهم عن محلة الصيف.

الأرشيف الوطني، السلسلة التاريخية

دفتر عدد 3 لسنة 1712 / 1711 ص ص 187 . 188.

نص عدد 73 :

مصادرة أملاك الثائرين من القبائل سنة 1864م

الحمد لله بعد أن ورد مكتوب من الهمام الأسعد المفخم العمدة امير الامراء سيدي رستم رئيس المحلة المنصورة بالله مضمونه الحمد لله الأجل سي سالم قايد اولاد يعقوب السلام عليكم وبعد.

مذا بك تحضر كافة المشايخ من أهل عملك وتنتخب عدلين ثقة لتقيدوا مكاسب جميع الانفار المسجونين من أخوتهم الذين مسكوا في الحرب ولا يبقوا منها شيء حقيرا أو جليلا منقولا وغير منقول وكذلك الانفارالمطلوبين للدولة المسجونين في المال الذي عليهم والانفار الذين هربوا خارج العمالة أما مكاسب المحاربين فبادروا بتوجيه المنقول منها مع تقييدها وغير المنقول ضع عليه يد الحوز للدولة ومكاسب المطلوبين توجه تقييدها وتبقى المكاسب في وجهك وعلى نظرك الى ان يخلصوا فيما عليهم او يرجع ذلك لجانب الدولة واما مكاسب الفارين من عملهم وجه لنا تقييدها وضع عليها يد الحوز لجانب الدولة من الآن ونؤكّد عليكم في تحرير التقاييد والتثبت فيها بغاية الجهد وان اتضح مخلف شيء من بعد ذلك فانت المؤاخذ به ولا تلوم الا نفسك والسلام من الفقير الى ربه اميرالامراء رستم وفقه الله في 23 قعدة 1281.

بموجب الاذن المذكور بادر الاجل سالم المذكور بتقييد كسب المكرم معمر بن صالح اليعقوبي من أولاد ماضي وأخيه احمد عرف ضو الفارين من العمالة من مطالب الدولة العلية فحضر قريبهما المكرم احمد النوري بن عبد الله وذكر انهما يكسبان اثنين وثلاثين بيتا من ذباب النحل يخصّ معمر من ذلك بيتين والباقي لأخيه ضو المذكور وان جميع ذلك تحت يد علي بن عمر الفرشيشي من أولاد عسكر وأخيه صالح والى معمر المذكور وحده النصف من اثنين وثلاثين بيتا من ذباب النحل ايضا في شركة منصر بن محمد

الصالح التابعي وانهما يملكان الثلثين على الشياع من أرض بيضاء معدة لحراثة الزرع كاينة بباطن الزوارين يحدها قبلة وادي سيدي بن هيشة وشرقا الجبل وجوفا وادي جوف المقاطع وغربا طريق يعرف بطريق أولاد مناع مشتملة على سانية مشجرة بكرم التين والعنب والهندي وغيره مع قطعة أرض مسلمة بيده من المكرمين محمد يونس ابني زهمولي اليعقوبي بالمكان قرب هنشير بوعشه على وجه الرهن في مال يجهل عدده يحدها قبلة الارض المحدودة قبلها وشرقا الطريق المار وجوفا أرضا على ملك التوابع وغربا الطريق مع قطعتين احدهما تعرف بأم العيال بالمكان على ملكهما يحدها قبلة نفيضة تعرف بكهف العرآسة وشرقا عرقوب فاصل بينهما وبين أرض التوابع وجوفا أرض احمد النوري المذكور مسلمة بيده على وجه الرهن من ربها المكرمان عمارة بن عمار القبيل واخيه ابراهيم بن بالضياف في عدد لم يعرف عدده مع أرض تعرف بالغزالية كاينة ببحيرة الزوارين مسلمة بيده على الوجه المذكور من احمد النوري المذكور في سبعماية ريال تونسية صغرى يحدها قبلة مسرب يعرف بروس الحدود فاصل بينهما وبين أرض التوابع وشرقا أرض احمد العيفة بن صالح وجوفا أرض السيد الباي وغربا ارض عمارة بن علي القبيل مع أرض تعرف بالغزالية ايضا بالمكان مسلمة بيده على الوجه المذكور من ربها احمد بن العيفة القبيل المذكور في عدد يجهل قدره يحدها قبلة المسرب المذكور وشرقا أرض احمد زهمولي المذكور وجوفا أرض التوابع وغربا أرض النوري المذكور مع أرض بالمكان مسلمة بيده أيضا على الوجه المذكور من ربها محمد بن زهمولي المذكور في مال لا يعرف قدره تحديدها تحديد القطعة الاولى المشتملة على السانية المذكورة ثم أشهد أحمد النوري المقيد المذكور انه لا يعلم للأخوين المذكورين كسب ولا ملكا سوى ما ذكر ولا لأحد في الملك المذكور معهما سوى أخيهما رابح وانه يحوزه بالوقوف عليه متى طولب بذلك ثم توجه شهيداه باستدعاء من القايد المذكور كما له من الاذن الصادر ممن ذكر صحبة الاجل المرعي ابي عبد الله اخيه محمد لتعيين الأراضي المذكورة فلما بلغنا اليها طفنا بها وبنواحيها صحبة المقيد المذكور ووضع الاجلّ محمد المذكور يد الحوز عليها المعد شرعا للجانب العلي بالنيابة عن أخيه بتوكيل منه له على ذلك تلقاه شهيداه منه مشافهة وبقي الكسب

والملك تحت يد المقيد المذكور على نظر العامل المذكور للوجه المذكور اعلاه فقد حذّر العامل المذكور أحمد المذكور عقوبة من أخفى شيئا من متاع المطلوب للدّولة العليّة تحذيراً كليّا فأجابه إن ظهر شيء عندهما سوى ما ذكر فهو المطلوب بذلك لمن ذكر شهد عليهم بذلك حالا لصحة والطوع والجواز والمعرفة بتاريخ الرابع من حجة الحرام عام 1281.

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، رصيد الحجج العدلية وثيقة بـ 8882.

وثيقة عدد 74 :

مدينة تونس في أواسط القرن XIX

مدينة تونس مدينة كبرى تعدّ حوالي 180000ساكن منهم وعلى وجه التقريب 120000 مسلما و40000 يهوديًا و20000 أوروبيا يتكوّنون من 12000 إيطاليّا و5000 بين مالطيين ويونانيين والبقيّة من الفرنسيين والإنكليز والألمان. وهناك على الإجمال حوالي عشرة أطبّاء قد يكون فيهم ثلاثة من ذوي الكفاءة حقا. وحتى إذا اعتبرنا أن المسلم، بحكم استسلام للقدر، لا يجنح كثيرا إلى اللجوء إلى الأطبّاء، فأن هذا العدد غير كاف لسدّ الحاجة لاسيّما بالنظر إلى العدد الهائل من المصابين بأمراض العيون. وحصل يوما وأنا أجوب شوارع المدينة رفقة السيّد فانز أن توقفت لأتفحّص بصر أحد المارّين فما راعني إلا وجموع من العرب واليهود والمالطيين يلتقون حولي ويترجّون أن أعالجهم.

مدينة تونس هي أعجب مدينة اعترضت سبيلي ألى حدّ السّاعة. وما خطر لي قط أنّها تتسم إلى هذا الحدّ بطابع إفريقي [مغاربي] أصيل. وليس للمدينة سوى طريق واحد تتيسّر فيه حركة النّقل، كان في الأصل يربط بين المدينة وأرباضها. هذا ويوجد طريق آخر يستعمله الباي للتّنقل بين قصره باردو الواقع خادج المدينة وقصره داخلها. أمّا في بقية الأنهج فإن النشاط التجاري كثيف بصفة أنه يتعذر استعمال وسائل نقل أخرى غير الإبل بالنسبة إلى أوسعها والحمير فيما دون ذلك أو اللجوء إلى حمّالين من البشر بالنسبة إلى أضيقها. ومن هذه الأنهج ما لا يتسع لأزيد من شخص واحد ويصعب المرور إن وافق أن تعارض اثنان. وغالبا ما تكون هذه الأنهج مغطّاة وقاية من الشّمس وذلك إمّا بسقف مقوّس وإمّا بطبقة من القماش ممّا يجعلها دائمة الرطوبة . ولكلّ طائفة من الحرفيين نهج خاصّ بها، مثال ذلك الأساكفة الذين يعرضون بوفرة أخفافا مطرّزة جميلة المظهر من الجلد الرقيق

الملوّن، والسرّاجون البارعون في صناعة منتجاتهم من الجلد المطعّم والنسّاجون الذين ينتجون منسوجات يدوية من الحرير والصّوف وغير ذلك والحدّادون الذين تراهم لضيق ورشاتهم في حفر في الأرض إليى جانب سنادينهم، إلى آخره. أمّا المتاجر التي تباع فيها المصنوعات فإن أصحابها في الأغلب من اليهود.

وفيها تعرض بوفرة أصناف من البرانيس والمنسوجات الحريريّة والصوفيّة وأقمشة على مختلف أنواعها. وهناك أيضا أعداد غفيرة من الصّاغة وصانعي الأسلحة وسوف أعود في مناسبة أخرى للحديث عن كلّ هذا بالتفصيل.

وممّا يلفت الانتباه أنّ الشّوادع تغمرها الأوساخ ويطغى عليها الغبار كما إنّ ربع المدينة لا يعدو أن يكون مجرّد أنقاض وخراب. لكن نلاحظ حاليّا حركة بناء كثيفة يتولّى أوروبيّون الإشراف عليها. من ذلك منشآت لنقل المياه علما أن ما تعوّد أهل تونس على شربه إلى حدّ الآن هو ماء الأمطار المصفّى. هذا رغم وجود حنايا عظيمة أنشأها الرّومان لسقاية قرطاج وأخرى جعلها الإسبان لتزويد مدينة تونس بالمياه، تكاد تكون إلى اليوم في حالة حسنة. وتفصل مدينة تونس عن البحر بحيرة كبيرة الاتّساع يتطلّب عبورها ثلاث أو أربع ساعات. ولئن راق للزائر من أوّل وهلة مظهر المدينة العام، بمساجدها ومنازلها البيضاء، فإنّ الانطباع لا يلبث أن يتغيّر سلبا عند معاينتها من داخلها.

وحدث خلال إقامتي بها أن التقيت شخصا غريب الأطوار أرجوكم الاعتناء بأمره إنّه مسيحي مرتدّ أصله من مدينة «فاربان» (Werben)، كان اسمه «كروغر» ويدعى اليوم محمد بن عبد الله وهو رجل في الرابعة والخمسين من العمر قضّى حياته من زلة إلى أخرى ومن إثم إلى آخر إن شئتم فقد تعمّد قبل ثلاثين سنة مضت الهروب من الجيش البروسيّ. غير أنّه وكما أكّد القسّ فاتّر بناء على متابعته الطويلة له، أصبح في جوهره مستقيما واستبقى في قرارة نفسه نصيبا من أصله المسيحيّ. ولقد عمد أيضا قبل مضيّ ثلاثين سنة إلى الفرار من صفوف الجيش الفرنسي بالجزائر وتاه في الصّحراء إلى أن رمت به الأقدار من زمن في تونس.

وهو حاليًا في خدمة الباي ومن حرس بابه، متزوّج من امرأة مسلمة واحدة ويتمتع بدخل قارّ وإن كان زهيدا وما انفكّ يحدوه شوق أكيد إلى مسقط رأسه وعائلته ودينه الأصلي لكنّ محاولاته السابقة للعودة من حيث أتى باءت كلّها بالفشل وكلّفته، باعتبارها محاولات هروب، عقوبات بالضّرب وبالسّجن. وقد تقدّم به العمر اليوم فلم يعد قادرا على القيام بمحاولة جديدة مضمونة النّجاح المرجوّ منكم أن تسترشدوا فورا إن كان أخوه (الذي يعرف بـ «بير كروغر» ومن المرجّح أن يكون اليوم حسب تقديره في سنّ الخامسة والسّبعين) لا يزال على قيد الحياة بمدينة «فارين» (شارع «زايهوزر شتراسّه»). أرجوكم أن تلبّوا هذا دون تأخير فالرّجل يمتلكه شوق عارم ولم يتيسّر هذا البحث فيما مضى نظرا لأنّ القنصل البروسي أحجم عن التّدخّل في هذا الشّأن بحجّة أنّ المعنيّ من خدم الباي ومن رعاياه المسلمين. بودّي أن أوافيه في أقرب الآجال بالخبر المرتجى ولا أظنّكم سوف تلقون صعوبة في الحصول عليه باللجوء إلى قسّيس المكان.

ستأتيكم رسالتي الموالية من هذا المكان [عنّابة] وفيه أتقبّل ردكم لكن فيما بعد كاتبوني بتونس دون حاجة إلى إضافة عنوان بما أن الكلّ يتسلّم ما يصله من رسائل مركز البريد الفرنسي فما هناك مؤسّسات بريديّة محلّيّة ولا سعاة بريد[...]

من رسائل الطبيب الألماني غوستاف نختغال،
رسالة بتاريخ 18 ماي 1863،
تعريب منير الفندري

نص عدد 75 :

تهيئة فضاء مدينة تونس
كما يراه الجنرال حسين

أيها الوزير السعيد ذا الرأي الرشيد ... فان عبدكم الداعي يتشرف باعراض معروض مجلس النظر في مصالح مدينة تونس المحروسة على مقامكم السّامي ... ويرى نفسه سعيدا حيث شرفه الزمان وجعله في خدمة الساعين لأسباب العمران ولا يخفى على معلومكم ادام الله عزكم ان كل مملكة يتوقف عزّها وشرفها على جملة مصالح عامة وخاصة فمن المصالح العامة عمران البلاد بالحرث والزرع والبناء وتمهيد المسالك وإنشاء الجسور وتأمين الثغور وإقامة الجيش وتيسير أسباب المعارف والعلوم والمعاملات ومن المصالح الخصوصية ما يؤول الى أبهة الملك كانشاء القصور واتخاذ الحشم والمراكب وما اشبه ذلك وربما اجتمعت المصلحتان معا في أمر واحد وذلك كتعمير قاعدة البلاد وتنظيم شأنها وتسوية أمورها فان المصلحة العامة فيه هي اكتساب اهلها اسباب الراحة وأما المصلحة الخاصة فتكون قاعدة المملكة للملك هي بمنزلة قصره الذي يسكنه فكلما كان في القاعدة شيء يسرّ الناظرين فانما يعود الى شأن الملك ويكسبه الحمد والثناء ولا يغرب عن معلوماتكم الشريفة أنه قد أصبح أكثر من ثلثي هذه المدينة خرابا وأصبحت جدرانها أبوابا والتهدم باد حول المساجد والمعابد، أيحسن بنا سيدي أن نبقيها على هذه الحالة او ان نوكل أمرها الى يد ضعيف يعجز عن جمع بنائين ولا يظفر بالقليل من مداخيلها إلاّ بعد المكابدة في الطلب شهرا او شهرين فهلا تعينونه بقوّة تناسب همتكم العليّة وهلا يلتفت الملك الى هذه المصلحة بالتفاتاته المرضية او ليس اعتناءه أدام الله دولته بهذه الامور والحالة هذه أوكد من الاعتناء بالجيوش وان ما يحصل من وجود 500 عامل

يعملون بالمدينة ما يكسبها العمران والنظافة من النفع لا يحصل بكثير من أولئك.

قال بعض العقلاء : إذا أردت ان تعرف الى أي درجة من التمدّن بلغ أحد الأجيال لتعلم مقدرتهم وعزمهم فلا ينبغي أن تنظر الى مصروفهم او حصونهم او مدافعهم او مراكزهم او عساكرهم او زخارفهم فان أحدّ العيون بالنظر تغشّ وانما ينبغي ان ننظر الى امارتين اكيدتين أولهما التعليم العمومي اي ساير الصناعات والثانية كيفية المواصلة في المعاملات كدعوة الى الاهتمام بالعمران كأساس النهضة.

الجنرال حسين 12 اشرف الربيعين 1275

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق عدد 55 ملف عدد 606.

نص عدد 76 :

تقييد تركة

الحمد لله بيان حصر تركة المكرم الحاج عامر بن عمار بن محمد العيادي السعداني بذكر المكرم الشيخ محمد بن حامد شيخ جماعته في التاريخ وابناء عمه المكرمين نصر بن عمار بن احمد وهلال بن بوالاعراس ومحفوض بن عبد الله الجميع من القبيل وعلي بن محمد بن سعد.

أولّ ذلك بيت شعر متمومة وزوج غراير وسرج متموم وسطل نحاس وأربعة مزاود اثنين منهما قمحا واثنين شعيرا وقصعة وزلفة وحصير وفاس من حديد وقربة ومغرفة.

وقطعتين أرض كاينتين بالجوف الأولى تعرف بالدمنة الظهرية والثانية تعرف بفدان طلحة الجميع ربع ماشية مبذورين قمحا وشعيرا وثلاثون اصلا زيتونا يعرف بالقناطر.

وله ثلاث قطع ارض تحت يده باربعماية ريالا وعشرة ريالات صغرى تونسية مرتهنين من غيره.

الحمد لله بعد ان صدر الاذن من الوجيه الزكي الاشمل الأعز المحترم السيد رستم امير الامراء الوجيه الاكمل الأعز الاشمل السيد محمود بن سعد القايم المقام وقايد اولاد عيار في التاريخ في حصر تركة المكرم الحاج عامر المذكور بالفصل الأول توجه شهيداه بالاذن من السيد محمود المذكور صحبة تابعه المكرم صالح بن محمد العياري الشعيبي لحصر ما ذكر فلما بلغ شهيداه خيمة الحاج عامر المذكور بالمكان حضر لدينا المكرم الشيخ محمد بن حامد وابناء عمه المذكورين بالفصل الأول وحصروا لنا جميع التركة المذكورة وبينوها لنا كما في الفصول الخمسة المذكورين اعلاه تبينا تاما وان جميع ذلك

تحت يد الشيخ المذكور شهد عليهم بذلك وهم بالحالة الجايزة وذلك بتاريخ أوايل ذي الحجة عام 1281 احدى وثمانون ومايتين والف ...

الأرشيف الوطني التونسي،

السلسلة التاريخية، مجموعة الحجج العدلية

وثيقة عدد : بـ 8911.

نص عدد 77 :

تقييد تركة

الحمد لله توجه شاهده الآغة والشاوش والسكساغجي لتقييد مخلف المرحوم حسين بن محمد التركي من دار ازن علي باش حانبة بالدريبة كان المتوفي يوم تاريخه المدعي بعصابته حفيده للاخ المكرم سليمان بن شقيقه أحمد بن محمد الجد الجامع وعارضه باش خوجة الديوان بان تقيد تركته حتى ياتي بحجة صحيحة شرعية فتح بيته بعلو فندق اسطا مراد بالعطارين فرفعت المكحلة للديوان المنصور على سبيل العادة وقيدنا على حفيده الاكرم يطغان وثلاثة بشطولات واحدة بها كبستان فضة وزوج خدامي قديمتين ... مع اربع بقارج صغار نحاس وطبق نحاس صغير به تسعة فناجن قديحي وحكة لولب بالبن مع بقراج قزدير مع طبق صغير نحاس مع ثلاثة فياشك وزوج حكك فارغتين مع طنجرة نحاس صغيرة بغطاها مع ثمانية تباسي نحاس منها اثنان صغيرين مع زوج بقارج نحاس كبير وصغير مع رحا قهوة مع كليم وزوج زرابي للصلاة واحدة تلمساني وواحدة عمل بر الترك مع زوج سفاسر لبسين مع سروال أزرق واثنين آخرين ملف أزرق ايضا مع فرملة ملف قديمة مع برنس بيدي مع مضربة صغيرة مع مربول دلك مع سروال ملف قديم مع سروال دلك مع فرملة بالفضة مع ماية ريال واحدة وخمسة عشر ريالا دراهم جمعت من قراطس بصندوق سروال صغير جديد مع ثلاث صناديق قديمة فارغة مع ثلاثة وعشرين ألف ربطة دخانا ديون على أربابها برسوم عليهم بالعدالة مع ثلاثة آلاف ريال وستماية ريال واثنين ريال دينار على عرب الدخلة برسوم وازمة ومخزن به زوج برامل فارغة وقدر ريالين نحاس والمخزن المجاور لمكتبة الجمل به سبعة عشرة شبكة دخان والمخزن الثلث المجاور له به دخان من التَنبكتيّين

قدر اثني عشر شبكة لم يبقى الجميع تحت يد حفيده المذكور وذلك بتاريخ اليوم الثاني عشر من شعبان المكرم عام 1203.

الارشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية،
صندوق عدد 63 ملف عدد 714.

نص عدد 78 :

إلغاء الرقّ بتونس

الحمد لله حفظكم الله تعالى ورعاكم ونوّر هداكم الفضلاء الأعيان الأخيار العلماء الكمل هدات الامة ومصابيح العلى احبابنا الشيخ سي محمد بيرم شيخ الاسلام والشيخ سي ابراهيم الرياحي باش مفتي المالكية والمفتيين الشيخ سي محمد بن الخوجة والشيخ سي محمد بن سلامة والشيخ سي أحمد اللابي والشيخ سي محمد المحجوب والشيخ سي محمد الخضار والقضاة الشيخ سي محمود بن باكير والشيخ سي محمد البنا والشيخ سي محمد النيفربباردو والشيخ سي فرج التميمي بالمحلة، أكرمهم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فانه ثبت عندنا ثبوتا لا ريب فيه ان غالب أهل أيالتنا في هذا العصر لا يحسن ملكية هؤلاء السودان الذين لا يقدرون على شيء على ما في أصل صحة ملكهم من الكلام بين العلماء إذ لم يثبت وجهه وقد أشرق بنظرهم صبح الايمان منذ أزمان وأن من يملك أخاه على المنهج الشرعي الذي أوصى به سيد المرسلين آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالأخرة حتى ان من شريعته التي أتى بها رحمة للعالمين عتق العبد على سيده بالاضرار وتشوف الشارع الى الحرية فاقتضى نظرنا والحالة هذه ورفقا باولئك المساكين في دنياهم وبمالكيهم في أخراهم أن نمنع الناس من هذا المباح المختلف فيه والحالة هذه خشية وقوعهم في المحرم المحقق المجمع عليه وصدّ أضرارهم باخوانهم الذين جعلهم الله تحت ايديهم وعندنا في ذلك مصلحة سياسية منها عدم الجايهم الى حرم ولاة غير ملّتهم فعيّنا عدولا بسيدي محرز وسيدي منصور والزاوية البكرية يكتبون لكل من أتى مستجيرا حجة في حكمنا له بالعتق على سيده وترفع الينا لنختمها وانتم حرسكم الله إذا أتى لأحدكم المملوك مستجيرا من سيده واتصلت بكم نازلة في ملك على عبد وجهوا العبد الينا وحذار من أن يتمكن به مالكه لأن حرمكم يأوي من التجى اليه في فكّ رقبته من ملك ترجح عدم صحته ولا نحكم به لمدّعيه في

هذا العصر واجتناب المباح خشية الوقوع في المحرّم من الشريعة لا سيما إذا انضمّ لذلك أمر اقتضته المصلحة فيلزم حمل الناس عليه والله يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كريما.

والسلام من الفقير الى ربّه تعالى عبده المشير احمد باشا باي وفقه الله تعالى آمين كتب في محرم الحرام سنة 1262

الأرشيف الوطني السلسلة التاريخية، صندوق 230 ملف 42، وثيقة 11.

الباب الرابع

المغرب العربي في محيطه الاسلامي والمتوسطي

الفصل الأول

التواصل الثقافي مع المحيط العربي الاسلامي

لقد بذلت مجهودات عديدة لدراسة الحياة الثقافية والعلمية لدول المغرب العربي في العصور الحديثة فظهرت في العشريتين الأخيرتين من هذا القرن عدّة دراسات وبحوث نخص بالذكر منها دراسات الأساتذة أحمد عبد السلام من تونس وأبي القاسم سعد الله من الجزائر ومحمد حجي والمنوني ومزين من المغرب الأقصى، لكن ميدان العلاقات الثقافية بين أقطار المغرب العربي وبينها وبقية البلدان العربية الاسلامية لا زال يتطلب جهود الباحثين والمهتمين بالتأريخ للعلاقات العربية عموما بما في ذلك العلاقات التجارية والتي لم تحض بدورها بما فيه الكفاية من الدراسة.

ولعل ما يدفعنا الى الاهتمام بقضية التواصل الثقافي بن المغرب العربي ومشرقه هو قدم هذا التلاقح والاحتكاك العلمي والفكري واستمرارهما عبر العصور. فلئن تعطلت الاتصالات السياسية والاقتصادية احيانا فان العلاقات الثقافية بين المسلمين في الشرق والمغاربة لم تنقطع وظلت الثقافة العربية الاسلامية القناة الرئيسية والخيط الرابط بين مختلف البلدان العربية والاسلامية .

وتزداد أهمية دراسة هذه العلاقات من الناحية التاريخية اذا ما علمنا مدى غزارة المادة التاريخية المتوفرة عن هذا الموضوع.

فالى جانب المصنفات التاريخية المتداولة وخاصة منها أدب الرحلة فان التأريخ للحياة الفكرية والتّواصل الثقافي بين البلدان العربية لا بد أن يعتمد على أنواع أخرى من المصادر نخص بالذكر منها ما يتصل بالحياة الطرقية من مناقب وأوراد وأذكار لانتشار هذه الظاهرة في المشرق والمغرب وتمتينها للعلاقات الروحية.

فضلا عن ذلك لا بد من أن تتوجه الانظار الى الفهارس والاجازات لما تحتوي عليه من معلومات على غاية من الاهمية حول العلماء والفقهاء وطرق التعليم ... الخ ... كما لا يفوتنا الاشارة الى أنواع اخرى من المصادر كالكناشات بالنسبة للمغرب العربي والتذاكر بالنسبة للمشرق العربي والتي

تزخر بالمعلومات حول حياة العلماء وتنقلاتهم وآرائهام وكذلك الشأن بالنسبة للوثائق العائلية الخاصة من عقود ملكية أو تحبيس الكتب فقد كانت لبعض العائلات العلمية في المغرب العربي مكتبات خاصة.

إن وفرة المصادر والوثائق التاريخية المتعلقة بالحياة الفكرية عموما وبالتواصل الثقافي بين المغرب العربي والمشرق بصفة خاصة لا تمكننا هنا ـ لضيق المجال ـ من الاحاطة بمختلف جوانب المسألة واستقصاء البحث فيها، فركّزنا على أهم العوامل التي ولّدت التواصل الثقافي وحافظت عليه بين دول المغرب العربي وبقية الدول العربية الاسلامية، كما سنحاول التوقف عند أهم المراكز الثقافية والعلمية والتي كانت تستقطب عددا هاما من المغاربة والمشارقة، ولا يمكن لنا هنا بطبيعة الحال تعداد العلماء وحصرهم وإنما سنكتفي بذكر الاعلام الذين تحولوا رموز التّواصل الثقافي بين المغرب العربي ومشرقه خلال العصور الحديثة.

I ـ الجاذبية الدينية والعلمية للمشرق العربي

1 ـ الرحلات الحجازية :

من الدوافع الملحّة لانتقال المغاربةالى المشرق العربي نجد العامل الديني ولا سيما أداء فريضة الحج وما يتصل بها من طلب العلم والجهاد في سبيل تحصيله، فقد كان ركب الحج المغاربي ينطلق سنويا من فاس في أواخر جمادىII ليصل الى القاهرة في حدود النصف الثاني من رمضان ومنها الى البقاع المقدّسة وذلك بعد رحلة طويلة عبر الجزائر والجنوب التونسي وطرابلس، ولئن كانت نسبة هامة من الحجيج المغاربة توفق بين الأغراض الدينية والدنيوية في هذه الرحلة بالمساهمة في التبادل التجاري بين المغرب العربي ومشرقه فان نسبة أخرى من الحجيج المغاربة كانت تكرس جهودها للاستفادة العلمية عن طريق ما يلقى من دروس في مختلف المراكز العلمية

الواقعة على طريق الحجّ أو عن طريق شراء الكتب والمخطوطات للاستفادة منها او الاتجار بها وذلك فضلا عن ربط صداقات والاتصال المباشر بين مختلف العلماء او مشايخ الطرق الصوفية والمريدين من الحجيج.

وأمام كثرة العلماء المغاربة الذين ترددوا على الحجاز والشرق العربي عموما واتصلوا بعلمائه يمكن ان نبدأ بذكرالعلماء الذين خلّدوا رحلاتهم الدينية والعلمية بتدوين ما شاهدوه وما أثر فيهم ليس فقط في الحجاز ولكن كذلك في مختلف المدن والمحطات الواقعة على طريق الحج.

وقد عرفت هذه الكتابة بالرحلات الحجازية وتعتبر من القرائن الهامة عن ذلك التواصل الثقافي بين المغرب العربي ومشرقه.

فلقد انتشر هذا الجنس الأدبي بين علماء المغرب الأقصى بصفة خاصة وبصفة مبكرة مقارنة مع علماء الجزائر وتونس حيث لم يظهر هذا الجنس ولم يتطور الا بداية من القرن الثامن عشر.

فمن المغرب الأقصى يمكن الاشارة الى بعض الرحلات كرحلة الحسن الوزان الفاسي الى المشرق والحجاز سنة 1517 ثم رحلة العياشي الشهيرة ومن بعدهما رحلة عبد المجيد الزبادي فالتاودي بن سودة الذي قام بفريضة الحج سنة 1767 فرحلة الزياني ثم رحلة محمد العربي الشرفي المسماة «بالرحلة العريضة لأداء الفريضة» فرحلة الطيب بنكيران المعروفة «بالرحلة الفاسية»، وليست هذه الا عينات من بين عدد كبير من رحلات علماء المغرب الأقصى الى الحجاز خلال العصور الحديثة، وهي تعبر عن وجود تيار هام من العلماء والأفكار واحتكاك دائم بين المغرب الاقصى والشرق العربي عموما.

أما من الجزائر فقد ذكر الأستاذ سعد الله عددا من الرحلات الحجازية للعلماء الجزائريين، ومنها الرحلات الشعرية كقصيدة عبد الله بن عمر البسكري وقصيدة محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني (ت 1748) وقصيدة عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المحاجي (ت 1652 م)، أما من الرحلات الحجازية النثرية فلا بد من ذكر رحلة أحمد بن قاسم بن

محمد ساسي البوني المسماة «**الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**» والتي قام بها سنة 1762م ولم يقع العثور عليها، وفي نفس الفترة تقريبا قام ابن عمار بتدوين رحلته المسماة «**نحلة اللبيب في أخبار الرحلة الى الحبيب**» والتي لم يبق منها الا المقدمة.

لكن من أهم رحلات الجزائريّين الحجازيّة يمكن ان نذكر رحلة تلميذ ابن عمار أبي راس، فقد عرف بترحاله المتواصل وقيامه بفريضة الحج مرتين سنة 1204 هـ / 1789م وسنة 1226 هـ / 1811م، وقد دون أبي راس في كتابه «**فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**» العديد من الأخبار المتعلقة بمشايخه وبالحياة العلمية والدينية في الشرق العربي ومغربه.

ومن أشهر الرحلات الحجازية للعلماء الجزائريين لا بد من ذكر رحلة الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (ت سنة 1193 هـ) المسماة «**بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار**»، فهي تمتاز عن غيرها من الرحلات بما تحويه من معلومات تاريخية وملاحظات عن الاماكن التي مرّ بها فضلا عما فيها من أخبار التصوف والمتصوفين بالمشرق العربي ومغربه خلال منتصف القرن الثاني عشر للهجرة، فقد حج الورثلاني ثلاث مرات الأولى سنة 1153 هـ / 1740م والثانية سنة 1166 هـ / 1752م والثالثة سنة 1179 هـ / 1765م.

وبالرغم من آداء العلماء التونسيين لفريضة الحج شأنهم في ذلك شأن بقية العلماء المغاربة فانهم لم يخلفوا آثارا أدبية عن ذلك. فلم يتطور أدب الرحلة لدى علماء تونس في العصرين الحديث والمعاصر الا بصفة محتشمة ومتأخرة.

فقد ذكر صاحب الذيل في ترجمته لعدد من العلماء التونسيين قيامهم بأداء فريضة الحج. فمن بين علماء القرنXVII يمكن ان نذكر المفتي الحنفي الشيخ الامام أحمد الشريف (ت سنة 1645م) وكذلك القاضي

الحنفي محمد برناز (ت سنة 1673م) وغيرهم كثير، بل ان حسين خوجة نفسه (ت سنة 1755) كان قد قام برحلتين للبقاع المقدّسة، الأولى سنة 1699م والثانية سنة 1713م.

وقد زار حسين خوجة خلال هذه الرحلة أماكن وبلدان عديدة كدمشق والقدس مرورا بالاسكندرية والقاهرة.

ولئن لم يضع حسين خوجة تأليفا خاصا بذلك فانه ترجم في ذيل كتابه بشائر الايمان بفتوحات آل عثمان لعدد من علماء المشرق العربي الذين التقى بهم في رحلته من أمثال الشيخ محمد العابد صاحب كتاب «**حصر الشارد في أسانيد محمد عابد**» وغيره من العلماء.

كما يمكن ان نذكر أداء كل من الشيخ محمد زيتونه (ت. سنة 1726م) لفريضة الحج مرتين الاولى سنة 1703م والثانية سنة 1712م، وقد ذكر تلميذه حسين خوجة قيام الشيخ محمد زيتونة في الاسكندرية باحياء ليلة المعراج في حجته الأولى وازدحام الناس عليه، كما ذكر بعض العلماء الذين اتصل بهم في الأزهر وأخذ عنهم كالشيخ سليمان الشبرخيتي تلميذ الشيخ علي الأجهوري، ولقي بمكة الرحالة المحدث الشيخ عبد الله بن سالم البصري الشافعي ولقي بالمدينة الشيخ عمر الزلفي وغيره، وفي مدة استقراره بالمدينة قرأ التفسير وحاشيته على تفسير أبي السعود العمادي مفتي اسطنبول.

ومن بين علماء دولة حسين بن علي يمكن ان نذكر كذلك آداء الشيخ يوسف بن محمد بن سليمان بن عبد الله برتقيز (ت سنة 1147هـ / 1734م) فريضة الحج سنة 1713م. وتواصلت الظاهرة مع علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ونذكر من ابرزهم الشيخ ابراهيم بن عبد القادر الرياحي (ت سنة 1850م) الذي قام بحجة أولى سنة 1827م وحج مرة ثانية سنة 1836 نيابة عن مصطفى باشا باي. ولقي الشيخ في رحلته عدداً من العلماء في مصر والمدينة المنورة منهم محدثها محمد عابد السندي المدرّس بالحرم النبوي فأجازه ما حواه ثبته المعروف «**بحصر الشارد في أسانيد محمد عابد**».

وقد ترك الشيخ ابراهيم الرياحي في ديوانه أشعارا عن هذه الرحلة منها القصيدة التي مطلعها :

إليك رسول الله جئت من البعد

أبثك في القلب من شدة الوجد

وتعد الرحلة الحجازية للشيخ محمد السنوسي (ت. سنة 1900) من ابرز الرحلات الحجازية النثرية لعلماء تونسيين، فقد قام المؤلف سنة 1882م برحلة الى البقاع المقدسة، فاتجه أولا الى إيطاليا ومنها الى اسطنبول فالحجاز ذهابا ومنه الى دمشق فبيروت وبور سعيد فمالطا في طريق العودة، وتعرّف بمكة على عدّة علماء هنود كرحمة الله وحبيب الرحمان الموسوي وغيرهما، واتصل بعدد آخر من العلماء في اسطنبول منهم شيخ الطريقة المدنية الشاذلية محمد ظافر.

ويعتبر محمد بيرم الخامس (ت. سنة 1889م) وهو صديق الشيخ محمد السنوسي من العلماء التونسيين الذين سجلوا انطباعاتهم عن المشرق العربي وعن الحجاز في آثار نثرية، فخصص لهذه الأقطار فصولا في كتابه **«صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والاقطار»**.

إن المطلع على هذه الرحلات الحجازية يتبين مدى تعلق المغاربة واتصالهم بالمشرق العربي، ذلك ان التعاليم الدينية كانت تحث الحاج على الاتصال بالعلماء، واغتنام تواجد العلماء المسلمين من مختلف الانحاء في وقت واحد وفي مكان واحد.

هذا ولم يكن للمشرق العربي جاذبية روحية ودينية فقط وإنما كانت له أيضا جاذبية علمية فالكثير من المغاربة كانوا يخيّرون القيام برحلة علمية للمشرق العربي لفضل طلب العلم ولتفادي الأخطار والمشاق التي تنجر عن الحج.

2 ـ الرحلات العلمية الى الأزهر:

تبعا لذلك، انتشرت الرحلات العلمية من المغرب العربي الى المشرق ولا سيما الى مصر. فقليلا ما نقف على ترجمة عالم شهير لم تكن له رحلة علمية الى الديار المصرية.

لكن اتصال المغاربة بمصر والشام واسطنبول لم يكن بدافع العلم فقط وانما وجدت دوافع اخرى منها السِّياسيّة كالفرار من الاضطرابات وقمع السلاطين وامتحانهم للعلماء.

كما لعبت العلاقات التجارية بين المغرب العربي ومشرقه فضلا عن وجود جاليات من المغاربة بمصر خاصة دورا هاما في هجرة العلماء الى الأزهر، فقد كان مركز استقطاب علمي هام بالنسبة الى المغاربة، لكن هذا الاستقطاب لم يكن بداهة بنفس القوة ولا بنفس الأهمية في الأقطار المغاربية خلال العصور الحديثة.

فبالنسبة إلى وضعية المغرب الأقصى يمكن القول متبعين في ذلك الاستاذين يونان لبيب رزق ومحمد مزين بأن الصلات الثقافية بين قرويّيي فاس و الأزهر قد عرفت تطورا ملحوظا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في حين كان عدد العلماء المهاجرين من المغرب الأقصى الى مصر خلال القرن السادس عشر ضئيلا لاعتبارات أمنية وسياسية.

فخلال القرن السابع عشر نجد ما لا يقل عن عشرين عالما مغربيا ترددوا على رواق المغاربة بالأزهر، ونخص بالذكر منهم شهاب الدين أحمد بن محمد المقري الذي ذهب الى مصر سنة 1617م واستقر بها حتى وفاته سنة 1631م.

ومن علماء القرن الثامن عشر يمكن أن نذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري والشيخ محمد السقاط الخلوتي المغربي وغيرهما ...

أما من الجزائريين فيمكن ان نذكر عيسى الثعالبي ويحيى الشاوي وعلي بن محمد المعروف بابن الترجمان (ت سنة 1185هـ / 1771م) وأبا العباس المغربي الجزائري وغيرهم ممن ترجم لهم الجبرتي وذكرهم في وفياته.

وقد نزل برواق المغاربة بالأزهر عدد هام من العلماء التونسيين ويمكن ان نذكر على سبيل الذكر لا الحصر من علماء القرن السابع عشر الشيخ الامام محمد بن شعبان وكان قد قرأ على الشيخ ابراهيم اللقاني

جوهرته في التوحيد بالجامع الأزهر، ثم هاجر مرّة ثانية الى مصر وتردّد على دروس مشايخ الأزهر الى ان توفي بالقاهرة ودفن بالقرافة سنة 1687م.

ومن علماء نفس الفترة يمكن ان نذكر الفقيه علي بن خليفة الحسيني الشريف المساكني وقد سافر لطلب العلم بالأزهر أواخر سنة 1690م ثم عاد للتدريس ببلده مساكن وقد ترك فهرسة في أسماء شيوخه ومروياته ولا سيما مشايخ الأزهر كالشيخ محمد الخرشي وابراهيم الشبراخيتي واحمد اللقاني وغيرهم ...

ومن الطلبة التونسيين الّذين عرفوا بهجرتهم الى مصر لطلب العلم لا بد أن نذكر أصيلي جربة وصفاقس، فقد كان لوجود جالية من التجار الجرابة والصفاقسية بالاسكندرية والقاهرة أثر كبير في توافد العلماء التونسيّين والطلبة على الأزهر وكذلك الشأن بالنسبة لاسطنبول، بحيث تتوفر للطالب والعالم الظروف الملائمة للدراسة من حيث توفر الاستقبال والأموال.

ولعل من اشهر العائلات الصفاقسية التي جمعت بين طلب العلم والتجارة بمصر هي عائلة النوري، ومنها الفقيه الصوفي علي بن سالم بن محمد النوري (ت سنة 1706م)، فقد جاور بالأزهر حوالي خمس سنوات من سنة 1663م الى سنة 1668م ثم رجع الى بلده صفاقس للتدريس والافادة. وقد ذكر في فهرسته عدد من شيوخه المشارقة كالشيخ ابراهيم الشبراخيتي والشيخ شرف الدين يحيى أبي المواهب وغيرهما من العلماء الذين قرأ عليهم وأجازوه في علوم شتى.

ومن أشهر العلماء الذين جاوروا بالأزهر خلال القرن الثامن عشر الشيخ أبو الحسن بن عمر القلعي الذي سافر الى القاهرة سنة 1741م وقد درّس بالازهر وشغل به منصب شيخ رواق المغاربة. توفي سنة 1785م.

هذا ويبدو ان تحسّن الأوضاع السياسية والإقتصادية بتونس بعد النصف الثاني من القرن الثامن عشر قد قلص من هجرة العلماء التونسيين الى مصر والمشرق العربي عموما، فقد أصبح الجيل الأول من العلماء الذين

تتلمذوا بالمشرق قادرين على بثّ العلم في تونس. فقد تمكنت البيئة الزيتونية من استيعاب الطلبة المحليين بل أصبح الجامع الأعظم مركز استقطاب بالنسبة الى العلماء المغاربة فضلا عن تدفق عدد من العلماء المشارقة ولا سيما من اسطنبول على البلاد التونسية. من هنا، يمكن القول بأن المغرب العربي لم يكن يمثّل مناطق دفع فقط بل أصبحت المراكز العلمية به تستقطب عدداً هامًا من العلماء من مختلف الجهات، فعلاوة على التيار الثقافي الذي ربط بين المغرب والمشرق لا بد أن نقر بوجود تيار معاكس له.

3 - التأثيرات الثقافية العثمانية :

فقد كان لدخول الجزائر أولا ثم البلاد التونسية تحت السيطرة العثمانية وما انجر عن ذلك من انتكاس للحياة العلمية والثقافية بسبب هجرة العلماء وانشغالهم بالدفاع عن أنفسهم من خطر الحروب تأثير قوي على انبعاث تيار ثقافي عثماني جديد بالمغرب العربي.

فقد حتم انتصاب الأتراك العثمانيين بالجزائر وتونس اصطحاب عدد من العلماء والقضاة خاصة من المذهب الحنفي، وبالرغم من انشغالهم بمسائل بعيدة عن العلم أحيانا كالبحث عن الاثراء السريع او نشر الطرق الصوفية فانه لا يمكن لنا التشكيك في تأثيرهم على الأهالي وعلى الحياة العلمية والدينيّة.

ومن بين العلماء والقضاة الأتراك الذين قدموا الى تونس في بداية العهد العثماني يمكن ان نذكر منلا أحمد وأبا الحسن علي أفندي ورمضان أفندي وغيرهم.

والمهم من زاوية المسألة التي نحن بصدد طرحها هو تمكن هذا الجيل الأول من العلماء الأتراك وبدعم من السلطة المركزية من التأثير على المدى الطويل بصفة إيجابية على الحياة الفكرية والعلمية بتونس والمغرب الأوسط.

فتم ارساء المذهب الحنفي الى جانب المذهب المالكي، وتبع ذلك تأسيس مدارس وجوامع للحنفية، من ذلك مثلا جامع ومدرسة يوسف داي بتونس، كما تم ترويج الانتاج العلمي والثقافي الحنفي بالبلاد، كمصنف أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت سنة 1574م) في التفسير المعروف «**بإرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم**». و«**درر الحكام في شرح غرر الأحكام**» لمحمد بن فرموز الشهير بمنلا خسر والحنفي (توفي سنة 1480 م).

ثم ظهر جيل ثان من العلماء الحنفية الذين تزايدوا بالبلاد التونسية وألفوا في مسائل مختلفة نذكر منهم البيت البيرمي.

والجدير بالملاحظة أن توافد العلماء الأتراك الحنفيين على بلاد المغرب العربي لم يتوقف فقد تواصلت الاتصالات بينهم وبين العلماء المغاربة طيلة العصور الحديثة، من ذلك مثلا زيارة الشيخ لطف الله العجمي شارح أسماء الله الحسنى لتونس سنة 1178هـ ومحاورته لبعض مشايخ البلاد التونسية ولا سيما مع الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد الشحمي (ت سنة 1776م) ومع الشيخ حسين البارودي الحنفي الذي ردّ على رسالته في من أفسد الركعتين الأخيرتين.

ولا يفوتنا ذكر ما حصل بين الشيخ ابراهيم الرياحي أثناء سفارته لاسطنبول سنة 1838م وبعدها من اتصال بعلمائها ولا سيما شيخ الاسلام عارف باي، فقد وقعت بينهما مراسلات بالشعر والنثر وتبادل الاجازات.

وعرفت ولاية الجزائر بدورها توافد العلماء العثمانيين منذ مطلع القرن السادس عشر لا سيما من القضاة الذين يقع تعيينهم بصفة رسمية من قبل السلطان العثماني فضلا عن بعض النساخين والوراقين.

وحتى بعد ان أصبح المفاتي والقضاة الحنفيون يعيّنون من بين ابناء العثمانيين المولودين بإيالة الجزائر في مطلع القرن الثاني عشر للهجرة فقد تواصلت الاتصالات العلمية والثقافية بين الولاية والمركز مجسّمة ذلك الانتماء المشترك للامة الاسلامية وحضارتها.

وتبعا لذلك انتشر الخط العثماني والتآليف العثمانية في التفاسير والقراءات والفقه ومختلف العلوم في المراكز العلمية المختلفة بالجزائر.

وأثرت هذه التآليف رصيد المكتبات الجزائرية في الجزائر العاصمة وفي قسنطينة ولا سيما في مكتبة حمودة الفكون وغيرها من المكتبات الخاصة.

فالحاجة الى علماء اسطنبول وفقهائها بالجزائر ظلت قائمة للتأكير على الصلة السياسية بين الولاية والمركز.

ومن الأمثلة عن ذلك التواصل يمكن ان نذكر زيارة القاضي المولى علي في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة الى الجزائر واتصاله بعالمها عبد الكريم الفكون، كما يمكن ان نذكر وفود الشيخ مصطفى خوجه الى الجزائر سنة 1188هـ / 1774م وتوليه بها عدة وظائف دينية وعلمية.

وعرف المغرب الأقصى بالرغم من بقائه خارج الامبراطورية العثمانية صلات سياسية وثقافية مع اسطنبول.

فبعد مواجهته للأطماع العثمانية بكل عنف أقدم أحمد المنصور الذهبي على إرسال سفيرين عنه للباب العالي هما العالم ابو عبدالله محمد بن علي الفشتالي (ت 1021هـ / 1612م) والعالم السفير محمد الجزولي التمجروتي (ت سنة 1103 هـ / 1691م) وقد ترك كتابا عن سفارته سماه النفحة المسكية في السفارة التركية، وقد ذكر فيها ما قام به من اشتراء لكتب مفيدة من اسطنبول والتقاؤه بفقهائها واستجازتهم وذلك سنة 997 هـ / 1588م.

ولا شك ان المغرب الأقصى قد كان على اتصال بالثقافة العثمانية من خلال ممثليها بالجزائر بحيث كانت الصلة مع مركز الخلافة العثمانية غير مباشرة لكنّها لم تكن منعدمة، فقد كان دايات الجزائر على اتصال بسلاطين المغرب الأقصى بالرغم من التقلبات العديدة التي عرفتها العلاقة بين النظامين، بل أن الدايات عملوا على بعث وفود من العلماء والفقهاء لحل

بعض المشاكل والخلافات الحدودية خاصة بين البلدين من ذلك قيام عثمان باشا بمراسلة المولى محمد بن الشريف العلوي سنة 1064 هـ بعد هجومه على تلمسان، وقد حمل الرسالة وفد يتركب من موظفين إثنين ومن عالمين من علماء الجزائر هما الفقيه عبد الله النفزي والفقيه الحاج محمد بن علي الحضري الزغنائي.

تبعا لذلك يمكن القول بأن التواصل الثقافي بين المغرب العربي ومشرقه كان مدعوما بتواصل بين الأقطار المغربية نفسها.

II . التواصل الثقافي بين دول المغرب العربي

إنّ علاقات الجوار بالرغم من الاختلافات السياسية والمذهبية قد فسحت المجال الى جانب عوامل اخرى أمام تعزيز التبادل الثقافي وإرساء ثقافة مغاربية قوامها تبادل الزيارات بين العلماء والمتصوفة والاجازات فظهرت رموز وأعلام تجسد وحدة الحقل الثقافي المغاربي.

من بين هذه الرموز والأعلام الذين جاؤوا بعد العلامة عبد الرحمان بن خلدون الذي يعتبر أحسن مثال عن التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي يمكن لنا ان نذكر أمثلة عديدة أخرى من العلماء الذين لم يصلوا الى مرتبة ابن خلدون العلمية وشهرته ولكنهم تحولوا الى رموز للوحدة الثقافية.

فهذا الفقيه المالكي احمد بن يحيى الونشريسي صاحب كتاب «المعيار المعرب» ينتقل من تلمسان ليستقر بفاس فتتحول اعماله بالقرويين مرجعا لعلماء المغرب العربي قاطبة، وهذا الفقيه ابو عبد الله محمد بن علي الخروبي وأصله من طرابلس (ت سنة 1553م) ينتقل بين عواصم المغرب العربي وتنظم له المناظرات والمجالس العلمية في مختلف مراكز الثقافة والتعليم.

وهذا الشيخ محمد بن ابي الفضل خروف الانصاري التونسي (ت سنة 1558م) ينشر بين علماء الجزائر وعلماء فاس العلوم العقلية ويتخصص في تدريسها بالقرويين.

ان شهرة هؤلاء العلماء، ومساهمتهم في بناء ثقافة مغاربية وفي تأسيس تقاليد تقوم على الاتصال الدائم بين بلدان المغرب العربي ليبرز من خلال التيار الثقافي الذي يربط بين قطبي الثقافة والعلم في العصور الحديثة أي الزيتونة بتونس والقرويين بفاس وتتوسط هذه الطريق الثقافية ان صح التعبير محطات ومراكز علمية جزائرية بتلمسان ووهران والجزائر وقسنطينة.

فقد ورد على الجزائر خلال العصور الحديثة أعداد هامة من العلماء المغاربة من الصعب حصرهم.

فسواء كانت رحلة التونسيين الى المغرب الأقصى براً أو بحرا فإن العديد منهم كان يفضل التوقف ببعض المدن الجزائرية للراحة او لزيارة الأولياء الصالحين والاتصال بالعلماء.

أما البعض الآخر من العلماء التونسيين وخاصة منهم من كان على المذهب الحنفي فلم تكن الجزائر بالنسبة اليهم نقطة عبور فقط وإنما تحولت موطنا لطلب العلم والوظائف. فبحكم التشابه النسبي في النظم السياسية بين الولايتين العثمانيتين ورد على الجزائر في العهد العثماني بعض العلماء والقضاة الحنفيين من تونس نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ احمد بن مصطفى برناز صاحب «**الشهب المحرقة**» (ت 1726م) فقد توجه الى الجزائر واخذ عن عدّة مشايخ بها منهم الشيخ رمضان بن مصطفى العنابي والشيخ علي بن خليل والشيخ محمد بن سعيد قدورة.

ومن علماء تونس كذلك الذين زاروا الجزائر لطلب العلم وبثه يمكن ان نذكر على سبيل المثال لا الحصر محمد الشافعي الباجي وأحمد الأصرم القيرواني اللذين استقرا بالجزائر مع أبناء حسين بن علي واحترفا ببثّ العلم وصناعة التوثيق.

أما من القضاة فيمكن ان نذكر تولي محمد زيتون التونسي القضاء الحنفي بالجزائر في عهد الباشا محمد بكداش.

تعبر هذه الأمثلة بوضوح عن أهمية الاتصالات بين علماء الايالتين والتي لا تبرز فقط من خلال الرّحلات العلمية ولكن ايضا من خلال التّراسل فإلى جانب المراسلات بين الشيخ أحمد برناز وبعض العلماء الجزائريّين يمكن أن نذكر التّراسل بين الشّيخ أبي عبد الله محمّد تاج العارفين وابراهيم الغرياني من جهة وشيخ الاسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني صاحب منشور الهداية (ت سنة 1662م) من جهة ثانية.

ويبدو من خلال المصادر المتوفرة ان انتقال التونسيين الى الجزائر قد تقلّص خلال القرن الثامن عشر مقارنة بالقرون السابقة له وذلك لعدّة اعتبارات من أهمها استقرار الاوضاع السياسية والاجتماعية بتونس وانتعاش الحياة الثقافية والعلمية على يدي ابناء حسين بن علي في حين ساءت علاقة السلطة العثمانية بالجزائر بعلمائها، وكان ذلك سببا من الأسباب القوية التي دفعت بعلماء الجزائر الى الهجرة لطلب العلم بالمغرب الأقصى وبالبلاد التونسية على حدٍّ سواء.

فقد عرف المغرب الأقصى والقرويين بفاس خاصة ورود عدد هام من العلماء الجزائريين طيلة العصور الحديثة مع اختلاف الدوافع والأسباب ونسق الهجرة.

ويبدو حسب بعض الدراسات ان مجيء العثمانيين واستقرارهم بالجزائر قد دفع بنسبة هامة من علماء تلمسان خاصة الى الاحتماء بالمغرب، ومن بين هؤلاء يمكن ان نذكر هجرة العالم أحمد الونشريسي واستقراره بفاس الى ان قتل بها سنة 1548م ضحية الصراعات السياسية بين الوطاسيين والسعديين .

وقد تميزت بداية الدولة السعدية ولا سيما عهد مولاي احمد المنصور الذهبي بتوافد عدد هام من العلماء الجزائريين على المغرب الأقصى.

فمن بين علماء القرن العاشر للهجرة يمكن ان نذكر الفقيه احمد شقرون بن أبي جمعة الوهراني ثم علي بن عيسى الراشدي الذي أتم دراسته بالقرويين وكذلك الشأن بالنسبة للفقيه أحمد بن محمد بن جيدة الوهراني ثم علي بن عيسى الراشدي الذي أتم دراسته بالقرويين وكذلك الشأن بالنسبة للفقيه أحمد بن محمد بن جيدة الوهراني وغيرهم كثير من الذين ترددوا على القرويين بفاس خاصة.

ويبدو ان جامع الزيتونة بالبلاد التونسية قد جذب اليه أعداداً هامة من العلماء الجزائريين وبالتالي قلص من ترددهم على المغرب الأقصى.

وتعج كتب التراجم باسماء العلماء والطلبة الجزائريين الذين درسوا بالزيتونة أو درّسوا بها، فيمكن التمييز في هذا المجال بين صنفين من العلماء الجزائريين ، صنف أول خير البقاء في تونس والاندماج في فئة علمائها، وصنف ثان هاجر بصفة مؤقتة لطلب العلم ثم رجع لبث ما تحصل عليه بالجزائر.

ومن بين العلماء الذين استقروا بالبلاد التونسية خلال العصور الحديثة يمكن ان نذكر الشيخ ساسي المقري بجامع الزيتونة، وأصله من نواحي جبال البربر (ت حوالي 1689م) ومن علماء الجزائر خلال القرن السابع عشر نذكر كذلك الشيخ محمد الشريف الحمني وأصله من بلد تاكذات، قدم الى تونس سنة 1682م وتولى قضاء ماطر، ومنهم كذلك الشيخ محمد العنابي الضرير، ولد ببلد العناب سنة 1684م وقرأ بالجزائر على الشيخ تريح ثم انتقل الى مدينة تونس.

وتواصل توافد العلماء الجزائريين على البلاد التونسية لطلب العلم بنفس النسق تقريبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

فقد هاجر اليها الشيخ القاضي أحمد العوادي، وينحدرمن قبيلة العواودة بجهة قسنطينة، وقد تولى التدريس بالجامع الأعظم ثم ولي خطة القضاء بماطر (ت سنة 1828م).

ومن بين المشايخ كذلك لا بد ان نذكر الشيخ الولي محمد الباشير وأصله من جبال زواوة، وكان تولى التدريس بتونس وقرأ عليه المؤرخ احمد ابن ابي الضياف تفسير ابن الفرس، توفي الشيخ محمد الباشير بتونس سنة 1827م وبنيت على قبره زاوية.

هذه إذن بعض الامثلة التي تبين مدى التواصل الثقافي بين تونس والجزائر، فبالرغم من تقلب العلاقات السياسية بن الولايتين وما شابها من حروب فإن اتصال العلماء والسكان بصفة عامة لم ينقطع. ولئن كان من العسير هنا تعداد كافة العلماء الجزائريين الذين كانت لهم صلة من قريب او بعيد بالبلاد التونسية فانه لا بد من الاشارة الى ان أحد أبرز العلماء الجزائريين وباني العائلة العلمية الشيح سعيد بن ابراهيم قدورة التي سيطرت على الافتاء المالكي بالجامع الكبير بالجزائر هو من أصل تونسي وبالتحديد من جزيرة جربة، فقد انتقلت عائلته الى الجزائر للاحتراف بالتجارة كغيرها من العائلات الجربية، وتجدر الاشارة هنا الى العلاقات العلمية والثقافية بين علماء المذهب الاباضي بكل من جزيرة جربة وإباضية الجزائر.

هكذا نرى مدى مساهمة العوامل الدينية ولا سيما المذهبية كالمذهبين الحنفي والاباضي في تعزيز التواصل الثقافي بين الولايتين هذا مع العلم بمساهمة التبادل التجاري بينهما ـ ولا سيما وجود قافلة تجارية تربط بين قسنطينة والبلاد التونسية ـ في تعزيز الروابط بين البلدين.

فلا شك ان انتقال المواد والبضائع كان يواكبه انتقال الكتب والمخطوطات والأفكار.

وبعد وقوع الجزائر تحت السيطرة الاستعمارية تواصل مجيء العلماء الجزائريين الى تونس بل ارتفع نسق تردد الطلبة على جامع الزيتونة في حين تقلص عدد التونسيين المهاجرين الى الجزائر منذ القرن الثامن عشر كما اسلفنا لتحسن الأوضاع الداخلية للبلاد التونسية.

على ان تحسن الأوضاع ولا سيما وضعية التعليم والعلماء بتونس في العهد الحسيني لم يمنع من ربط البلاد التونسية لصلات ثقافية هامة مع المغرب الأقصى علاوة على العلاقات السياسية والتجارية التي لم تكن في

الحقيقة تضاهي أهمية العلاقات التجارية للبلاد التونسية مع المشرق العربي ولا سيما مع مصر.

لقد عرفت الصلات الفكرية بين المغرب الأقصى وتونس خلال العصور الحديثة تطورا ملحوظا أكّد أهمية الروابط الثقافية التقليدية واستمراريتها عبرالعصور، فمنذ مجيء الاسبان الى تونس هاجر الكثير من العلماء التونسيين الى المغرب الأقصى فرارا من اضطراب الأوضاع وخوفا من التنصر، فقد تحولت فاس والمغرب الأقصى عموما ملاذا للمضطهدين وقبلة لطلب العلم ولا سيما بعد نجاح السعديين في توطيد نفوذهم وبقائهم خارج الامبراطورية العثمانية ومحاولاتهم توحيد المغرب الاسلامي والدفاع عنه بشتى الطرق والوسائل لا سيما من خلال احتضان العلماء.

من ذلك ان الشيخ محمد بن أبي الفضل خروف الأنصاري التونسي (ت سنة 966هـ / 1558م) لما وقع في الاسر بعد هجوم الاسبان على تونس افتداه الأمير الوطاسي فنزل بفاس وساهم مساهمة فعالة في ترسيخ بعض العلوم بها ولا سيما علم الاصول والمنطق والبيان وانتفع بعلمه عدّة علماء من المغرب الأقصى كالمنجور والقصار وغيرهما.

ويمكن أن نذكر كذلك جمعا من علماء القرن السابع عشر من التونسيين الذين قصدوا المغرب الأقصى لطلب العلم.

فقد توجه منلا احمد الى القرويين بفاس أيام السلطان مولاي احمد الذهبي فأعجب بعلمه وسعة اطلاعه.

ويبدو من خلال كتب التراجم وفي ضوء الدراسات الحديثة ان مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب الأقصى وتونس كانت هامة، بالرغم من أن انتقال التونسيين الى المغرب الأقصى لم يتطور نظرا لتوافد العلماء المستمر على تونس من القرويين خاصة، بحيث توفر للتونسيين الحصول على المعرفة وشتى العلوم دون الهجرة الى فاس.

فقد ترجم حسين خوجة لعدد من العلماء أصيلي المغرب الأقصى والذين ساهموا في تطوير شتى العلوم بتونس منذ القرن السابع عشر.

ومن بينهم نذكر الشيخ سيدي عبد الله بن محمد وأصله من بلاد السوس وقد قرأ بمراكش وفاس ثم ارتحل الى تونس واستقر بالقيروان.

ومنهم كذلك الشيخ أحمد التدغي الذي جاء الى تونس حوالي سنة 1650م ودرس بجامع الزيتونة ومنهم الأديب عبد الرحمان الجامعي الذي تزايد بفاس سنة 1677م ثم قدم إلى تونس ونشر بها العلوم الأدبية وتوفي بها.

كما حل بتونس من المشايخ والأولياء الصالحين من المغرب الأقصى الشيخ الولي محمد المصطاري الذي تزايد بمكناس وقرأ بفاس ثم قدم الى تونس واستقر ببنزرت.

ومن أشهر الأولياء الصالحين يمكن ان نذكر كذلك الشّيخ سيدي علي عزوز.

ومن علماء المغرب الأقصى الذين توافدوا على تونس خلال القرن الثامن عشر يمكن ان نذكر على سبيل المثال كذلك الشيخ عبد الله السويسي (ت سنة 1169م) والشيخ الهاروشي (ت سنة 1175م) صاحب كتاب الصلوات المسمى «**نور الأسرار في الصلاة على النبي المختار**»، وكذلك الشيخ الفقيه حسونة القصري وأصله من الرباط، فقد قدم الى تونس بقصد التجارة لكنه كان عالما وفقيها (ت سنة 1784م).

ومن أبرز اعلام المغرب الأقصى الذين وفدوا على تونس نذكر الفقيه والاديب عبد القادر السلاوي الفاسي النشأة، قدم الى تونس في عهد علي باشا فكلفه بتلخيص الحاشية الكبيرة على تفسير الامام ابي السعود للشيخ محمد زيتونة، وقد تقلب في عدة مناصب دينية وعلمية منها قضاء بنزرت (ت سنة 1176م).

وتواصل اللقاح العلمي بين القرويين وجامع الزيتونة خلال القرن التاسع عشر بالتوازي مع تواصل العلاقات السياسية بين البايات الحسينيين والعلويين.

فقد كان الشيخ ابراهيم الرياحي خير ممثل لذلك التواصل العلمي والثقافي بين البلدين، فقد درس بتونس على الشيخ محمد الفاسي المغربي وتأثّر به.

ثم ارتحل الشيخ ابراهيم الرياحي الى المغرب الأقصى سفيرا عن حمودة باشا الحسيني في طلب الميرة وسافر معه الشيخ القاضي عمر المحجوب (ت سنة 1807م) وكان لهما اتصال بعلمائها وأدبائها من أمثلال الأديب محمد القرشي السلاوي وأبي عبد الله محمّد بن الفقيه السلاوي وغيرهما.

ومنذ ذلك التاريخ تواصلت العلاقات بين البلدين على نفس النسق من الاتصالات العلمية والسياسية، فقد عمل كل من البايات والسلاطين العلويين على التراسل والحفاظ على مستوى العلاقات الودية بين البلدين، ومن أمثلة ذلك ارسال مولاي عبد الرحمان بن هشام لمصطفى باشا باي بمكتوب في غرض التعزية بموت أخيه حسين باشا باي سنة 1251.

ومهما يكن من أمر فإن الواضح من خلال استعراض الصلات الثقافية بين اقطار المغرب العربي في العصور الحديثة استمراريتها بالرغم من تقلب الأوضاع السياسية بل تفوق هذه العلاقات على العلاقات التجارية، فالتيار بين فاس وتونس عبر الجزائر هو تيار الأفكار والثقافة عامة، ذلك ان إنتاج البلدان المغاربية ولا سيما من المواد الفلاحية من حبوب وجلود كان واحدا وبالتالي كان الجميع في حاجة الى تسويقه خارج الأسواق المغاربية، فلئن كشفت تونس من الاتجار مع بلدان المشرق العربي فان الجزائر والمغرب الأقصى ربطتا علاقات تجارية مع الدول الأوروبية ولحقت بهما البلاد التونسية وأصبح الجميع في علاقة مع الدول الواقعة على الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط.

الفصل الثاني

العلاقات العدائية والسلمية
مع الدول الأوروبية المتوسطية

لقد تناول المؤرخون القدامى والرحالة وغيرهم من الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط العلاقات الأوروبية المغاربية في إطار عام وهو العلاقات المسيحية الاسلامية. والملاحظ أن أغلب الدارسين تناولوا هذه العلاقات من زاوية واحدة وهي زاوية الصراعات والحروب فأكد العديد على ذلك التّناقض والتضاد بين ما عرف «بدار الحرب» و«دار الجهاد» لدى المؤرخين المسلمين. وفي المقابل أطنب المؤرخون والرحالة الاوروبيّون في كيل الشتائم ووصف البلدان المغربية وشعوبها بشتى الأوصاف كالبلاد المتوحشة أو بلاد اللصوص والقراصنة ... الخ .

تبعا لذلك لا بد لنا من التعامل بحذر شديد مع النصوص التي خلفها هذا الطرف او ذاك دون التغافل عن أهميتها كمصادر تاريخية لدراسة العلاقات الأوروبية المغاربية في العصور الحديثة، من هنا يجب علينا الاقرار بتراوح تلك العلاقات بين السلم والحرب، فلم تخل العلاقات الأوروبية المغاربية من أزمات وصراعات دامية تخللتها في الواقع فترات هدنة بل من التعايش السلمي والتلاقح الحضاري.

ذلك ان الفترة الممتدة من أوائل القرن XVI الى بداية القرنXIX قد تميزت بشيء من التوازن السياسي والعسكري والاقتصادي داخل الحوض الغربي للمتوسط وبين الدول الأوروبية والمغربية على الخصوص.

إلاّ أن بداية القرنXIX قد عرفت انقلابا في موازين القوى ولصالح الدول الأوروبية والنظام الرأسمالي المهيمن، فقد عادت الدول الأوروبية لسياسة المدفعية التي تخلت عنها منذ قرون وفرضت هيمنة سياسية وعسكرية مطلقة على دول شمال إفريقيا بدأت مع الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م وتواصلت حتى القضاء النهائي على بنية الكيانات السياسية المغاربية.

تبعا لذلك ودون ادّعاء الأحاطة بمختلف جوانب المسألة وأبعادها يمكن لنا مقاربة العلاقات الأوروبية المغاربية بالتركيز على نقطتين او قضيتين متصلتين بعضهما ببعض : أولاهما العلاقات العدائية او الجوانب المتوترة منها، وتتمحور بالاساس حول القرصنة او الجهاد البحرى وردود فعل

الدول الأوروبية عن ذلك منذ القرن XVI الى سنة 1816 تاريخ حملة Lord Exmouth على شمال افريقيا والقضاء النهائي على القرصنة.

أما النقطة الثانية فتتعلق بالجوانب السلمية من العلاقات الأوروبية المغاربية والتي من ابرز مظاهرها العلاقات الديبلوماسية والتبادل التجاري وما انجر عن ذلك من تلاقح ثقافي حضاري.

I ـ العلاقات العدائية المتوازنة

بعد أن غابت أزمة القرن XVI بالمغرب العربي ولا سيما مظاهر التفكك السياسي وتلاشي نفوذ الدولة بالداخل وفشلها في صدّ الأخطار الخارجية، دخلت العلاقات الأوروبية المغاربية في مرحلة طويلة من التوازن السياسي والعسكري، فقد تحولت الجزائر منذ سنة 1516م وتونس منذ سنة 1574 الى ايالتين عثمانيتين، وتمكنت السلطة الجديدة بهما من تأمين المواجهة العسكرية مع أوروبا بعد أن قام الباب العالي بدرء الخطرالاسباني والحدّ منه في الحوض الغربي للمتوسط.

أما المغرب الأقصى فقد تمكن بعد معركة وادي المخازن التي انتصر فيها الجيش السعدي على البرتغال سنة 1578م من تأمين حدوده والدخول في علاقات متكافئة مع الدول الأوروبية وتواصل ذلك مع العلويين حتى مطلع القرن XIX.

ويمكن لنا اعتبار القرصنة المغاربية الى حدّ إحدى المؤشرات الأساسية عن ذلك التوازن بين الضفتين للبحر المتوسط، ذلك أن القرصنة المغاربية كانت تقابلها من الضفة الأخرى قرصنة أوروبية مسيحية.

فلا بد لنا اذن من الاقرار بانتشار ظاهرة القرصنة وما واكبها من أسر وتعذيب للانسان من جهة و احتكاك بين الحضارات من جهة أخرى داخل البحر المتوسط ولدى شعوب المنطقة بأسرها، بل ان هذا النشاط لاختلافه عن

لصوصية البحر كان قطاعا منظما ومراقبا بصفة مباشرة من الدولة والطبقة الحاكمة في المغرب العربي وفي الدول الأوروبية على حدّ سواء.

فتطور القرصنة كان ـ إلى حدّ ما ـ رهين تطور العلاقات الدولية في المتوسط وموازين القوى به، فلقد حاولت بعض القوى الأوروبية منذ أوائل القرنXVI وعلى امتداد العصور الحديثة تحييد القراصنة المغاربة بإرساء علاقات سلمية وتجارية مع دول المغرب العربي.

ففي سنة 1535م بادرت فرنسا بعقد معاهدة سلم وصلح مع الباب العالي مكنتها من الناحية القانونية على الأقل من الحصول على امتيازات عديدة من ضمنها عدم تعرض قراصنة الولايات العثمانية بالمغرب العربي الى سفنها.

ولقد تمكنت انقلترا والمقاطعات المتحدة Provinces Unies سنة 1612م من الحصول على نفس الامتيازات من الباب العالي، لكن ذلك لم يمنع القراصنة في الجزائر وفي تونس من مواصلة نشاطهم ضد سفن البلدان الصديقة والعدوة على حدّ سواء.

وأمام تعدد الانتهاكات والتجاوزات من قبل القراصنة المغاربة سعت القوى الاوروبية خلال القرن السابع عشر الى ابرام معاهدات سلم وتجارة مع الدول المغاربية، وقد كانت تفصل بين المعاهدةوالمعاهدة حالة من التوتر بل ان الكثير من المعاهدات كانت تبرم اثر استعمال الدول الأوروبية للقوة.

ومن أمثلة هذه المعاهدات لنا ان نذكر المعاهدات العديدة بين تونس وفرنسا طوال القرن XVII، فقد خيرت السلط الفرنسية امام عدم رضوخ السلطة التونسية وعدم تطبيقها للمعهادات المبرمة مع الباب العالي التفاوض مباشرة مع حكام تونس. من ذلك التفاوض مباشرة مع عثمان داي سنة 1602م والحصول على اتفاق مبدئي يقضي باحلال السلم بين تونس وفرنسا، ثم وقع تجديد تلك الاتفاقية عبر ابرام معاهدات أخرى نذكر منها معاهدة 25 نوفمبر 1665م ومعاهدة 28 جوان 1672م ومعاهدة 30 أوت

1685م ومعاهدة 10 جوان 1698م ومعاهدة 28 جوان 1699م. وقد وردت نصوص هذه المعاهدات بدراسة PLANTET التي تزخر بنصوص المعاهدات والرسائل بين دايات الجزائروملوك فرنسا من جهة وبين هؤلاء وبايات تونس من جهة اخرى.

فعلى غرار سياستها مع السلطة التونسية سعت فرنسا الى عقد معاهدات واتفاقيات عديدة مع الجزائر نذكر منها تلك التي عقدت في 12 مارس 1619م وفي 19 سبتمبر 1628م ثم في 9فيفري 1661م ثم في 24 سبتمبر 1689م وهي المعاهدة المعروف بصلح المائة عام.

وقد نسجت القوى الأوروبية الأخرى على نفس المنوال، فتمكنت هولانده على سبيل المثال سنة 1662م من فرض معاهدة سلم وتجارة مع السلطتين في تونس والجزائر، واتبعت انقلترا نفس السياسة مراوحة بين استعمال القوة وبين ابرام المعاهدات، فعقدت معاهدة مع تونس في 15 أكتوبر 1662م ثم وقع تجديدها في 2 أكتوبر 1682م،

وبعد 14 سنة من الحرب والعداوة استولى فيها الجزائريون على 350 مركبا وأسروا ستة آلاف انجليزي ركنت انجلترا الى ابرام صلح مع الجزائر سنة 1682م.

هذا وتجدر الملاحظة الى فشل الدول الأوروبية في عقد نفس المعاهدات والحصول على نفس الامتيازات مع المغرب الأقصى، ولن يتأتى لهم ذلك الا بعد وفاة المولى اسماعيل.

ان تعدد المعاهدات بين القوى الاوروبية ودول المغرب العربي ولا سيما الجزائر ليعبر عن مكانة هذه الاخيرة ونجاحها في تحقيق ذلك التوازن السياسي والعسكري بل عن تفوق واضح للدول المغاربية في كثير من الاحيان.

ذلك ان المعاهدات المختلفة والمتعددة المذكورة آنفا لم تكن كافية لارضاء السلط المغاربية وحملها على التخلي بصفة نهائية عن القرصنة، فلجأت مختلف الدول الأوروبية بل أجبرت في كثير من الحالات على دفع ضرائب وهدايا كلما تم ابرام معاهدة او بمناسبة فداء أسراها او كلما قدم قنصل لها جديد بعواصم المغرب العربي.

هكذا تمكنت اهم البلدان الاوروبية من حيث ثقلها التجاري من تحييد القراصنة المغاربة خلال القرن XVII فلم يبق امامهم الا سفن جنوة والبندقيّة ونابولي وصقلية وسردانيا وكرسيكا الى جانب اسبانيا والبرتغال ومالطا بالخصوص.

فقد أصبح فرسان مالطا زعماء القرصنة المسيحية والحاملين للوائها بالمتوسط، فتمكنوا بمعاضدة القوى الأوروبية ولا سيّما فرنسا من الرّدّ على القراصنة المغاربة والقيام بحملات عديدة على السّواحل المغاربيّة لا سيّما على السّواحل التّونسيّة من جزيرة جربة إلى بنزرت.

على أنّ نشاط القرصنة في المتوسّط الغربيّ عرف عدّة تطوّرات وتحوّلات بعد القرن XVII ممّا سيكون له تأثير واضح على العلاقات الأوروبيّة المغاربيّة ومن أبرز التحولات التي يجدر بنا الوقوف عندها هي بروز البلاد التونسية خلال القرن الثامن عشر كأول قوة في المغرب العربي من حيث النشاط القرصني وأهميته.

فبعد أن كانت الجزائر طوال القرن XVII تتزعم القرصنة المغاربية اذ كانت قادرة على تجهيز حوالي 75 سفينة سنويا، لم تتمكن الفئة الحاكمة بها من تطوير أسطولها خلال القرن الثامن عشر بل ان عدد القطع المجهزة انخفض الى حوالي عشرين قطعة.

أما بالمغرب الأقصى فالبرغم من تواصل حركة الجهاد ضد الاسبان والدول الأوروبية عامة فان قراصنة سلا قد تمّ الحد من نشاطهم.

ويمكن تفسير الدور الذي لعبته البلاد التونسية ومكانتها في القرصنة المغاربية حسب فالنسي بالدور الذي لعبه أعيان البلاد ولا سيما فئة

اللزامة وكبار التجار من أمثال عائلة الجلولي وبن عياد وغيرهم علاوة على الدعم الذي كان يجده القراصنة من البايات الحسينيين وخاصة منهم حمودة باشا. فقد عرفت القرصنة في عهده انتعاشا واضحًا تعبر عنه تلك الحملات التي اسفرت عن أسر عدد هام من الأوروبيين من ذلك حملة القبطان محمد رايس سنة 1798م على جزيرة سنيبرة التابعة لسردانيا وأسره لزهاء ألف نسمة من سكانها. وبالرغم من تقلص الاسطول البحري الجزائري فان قراصنة الجزائر قد استغلوا اضطراب الأوضاع في المتوسط بسبب الحروب النابولونية ليكثفوا من حملاتهم ضد السفن التجارية الأوروبية. ولعل أشهر الحملات تلك التي كان يقوم بها الرايس حميدو.

ولقد حاول السلطان العلوي مولاي محمد بن عبد الله تقوية الأسطول المغربي تهيئة المراكب للجهاد البحري فضلا عن تحصين الثغور وتحرير البعض منها ولا سيما تحريره للبريجة سنة 1182هـ لكن رد فعل الأوروبيين على ذلك كان قويا اذ بادرت فرنسا واسبانيا بشن هجومات عديدة على السواحل المغربية ولا سيما على قواعد القراصنة في سلا والمهدية والعرايش، وانجر عن ذلك عقد السلطان مولاي محمد بن عبد الله في 28 ماي 1767 معاهدة صلح مع فرنسا تعتبر من قبل المؤرخين النهاية الفعلية للقرصنة المغربية فضلا عن دخول المغرب الأقصى في مرحلة جديدة في علاقته بالدول الأوروبية ألا وهي مرحلة التقارب السلمي وعقد المعاهدات ومنح الامتيازات للأجانب.

وقد حاول فرسان مالطا قبل زوال نظامهم سنة 1798 الرد على القرصنة المغاربية فتمكنوا من أسر حوالي ألف أسير مسلم فيما بين 1780 و1798 وبالتالي من ارباك القراصنة المسلمين.

على ان الانتعاشة الظرفية للقرصنة المغاربية في نهاية القرن XVIII وبداية القرن XIX لم يكتب لها الدوام. فبمجرد ان تفرغت الدول الأوروبية في مؤتمر فيينا طرحت قضية القرصنة الشمال إفريقية على طاولة المفاوضات فأفضت الى تكليف اللورد ايكسموث بالاتجاه الى الجزائر وبقية بلدان المغرب العربي ليبلغها قرار المؤتمر بإلغاء القرصنة وإطلاق سراح الاسرى الأوروبيين، ولم يجد اللورد إيكسموت صعوبة في تحقيق ذلك ولا مقاومة من قبل بايات

تونس في حين اضطر الى استعمال القوة امام تعنت الـ...اج عمر داي، فقام الاسطول الانقليزي بإعانة الاسطول الهولندي والذي كان يقوده فان كابل Van Capellan بقذف مدينة الجزائر في أواخر شهر أوت سنة 1816م وأسفرت الحملة على اطلاق سراح حوالي 1200 أسيراً أوروبيا وتقديم اعتذار رسمي الى إيكسموث والتعهّد بإلغاء القرصنة.

وقد حاولت الدول المغاربية بعد هذا التاريخ احياء القرصنة بالقيام ببعض الحملات اليائسة لكن انقلاب الظرفية في المتوسط بخروج الدول الأوروبية من حروبها لم يعد يسمح للدول الواقعة على الضفة الجنوبية بالوقوف أمام القوى الرأسمالية الصاعدة عموما ولا سيما انقلترا وفرنسا بالرغم من هزائمها في أوروبا.

لقد ولّى عهد الانتصارات المغاربية وانقضى.فبعد الصمود والتفوق اللّذين أبدتهما تونس في حروبها ضدّ فرنسا بين 1740 و1742م وبين 1760 - 1770م وبعد انتصاراتها على البندقية في ما بين 1784 - 1792م أصبحت البلاد التونسية في مطلع القرن التاسع عشر سوقا للتجارة الفرنسية.

وتنطبق نفس الملاحظة على الجزائر التي حققت انتصارات عسكرية على حساب اسبانيا في عدّة مناسبات نخص بالذكر منها سنة 1775م إذ فشلت حملة الكونت أوريلي Le comte Orilly وسنة 1783م التي شهدت فشل حملة دون أنطونيو Don Antonio على الجزائر، فاضطرت اسبانيا في مرحلة أولى الى ابرام معاهدة صلح ثم الى التخلي نهائيا عن وهران والمرسى الكبير في مارس 1792م.

يتضح من خلال استعراض العلاقات المتوترة بين الدول الأوروبية والدول المغربية من خلال نشاط القرصنة اتجاه الطرفين بصفة دائمة الى المراوحة بين الحرب والسلم بل الى تغليب هذه الحالة الأخيرة كلما سمحت الظرفية بذلك.

فقد أصبح اليوم في ضوء الدراسات الحديثة من البديهي القول إنّ ظاهرة القرصنة او الجهاد البحري قد وقع تهويلها من قبل الأوروبيين خاصة،

ذلك أن القرصنة المغاربية تحولت أثناء القرن الثامن عشر بالخصوص الى قطاع اقتصادي رديف إن لم نقل ثانويًا مقارنة بالتّجارة السلمية.

II ـ العلاقات السلمية واكتشاف التقدم الأوروبي

إن التيارات التجارية باتجاه شمال ـ جنوب البحر المتوسط لم تنقطع ولم تتوقف حتى بين البلدان المتعادية، فلسنا هنا بحاجة الى التدليل على أهمية المبادلات التجارية بين دول المغرب العربي والدول الاوروبية المتوسطية، على أنه تجدر الاشارة الى بعض المميزات التي امتاز بها التبادل التجاري بين الطرفين الأوروبي والمغاربي قبل سنة 1830.

فاذا ما استثنينا العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى واسبانيا فانه يمكن ان نلاحظ إقبال التجار الأوروبيين وخاصة منهم الفرنسيين على تونس والجزائر واستئثارهم بالحركة التجارية وما تولّد عنها من أرباح.

فلقد استغل التجار الأوروبيون ما لهم من تفوق في ميدان صنع السفن وتجهيزها لنقل بضائع التجار المغاربة من المغرب العربي واليه، كما اعتمد التجار الأوروبيون على قناصلهم وعلى البعثات الدبلوماسية للحفاظ على امتيازاتهم وعلى الحقوق التي تخولها لهم المعاهدات التجارية المشار اليها آنفا.

فقد كان لفرنسا تمثيل قنصليّ بالجزائر منذ 1534م وبتونس منذ سنة 1577م.

كما كان للبندقية تمثيل قنصلي بتونس منذ 1580م ثم تبعتها انقلترا بداية من 1599م ثم هولاندا في 1616م.

وعلى العموم تحوّل تناصل الدول الأوروبية الى أحسن ممثل لمصالح المركنتيلية والاقتصاد الرأسمالي ذي النزعة التوسعية الواضحة، فانتعشت المبادلات التجارية بين المغرب العربي وميناثين أوروبيين هما مرسيليا والقرنة.

ولقد بينت الدراسات الحديثة والتي غطت القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر احتكار ميناء مرسيليا للتجارة مع تونس والجزائر على حد سواء. وفي هذا المجال احتكرت الشركة الافريقية التي كان مقرها مرسيليا وذلك منذ تأسيسها النصيب الأوفر من المبادلات والأرباح.

فقد كان لهذه الشركة الفرنسية بالخصوص الى جانب الشركات الجنوية عدة حقوق وامتيازات تمكنها من صيد المرجان على السواحل شمال الافريقيّة وبالخصوص احتكار تجارة المواد الفلاحية ولا سيما الحبوب. ولعل من أهم المراكز التجارية التابعة لها يمكن ان نذكر تامكرت بتونس والقالة وعنابة وكلو بالجزائر ...الخ.

لذلك يمكن لنا القول بأن التجارة الفرنسية المغاربية كانت تجارة حبوب بالأساس طيلة العصور الحديثة وقبل ان تتحول الى تجارة زيوت بعد 1815 ـ 1830م فقد كانت الحبوب المغاربية من تونس والجزائر خاصة تمثل ما بين 15 و30% من جملة الحبوب التي تستوردها فرنسا عن طريق ميناء مرسيليا وذلك ما بين 1780 ـ 1790م.

أما الواردات المغاربية من مرسيليا فكانت تتكون بالاساس من عدة منتوجات لم تكن بالضرورة من انتاج فرنسي، من ذلك الصوف الاسبانية والسكر والقهوة وغيرها من المواد الصناعية وخاصة المواد الحديدية المصنعة بانقلترا.

أما المبادلات التجارية مع القرنة والمواني الايطالية عموما فقد كانت تتميز على الصعيد الاجتماعي بسيطرة اليهود عليها. فقد تكونت عدة شركات عائلية من أمثال اللمبروزوLumbroso وكوستا Costa وغيرهما من العائلات اليهودية التي استقر البعض منها بتونس لمراقبة التجارة والمبادلات مع القرنة.

هذا وتحتل البلاد التونسية بصفة عامة المرتبة الاولى في التبادل التجاري بين المغرب العربي والمواني المتوسطية الأوروبية.

فلقد عمل البايات الحسينيون عكس بقية الأنظمة في الجزائر وفي المغرب العلوي على دعم العلاقات التجارية والسلمية عموما مع أوروبا ومع الشرق العربي على حدّ سواء، بل ان البايليك تحول في كثير من الاحيان الى تاجر لما كانت توفره التجارة المتوسطية خلال القرن الثامن عشر بالخصوص من أرباح مالية.

فقد كانت المبادلات التجارية بين الطرفين الأوروبي والمغاربي مربحة بالنسبة للطرف الأخير وذلك حتى انقلاب موازين القوى في بداية القرن XIX ذلك أن الدول المغاربية كانت تصدر المواد الفلاحية ولا سيما الحبوب وتبيعها بأثمان مرتفعة نسبيا ولا تستورد المصنوعات الأوروبية الا بقدر محدود.

تبعا لذلك غنمت الطبقة الحاكمة بدرجة أولى وفئة الحرفيين والتجار والوسطاء ارباحا مالية هامة ومكّن الاتصال مع اوروبا من الحصول على أموال هامة ورصيد من العملة الذهبية ولا سيما الريال الاسباني الذي كان يمثل أقوى عملة في المتوسط.

وحري بالقول ان العائدات المالية والمادية المنجرة لبلدان المغرب العربي من خلال القطاع البحري بشقيه القرصني والتجاري لا تمثل الا جانبا من المؤثرات الأوروبية على المغرب العربي في الحقبة التاريخية السابقة لسنة 1830م.

ذلك ان الاتصالات بين الغرب والشرق عامة التي عرفت الاوروبيين بدون شك بخصائص العالم الاسلامي عموما والمجتمع «البربرسكي» les Barbaresques خصوصا لم تكشف لهؤلاء عن الجوانب السلبية فقط لأوروبا وانما كشفت عن نواحٍ أخرى من الحضارة الأوروبية وتقدمها.

فبعد أن غاب الخطر الديني والعقائدي أو «الصليبي» بداية من العصور الحديثة بدأت نظرة المغاربة تتغير تجاه الأوروبي.

فقد ساعدت روح التسامح الديني في الولايات العثمانية ولا سيما في تونس والجزائر على استقطاب الأقليات الدينية المضطهدة في الغرب ولا سيما اليهود الذين اطردوا من اسبانيا والبرتغال، فانتشروا بداية من أواخر

القرن الخامس عشر في عدة مدن مغاربية. ومثلت هذه الأقليات وما جلبته من تقنيات وأنماط عيش غربية ظاهرة وعلامة من ابرز علامات التلاقح الحضاري في تاريخ العلاقات المغاربية الأوروبية.

وتواصل انتقال الأوروبيين وزياراتهم بل واستقرارهم في المغرب العربي عبر الفترة، فالى جانب الأسرى والمماليك والرحالة احتوت المدن الكبرى المغاربية كما اسلفنا على جاليات من التجار والأطباء والحرفيين الأوروبيين الذين ساهموا في تغيير نظرة المحليين والتأثير عليهم.

أما من الجانب المغاربي فباستثناء بعض المبعوثين الرسميين وبعض التجار والأسرى فاننا لا نجد من كانت له دراية واسعة بدار الحرب وحضارتها، ذلك ان العديد من العوائق حالت دون تكثيف الاتصالات والزيارات، فإلى جانب العامل الديني لا ننسى العامل اللغوي.

ومهما يكن من أمر فان النخب المغاربية ولا سيما النخبة السياسية سعت الى الاطلاع على أوروبا والانفتاح على ما حققته من تقدم في الميادين العسكرية والتجارية والسياسية والطبيعية ... الخ.

ولئن لم يكن بإمكاننا تعداد كافة الاتصالات التي قامت بها النخب المغاربية قبل 1830 فانه يمكن الاشارة الى البعض منها.

فمن الجزائر يمكن ان نذكر على سبيل الذكر لا الحصر قيام جعفر آغا على اثر ابرام معاهدة تورفيل بسفارة إلى فرنسا، وقيام الوفد الجزائري بزيارة مدن عديدة واتّصاله بالملك الفرنسي ووزرائه. وتلت هذه السفارة سفارة أخرى لمحمد الأمين أفندي في جويلية 1630م على عهد الداي الحاج شعبان.

ومن تونس يمكن ان نذكر كذلك بعض البعثات الى فرنسا منها سفارة بابا درويش الى مرسيليا في 1671م وسفارة الشاوش رمضان الى باريس في 1660م.

هذا وتكثفت زيارات النخب التونسية الى أوروبا خلال القرن الثامن عشر وذلك للقيام بمهمات سياسيةوتجارية، بل ان البعض منهم كان يسافر الى بلاد الافرنج لقضاء شؤون خاصة من ذلك مثلا قيام حسين خوجة برحلة الى البلاد الأوروبية للتداوي سنة 1960م.

وقد ذكر الاستاذ رشاد الامام عددا من السفارات التي قام بها اعيان دولة حمودة باشا لعدد من البلدان الأوروبية نذكر منها سفارة سليمان آغا الى فرنسا في جانفي 1777م. وسفارة محمد خوجة الى فرنسا وكرسكة وبريطانيا سنة 1796م ثم سفارة سليمان ململي الى نابلي سنة 1797م ... الخ.

وتمت كذلك اتصالات عديدة بين سلاطين المغرب الأقصى وملوك أوروبا عبر السفراء. فقد تزايد عدد السفراء في عهد مولاي اسماعيل، ومن بين سفرائه الى اسبانيا كانت سفارة الوزير الغساني عام 1690م الذي ترك تقريرا مسهبا عن سفارته يمكن اعتباره من أهم المحاولات لتجديد النظر الى الغرب. وقد قام عبد الله بن عائشة عام 1699م بسفارة الى فرنسا وكشف في تقريره عن أحوال فرنسا وما وصلت اليه من تقدم في عهد لويس الرابع عشر.

لقد تعددت الاتّصالات بين المغاربة والأوروبيّين مع تفوّق هؤلاء في الاطّلاع والتّعرّف على بلاد المغرب العربيّ. وقد سعى كلّ طرف إلى توظيف معوماته واستغلال ما وجده عند الآخر والاستفادة منه. هكذا يمكن القول إنّ المغاربة لم يكونوا بغافلين عن حقيقة الاوضاع بأروبا ولا سيما ما حقّقته من تقدّم في المجالات العديدة وقبل الشروع في الاصلاحات السياسية والدستورية بكل من تونس والمغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر والتي كانت الى حد ما نتيجة المؤثرات الأوروبية فان المغرب العربي والعالم العربي الاسلامي عامة قد استفاد من اتصاله بالغرب وأخذ عنه في ميادين عديدة.

ففي مجال البحرية لا بد ان نلاحظ ان الاتصالات مع أوروبا ولا سيما من خلال القرصنة قد مكنت المغاربة من تطوير اسطولهم.

فقد كان الاسطول المغاربي يتكون خلال القرن السادس عشر من قطع صغيرة الحجم وتقليدية كالفركاطة Fregate والغراب Galère والغليطات Galiote وبالرغم من سرعة هذه السفن فانها كانت غير قادرة على الابحار في الأعماق وعلى الدفاع او الهجوم لقلة عدتها وآلاتها الحربية. ومع مطلع

القرن السابع ظهرت سفن جديدة وهي السفن المكورة او المستديرة والتي اخذها المغاربة عن الأوروبيين كالبطاشات pataches والغليون galion والشيطات. وقد استعمل هذه السفن المتطورة قراصنة سلا وساعدوا بقية القراصنة المغاربة على استعمالها، على انه من المؤكّد ان قراصنة الجزائر وتونس قد استوعبوا مختلف التقنيات البحرية الأوروبية من بعض الأسرى او المغامرين الاوروبيين.

فقد انضم سيمون دانسا Simon Dansa وأصله من فلاماند الى طائفة رؤساء البحر بالجزائر سنة 1606، وقدم خدمات كبيرة الى القرصنة المغاربية قبل ان يتعلق بخدمة ملك فرنسا سنة 1608.

هذا وقد كانت الدول الأوروبية المتصارعة فيما بينها تسعى للتحالف مع البلدان المغاربية فتمدها ببعض التجهيزات الحربية من ذلك مساعدة انقلترا للمغرب الأقصى في صراعه ضدّ الاسبان والبرتغاليين في مناسبات عديدة منها ما وقع في معركة وادي المخازن ومنها على سبيل المثال كذلك بيع انجلترا للذخيرة الحربية لمولاي محمد بن عبد الله العلوي ... إلخ.

ومن بين المؤثرات الأوروبية على بلاد المغرب العربي نتيجة ذلك الاتصال الدائم بين الطرفين يمكن ان نذكر انتشار بعض المواد الاستهلاكية والفاخرة منها بالخصوص في البلاطات والقصور الملكية وفي منازل الأعيان والنخب الاجتماعية، والحقيقة ان هذه الظاهرة والتي لم تحض بدراسات تاريخية الى اليوم لم تكن معدومة الأثر. فقد مهدت لتبدّل الأذواق والعادات الذي عرفه المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر لما تكثفت الاتصالات مع أوروبا واحتد الضغط الرأسمالي الأوروبي.

ولم تقف المؤثرات الأوروبية على المغرب العربيّ قبل 1830م عند هذا الحد فقد شملت جوانب اخرى من الحياة اليومية من ذلك انتشار طرق التداوي والأدوية الطبية الأوروبية نذكر منهم الطبيب الفرنسي الأصل الدكتور فرانك والذي أقام بتونس من 1806 الى 1814 حيث كان طبيب حمودة باشا ورئيس الأطباء، وقد ترك كتابا حول ايالة تونس أصبح اليوم من

أهـم المصـادر التاريخية. ويمكن ان نـذكر كـذلك مثال الطبيب الأنقليزي William lempriere والذي انتـقل الى المغرب الأقـصى سنة 1789م لمعالجة مولاي محمد وقد خلف بدوره كتابا عن هذه الرحلة.

ولعل احسن مثـال عن التـواصل بين شعوب الضفتين للبحـر الأبيض المتوسط هو انتـشـار اللغـات الاجنبيـة ببـلاد المغـرب العـربي لدى النخب السياسية ولدى التجار كالفرنسية والايطالية وما يعرف بـ Langua Franca.

فـقـد أصـبـحت هذه الأخـيـرة وهي خليط من اللغـات واللّهـجـات المتوسطية لغة التواصل بين سكان المنطقة.

مثلت العصور الحديثة بالنسبة لدول المغرب العربي اذن عصور تحول وانفتاح على ما يدور في المشرق العربي وفي الغرب على حد سواء، فبحكم الموقع الجغرافي وبحكم العلاقات الروحية والاقتصادية والسياسية بين المغرب العربي ومشرقه بقيت العلاقات متينة بينها وبقي الشعور بالانتماء للامة الاسلامية قائما وقويا لا سيّما لدى العلماء والفقهاء والعامة وهو ما حاولنا ان نبينه من خلال التواصل الثقافي خاصة.

لكن العامل الجغرافي والتحولات الاقتصادية والسياسية ولا سيما بروز الرأسمالية التجارية وتطورها من جهة والمحاولات الاستقلالية لحكام ولايتي تونس والجزائر من جهة أخرى حتّما مع الحفاظ على صلات شكلية أحيانا مع الباب العالي ربط علاقات مباشرة مع الدول الأوروبية.

ولئن بقيت هذه العلاقات متكافئة طيلة العصور الحديثة فانها تحولت بعد 1830م الى علاقة هيمنة وتبعية تامة للمغرب العربي للرأسمالية الأوروبية، ويبقى السؤال مطروحا خلال القرن التاسع عشر ألا وهو كيف يمكن للمغاربة الأخذ بأسباب التقدم الأوروبي مع المحافظة على كل ما يتصل بانتمائه العربي الاسلامي ؟

نصّ عدد 79 :

اعتراف دولي بأحمد المنصور الذهبي

ذكر وفادة ارسال ملوك الأرض للتهنئة بالفتح والخلافة ومباراتهم في الهدايا والمتاحفة واغرابهم بالذخائر النفيسة وفاخر الطرف واسنى التحف وبيعة صاحب برنوا من ملوك السودان.

لما سنى الله لأمير المؤمنين من غزوته الشهيرة السائرة الذكر ما سنى وصنع على يده من فتحها الذي عفى على ذكر الفتوح السالفة، في دول الاسلام منذ الصدر الأول الى هلم ما صنع وتحدث الناس بقتل الطاغية والاستيلاء على مئين من الوف امم النصرانية وغريب ما اتفق من هلاك الملوك الثلاثة وما كان لأمير المؤمنين من سورة التغلب وآية العز وشاعت اخبار ذلك الصنيع الخارق في المشارق والمغرب وسائر الآفاق وزويت لصيته الارض فطار ذكره وانتشر في المعمور خبره وشفع الله ذلك بما اصار اليه من الخلافة التي جلا عروس فتحها على منصة ذلك الفتح وبسط بها جناح العدل على الأمة خاطب لحينه صاحب القسطنطينيّة العظمى وسائر ملوك الاسلام المجاورين للمغرب وعرفهم بالفتح وظهور حزب الله على حزب الشيطان فأقيمت اسواق التباشير بنصر الملة واعتزاز الدين واعلاء الكلمة في كل أرض وارتفعت الى الله كلمات الشكر الطيبة في كل أفق وقطر فسمت بذلك ملوك الدنيا من أهل الملتين الى مخاطبة امير المؤمنين وايفاد ارسالهم عليه للتهنية بالفتح والخلافة فخاضوا اليه البحار وشقوا القفار متبارين في السبق الى حضرته الكريمة فكان اولهم ورودا على سدته الشريفة وأبوابه العلية المنيعة رسول صاحب الجزائر لاقترابه فبلغ الرسالة وأدّى الهديّة وكان فيها من فساطيط الهند الغريبة الشّكل والصّنعة وزرابي مبثوثة وطرف نفيسة ما يستحسن من أمثاله ثم تلته ارسال طاغية برتغال أنريك القائم بالدولة من

بعد ولد اخيه بستيان فريسة امير المؤمنين المنصور وارسال طاغية قشتالة فليب وكان الطاغيتان قد أوفدا معا قبل ذلك على أمير المؤمنين رسلهم الأولين يرغبونه في الامتنان عليهم بشلو الطاغية بستيان المواري بالقصر في تابته ووافوه ايام مقامه بمعسكره من ساحة فاس بين يدي ارتحاله لمراكش فتطارحوا عليه متضرعين وخاضعين لعز الاسلام فرأ أيده الله ما في اسلام الشلولهم والذهاب به إلى أرضهم من مزيد الفخر للاسلام وتجدد الأحزان لعبدة الاصنام بمشاهدته وغبطتهم برؤيته ونكايتهم بالوقوف على فريسته فامتن لذلك به عليهم واسلمه إليهم من غير عوض بعد ان كانوا مذعنين لبذل الأموال العظيمة فيه وتباروا لذلك في مكافأة امير المؤمنين ومجازاته بالحسنى فاوفدوا عليه رسلهم رهبة ورغبة ووافوا جميعا حضرته العلية الامامية في جمادي الأولى ومتفاوتين بيومين او ثلاثة وكان اسبقهم بلوغا لدار الخلافة صاحب برتغال وكانوا قد بلغوا الى البريجة بجمادى الأولى ثم تلقاهم بها خبر اعتلال امير المؤمنين بمرضه الذي وعك منه حينئذ وعكا شديدا فأقاموا هنالك الى ان أبل وجاءهم انه قد استقل من علته فوفدوا عليه ووصلوا مراكش بهدايا مرسلهم وكان يوم بلوغهم اليها يوما مشهودا عند اهلها تحدث الناس به دهرا لكثرة ما شهدوا من تلك الهدية.

أبو فارس بن عبد العزيز القشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، نشره عبد الله كنون، تطوان، 1964، ص 48 - 49.

نصّ عدد 80 :

سفارة سعدية الى اسطنبول سنة 999 هـ

وقد كنا لما وردنا على السلطان (أحمد المنصور الذهبي) أيده الله وجدنا عنده رسل العثماني ملك بلاد الترك والروم سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين صاحب القسطنطينية العظمى خاقان، قدموا من عنده بهدية عظيمة فأقمنا بالمحلة نلتقط درر الانباء ونتلقى در النعماء ونسرح في جهاتها، مرح العين في منزهاتها، خرج الامر العلي المطاع، وبرز الاذن السّلطانيّ الذي مخالفته لا تستطاع، ولا لما أمر به دفاع، فتوجهنا مع السيد الكامل الفقيه الفاضل، والكاتب الأرفع الأديب السميدح سيدي محمد بن علي الفشتالي حفظه الله تعالى سفيرين بهديته المباركة مع الرسل ووردنا بها على الأبواب العثمانية بالقسطنطينية قاعدة الملك بأقصى بلاد الروم وهي المعروفة عند أهل المغرب باصطنبول ...

ثم في اليوم الثالث من إقامتنا في المنزل الذي أعد لنا اذن لنا في الدخول على السلطان وادخال الهدية عليه فدخلنا عليه في إيوانه وهو واسع جداً كثير الاشجار وفيه أنواع من الوحش، وفيه قباب وبلاطات يجتمع فيه الوزراء والقضاة والكتاب والأمناء وأعيان الجنود ومن له به حاجة من العامة والأعيان، يوم الديوان خاصة وهو السبت والاثنين والاربعاء، يجلسون هنالك على الوزير في قضاء مآربهم ...

ودخلنا عليه نحن بعد الوزراء، فسلمنا عليه وناولناهم ما معنا من الكتب فأخذها الحاجب وخرجنا والهدية أدخلوها قبل دخولنا ففرحوا بها كثيرا وعجبوا منها وسلطانهم في راحة عظيمة ودعة.

ولقينا في هذه المدينة من فيها من الفقهاء والعلماء وأكثرهم حنفيون وبعض من وردها من فقهاء مصر شافعيون واما مذهب مالك لا يذكر هناك ولا يعرفونه، وكتبه اذا وقعت هناك تباع بأرخص ثمن وأهل تلك البلاد كلها على مذهب ابي حنيفة ...

فلما حان وقت السفر وتيسر أذن لنا في الدخول على السلطان للوداع، فدخلنا عليه في القبة التي سلمنا عليه يوم وردنا على العادة، وكسانا كسوة جيدة رفيعة قبل دخولنا اليه فسلمنا عليه، وخرجنا وعلى باب القبة مماليك مصطفين يحار الطرف في حسنهم ولباسهم ويعجز اللسان عن وصفهم، وناولنا اجوبة كتب الخليفة السلطان مولانا أحمد الشريف الحسني وهدية عظيمة مكافأة، وبعثوا معنا رسولين منهم فخرجنا في حفظ الله وركبنا السفينة عشية يوم الأحد سابع شعبان من العام المذكور (999هـ) وهو آخر يوم من ميه (ماي).

التمجروتي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتعليق سليمان الصيد دار بوسلامة تونس 1985 ـ ص ص 15 و 68. 72.

نصّ عدد 81 :

من سلطان المغرب الى الجناب العالي

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه من عبد الله المعتصم بالله المتوكل على الله المفوض أمره الى الله أمير المؤمنين الشريف الحسني العلوي وهو (خاتم باسم السلطان عبد الرحمان).

أيد الله جنوده ونصر أعلامه حيثما توجهت وبنوده الى المقام المنيع نستفتح بخطابه ابوابه العناية والتيسير ونستميح بمكاتبته بتيسير كل عسير ونستطلع به أوجه الاسعاد مشرقة القسمات ونستنشق من جانبه نوافح الوداد مسكية النسمات مقام من أحلته الرياسة درواتها وامطته السيادة صهواتها والبسته المفاخر ارديتها وعطرت بذكر الاكارم انديتها فأصبح واسطة عقد الدول وحايز مالم يحز الأول صاحب الفضل الجلي والقدير العلي الباشا السيد محمد بن علي أبقاه الله لدعايم الاسلام رافعا وعن حوزة الدين الحنيف مدافعا وسلاما تتعطر منه الأرجاء والأندية وتملأ نفحاته الاعلام والأردية ورحمة من الله تعم الأنا والاحيان وتتوالى ما توالى الملوان أما بعد حمد الله الذي وسع كل شيء رحمة وعلما واعطى من خص من خلقه حكمة وكلمة والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أشرق الوجوه بنوره وتباشرت العوالم بظهوره وعلى اله النجوم الثواقب وأصحابه اهل المفاخر والمناقب فانه بلغنا نفوذ حكم القضاء والارادة بوفاة وكيل المغاربةالحاج محمد بن عبد السلام براده والحاجة داعية الى من يقوم مقامه ويأخذ بيد من يرد لهم للظعن او الاقامة فرددنا الاختيار الى التجار الذين لهم الحاجة الى من يأخذ بأيديهم في الورود والصدور فوقع اختيارهم على التاجر الأزهى الحاج محمّد بن الطيب ابن عم المذكور لما علم من السعي المشكور والبر المشهود المشهور فوليناه الولاية وفق اختيارهم اذ نفعه ودفعه عايد على حجاجهم وتجارهم وهم

أعلم بمن يقوم بأمرهم على حسن المراد ويعامل الله في الأخذ بيد الضعفاء والفقراء في الأصدار والايراد والاعتماد في ذلك على عنايتكم المألوفة ورعايتكم التي هي الى العدل والاحسان مصروفة فانه بملاحظتكم يبلغ في ذاك الامل وبعنايتكم يرد الاهابة في القول والعمل فالمطلوب من سيادتكم العلية وسعادتكم الجلية ان تولوه من عنايتكم قسطا وتمنحوه برعايتكم معونة وبسطا وتكلفوا من يأخذ بيده فيما يعرض من الامور وتسألوا عن هذا كما هو المعلوم من سعيكم المشكور ابقاكم الله واعلام نصركم خافقة واسواق ثنائكم عامرة نافقة والسلام.

في 27 ذي القعدة الحرام عام 1260هـ.

دار الوثائق القديمة القلعة القاهرة، محفظة عدد 19 وثيقة عدد 69.

نصّ عدد 82 :

العالم والسلطان

وقد قتل السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ المهدي أيضا قبل دخلته الأولى لفاس الفقيه الامام المفتي الخطيب ابا محمد عبد الواحد بن العلامة الامام ابي العباس احمد الونشريسي وذلك انه لما ألح بالمطالبة لأخذ فاس وصعب عليه امرها قيل له لا سبيل له اليها ولا يبايعك اهلها الا اذا بايعك ابن الونشريسي فبعث اليه ورغبه فقال له بيعة هذا السلطان يعني ابا العباس احمد بن محمد الوطّاسي في رقبتي ولا يحل لي حلّ رقبتها الا بموجب شرعي وهو غير موجود فلما امتنع الونشريسي من الاجابة أمر السلطان محمد الشيخ جماعة من المتلصصين ان ياتوا به من فاس ويخرجوه بظاهرها فأتوه وراودوه أن يذهب معهم فلما امتنع من الذهاب معهم قتلوه ...

وكان ابو محمد عبد الواحد الونشريسي رحمه الله إمام وقته غير مدافع صحيح الدين متين الورع مهيبا ذا سمة حسن وحال مستحسن فصيح العبارة متقدما على أهل عصره في صناعة الانشاء وعقد الشروط والوثائق ... ثمّ امتدّ به الحال الى أن ولي القضاء بفاس مدة ثمان عشرة سنة ثم تخلى عنه الى الفتوى بعد موت الشيخ ابن هارون وكان شاعرا مجيدا له ازجال وموشحات مع رقة طبع واهتزاز عند سماع الالحان وآلة الطرب لاعتدال مزاجه وقوام طبعه.

ولما توفي ابوه قيل انه لا يحسن درس أبيه فجلس على كرسي ابيه بالمدرسة المصباحية لتدريس المدونة وحضر الناس يختبرون وحضر الامام ابن غازي فأجاد كما ينبغي فأعجب ابن غازي وقبله بين عينيه وقال لو لم تحسن الدرس لقمت مقامك حتى تحسنه وتأخذ مرتب ابيك لما كان بين ابن غازي

وبين والده من الصداقة وكان يحضر مجلسه اعيان الطلبة كالشيخ ابي محمد المساري صاحب حاشية المكودي والزقاق وغيرهما.

محمد الصغير الأفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، الطبعة الثانية - مكتبة الطالب - الرباط ص ص 32 ـ 35

نصّ عدد 83 :

السلطان والعلماء

كان بنو آقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتوا وممن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تحدّدت فيهم العلماء والأئمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة وكانوا من اليسار والسوّدد والدين لا يبالون بالسلطان فمن دونه. ولما فتح جيش المنصور بلاد السودان أبقاهم الباشا محمود على حالهم الى ان كان سنة اثنتين وألف فكان أهل السودان قد سئموا ملكة المغاربة وآنسوا منهم خلاف ما كانوا يعهدونه من سلطانهم الأول وكانت أذنهم مع ذلك صاغية لآل آقيت فتخوف المنصور منهم وربما وشي اليه بهم فكتب الى عامله محمود بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراكش فقبض على جماعة كبيرة منهم كان فيها الفقيه العلامة ابو العباس احمد بن احمد بن احمد ثلاثة أحامد بن عمر بن محمد آقيت المدعو بابا صاحب تكميل الديباج وغيره من التآليف وكان فيها ايضا الفقيه القاضي ابو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آقيت وغيرهما وحملوا مصفدين في الحديد الى مراكش ومعهم حريسهم وانتهبت ذخائرهم وكتبهم ...

وكان القبض عليهم في أواخر المحرم سنة اثنتين وألف ووصلوا الى مراكش في أول رمضان من السنة المذكورة واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف الى ان انصرم امد المحنة فسرحوا يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان سنة اربع وألف فعجزت قلوب المؤمنين بذلك. ولما دخل الفقيه ابو العباس على المنصور بعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب وبينه وبينهم كلة مسدولة على طريقة خلفاء بني العباس ومن يتشبه بهم فقال له الشيخ ان الله تعالى يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وأنت قد تشبّهت برب الأرباب فان كانت لك حاجة في

الكلام فانزل الينا وارفع عنك الحجاب فنزل المنصور ورفعت الأستار فقال له الشيخ اي حاجة لك في نهب متاعي وتضييع كتبي وتصفيدي من تنبكتوا الى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقي فقال له المنصور اردنا ان تجتمع الكلمة وانتم في بلادكم من أعيانها فان اذعنتم اذعن غيركم فقال الشيخ ابو العباس فهلا جمعت الكلمة بترك تلمسان فانهم اقرب اليك منا فقال المنصور قال النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فامتثلنا الحديث. فقال ابو العباس ذلك زمان وبعد قال ابن عباس لا تتركوا الترك وان تركوكم فسكت المنصور وانفضّ المجلس. ولما سرح الشيخ ابو العباس تصدر لنشر العلم واهرع الناس اليه للأخذ عنه ولم يزل بمراكش. الى ان مات المنصور لانه ما سرحهم حتى شرط عليهم السكنى بمراكش ولما توفي اذن ابنه زيدان لآل آقيت في الرجوع الى بلادهم بعد ان مات جماعة منهم بمراكش، وقد كان الشيخ ابو العباس يتشوق الى رؤية بلدته ويسكب العبرات عند ذكرها ولم ييأس من روح الله في العود اليها وله في ذلك شعر على طريقة الفقهاء ولما خرج من مراكش قاصدا بلده شيعه أعيان طلبتها فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر فيرجع سالما فانتزع الشيخ أبو العباس يده بسرعة وقال لاردّني الله الى هذا الميعاد ولا رجعني الى هذه البلاد ثم لحق بتنبكتوا فاستقرّ بها الى ان مات سنة ست وثلاثين وألف رحمه الله.

أحمد بن خالد النصاري، **الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء III المطبعة المصرية 1304هـ ص ص 63.

نصّ عدد 84 :

تحرير مولاي اسماعيل للثغور

... وله نصره الله من الاعتناء بالله الثغور، والدرء في نحر العدو الكفور ما شاع وتداع، وامتلأت منه الأسماع وقد كان أمر الجهاد قبله ضعيفا جدا إلى أن كف النصارى عن أهل المغرب ذيل الأطمعا وتيقنوا بالخيبة والحرمان وقنعوا من الغنيمة بالاياب ... فكانت أول بلدة أناخ عليها بكلكله وأوجب عليها بخيله ورجله، مدينة المعمورة المسماة بالمهدية ... فتحها الله عى يده فله الحمد وذلك 14 ربيع الثاني عام 1092 دخلها فأسر بها من الكفار ثلاثمائة وقد تم فتحها والحمد لله على هذه النعمة.

وأما كيفية فتح طنجة فذكر صاحب (كتاب الأنوار) خبرها وهذه عبارته قال : سبب فتحها ان خليفة السلطان غور بأموره نصره الله الماء الذي كان يسقي منه اهلها منذ زمان، ثم حفر حفيرا بقرب الماء المسمى بساقية ابي الليف في ذلك المكان فانحدر الماء وانعكس لموضع يسمى بقبة السلطان بقرب وادي يعرف بوادي اليهود من تلك المواطن، فاشتغل العسكر بالحفير الى ان بلغوا الابراج التي احدها يسمى ببرج الدجاج، فهدموها بالبارود، وزادوا بالحفير حتى بلغوا قصبة مبنية بالجير تسمى بمرشان فدخولها عنوة، ففر من كان بها من النصارى الى طنجة وبعثوا الى رئيسهم مستغيثين فبعث اليهم الاجفان فركبوها فصاروا في البحر عابرين، فدخلها مقدم السلطان من غير عنف في تاريخ ربيع الثاني عام 1095.

وأما قصة فتح العرائش، بعد ان حاصرها المقدم المذكور ثلاثة اشهر ونصفا فافتتحوها ثم امرها ... وكان عدد نصارى العرائش قبل الاستيلاء عليهم ثلاثة آلاف ومائتين وحين ظفر المسلمون بهم اسروا منهم ألفين وقتلوا منهم اثنتي عشرة مائة، ووجدوا فيها في البارود العدة ما لا يحصى كثرة.

ومن الانفاض 180 منها 22 من النحاس والباقي من الحديد الشديد البأس...

فازداد المسلمون لذلك وأميرهم سرورا ونفرة وحل بالكفار لأجل فتح العرائش ندامة وحسرة، فدخل جميعهم الرعب براً وبحرا إذ دخلها المسلمون عنوة وقهرا وكان فتحها يوم 18 محرم 1101هـ.

محمد الصغير الأفراني، **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل الشريف**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية ـ الرباط 1962، ص 57 ـ 59.

نصّ عدد 85 :

ردع أهل الريف عن بيع الحبوب للأوروبيين

وفي عام 1228هـ بلغ السلطان (مولاي سليمان) ان اهل الريف يبيعون الماشية والزرع للكفار حيث قطع عنهم السلطان الوسق من مراسيه فتوجهوا للريف وكان واليه محمد السلاوي معرضا عنهم لا يلتفت اليهم وبعد أن يقبض اعيانهم ومن يفصل ذلك يوجهونه له يسرحه على طمع فاتسع الخرق وصاروا كلهم يبيعون للكفار فلما تحقق السلطان امرهم أمر رؤساء المراكب كلهم يتوجهون لمراسي الريف وكل من لقوه بتلك النواحي من مراكب الكفار ياخذونه فتوجهوا لذلك وقبضوا واسّروا فلم يغنه ذلك، وامر بالحركة للريف وجهز العساكر مع محمد السلاوي ووجه معه ولده ابراهيم بعساكر الثغور واهل الغرب وغيرهم وتوجهوا على طريق الجبل وخرج السلطان من فاس مع السواد الأعظم على طريق الجادة على تازة ثم على قارت فما احس اهل الريف الا بالعساكر محيطة بهم من كل وجه فنهبوهم واحرقوا مداشرهم واستخرجوا دفاينهم وولى عليهم السلطان احمد بن علي بن الصادق الريفي وتركه ببلادهم في جملة من العساكر يستخلص منهم الاموال ورجعت العساكر مع السلطان لدار ملكه ولا زال نصره الله في ترقيع ما يخرقه العمال فرحم الله المأمون الذي قال ما من خرق وقع في دولة الا وسببه العمال. واذا نظرت بعين الانصاف ونطقت بلسان الحق فهذا السلطان هو عمر بن عبد العزيز في وقتنا ولم يتقدم في دولة بني اسماعيل بعد أبيه رحمه الله احسن منه فضلا وعقلا وحلما وعدلا وكرما ومروؤة ودينا وصبرا وتجملا وحسن خلق ولين جانب ...

أبو القاسم احمد الزياني، **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**

Publié et traduit par O. Houdas,

le Maroc de 1631, Paris 1884, p . 105.

نصّ عدد 86 :

تعداد الأغربة التي بمرسى الجزائر
بأسماء الرياس والقراصنة في سنة 1588

- غراب بـ 24 صفّ من المقاعد، للباشا جعفر، مرتدّ مجري
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لمامي أرناووط قبطان البحرية
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لدالي مامي، مرتدّ يوناني
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لمراد، مرتدّ فرنسي
- غراب بـ 24 صفّ من المقاعد لمراد رايس الكبير، مرتدّ ألباني
- غراب بـ 18صفّ من المقاعد لفرو رايس، مرتدّ جنوبي
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لمراد ماترابلو، مرتدّ اسباني
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد ليوسف رايس، تركي الجنسية
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد، للاتبيا رايس، تركي المولد
- غراب بـ 20 صفّ من المقاعد لحمزة رايس، تركي
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد لمراد رايس الصغير، مرتدّ يوناني
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لسنان رايس، تركي
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لاسوس رايس، مرتدّ إسباني
- غراب ببـ 18 صفّ من المقاعد لأجيب علي، تركي
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد لأصام، جنوي
- غراب بـ 20 صفّ من المقاعد لدالوت، تركي
- غراب بـ 23 صفّ من المقاعد للقائد شادر

- غراب بـ 22 صفّ من المقاعدللقائد جيجي
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد لماريا مامي، مرتدّ جنوي
- غراب بـ 15 صفّ من المقاعد للقائد محمّد يهودي مرتدّ
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد لمامي شا، مرتدّ جنوي
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لمامي رايس، مرتدّ بندقي
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد لمامي شا، تركي
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لمامش غوش، مرتدّ بندقي
- غراب بـ 20 صفّ من المقاعد لمامي، مرتدّ كرسيكي
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لفدوان رايس، ابن مرتدّ
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لقاض رايس
- غراب بـ 19 صفّ من المقاعد لدوردي، مرتدّ يوناني
- غراب بـ 22 صفّ من المقاعد لجعفر منتاز، مرتدّ صقلّي
- غراب بـ 15 صفّ من المقاعد لحسن فرناري، مرتدّ جنوي
- غراب بـ 18 صفّ من المقاعد لقاري رايس، تركي
- غراب بـ 20 صفّ من المقاعد لقاره علي، ابن مرتدّ
- غراب بـ 20 صفّ من المقاعد ليوسف رنولار، مرتدّ نابولطان
- غراب بـ 20 صفّ من المقاعد لجعفر، مرتدّ جنويّ

غراب بـ 20 صفّ من المقاعد لمامي، مرتدّ كلبري

35 غرابا في الجملة، دون اعتبار الفرقاطات.

Dan (P). *Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli*, - Paris 1637, p270.

نصّ عدد 87 :

خروج الاسبان من وهران

... ثم لم يستقر الأمير ادام الله مهابته الأسدية وعزته الأبدية الا ثلاثة أيام حتى أتاه البريد من الجزائر بكتاب من السلطان صبح اليوم الرابع وهو يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذي الحجة ( ) والناس غافلون وقد حصل لهم الإياس مضمنه ان طاغية النصارى لما بلغه ما التزم عنه وكيله من كونه يدفع جميع ما انفقه الامير على الجهاد استهال ذلك واستكثره وعلم أنه، وان دفعه فان الامير لا يصبر عن طلب تلك البلاد ولا يقر له قرار حتى يطهرها من دنس الكفار ...

فكتب الى السلطان وفقه الله يقول : إنّي لا أدفع مالي في امر لا اتحقق دوامه لي كيف وهو مجاور لمن لا ينام عنه، غير اني أدعوكم لامر فيه النصف أسأل منكم ان تشرفوني بقبوله وهو اني أدفع لكم البلاد على الحالة التي تركها عليها المسلمون لما أخذناها منهم بمدافعها وابراجها ولا استثني من ذلك شيئا ...

فأجاب السلطان الطاغية بقبولها، فرجعت اليه رسله، وقد بلغه ان الامير رحل عن البلد، بعد الوعيد والتهديد، فأيقن ان وعيده مثله شديد أخرى رسله عن عجل تقرر الصلح وتشدد محكمه وتؤكّد مبرمه، فوردت أوائل المحرم فاتح هذه السنة على الجزائر، فقررت الصلح مع السلطان واثبتته فكان ما اتفقوا عليه انهم يدفعون البلد على ما ذكرناه أولا من كونهم يتركون بها جميع ما أخذوه من آلات المسلمين زمن أبي الشلاغم، وكان عدد ذلك ما ينيف على مائة مدفع، ويهدمون ما أرادوه مما استحدثوه بعد ويدفعون لدار السلطان اثني عشر ألف سلطاني كل سنة يؤدون في كل شهرين عند اخراج العطاء ألفين منها، ومتى أرست سفينة نجد وهران دفعوا عنها خمسة وخمسين ريالا اربعون لبيت المال والباقي لقائد المرسى وسألوا من السلطان خمسة من

أساراهم في ارضنا وألاّ يأذن لاحد من أجناس النصارى في التجارة بأرض وهران في مرساها الا ان يكون منهم، وان يتركهم يكتالون الف حمل من القمح كل سنة منها بسعر سوق المسلمين لا يزيد عليهم الوالي شيئا وان يبقوا ببلدهم أربعة اشهر آخرها يناير من هذه السنة وان يتأخر عنهم المرابطون المجاورون لهم فانعم عليهم السلطان بجميع ذلك بعد مشاورة الامير ورضاه...

أحمد بن محمد الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثّغر الوهراني**، تحقيق المهدي بو عبد الله، الجزائر 1973ـ ص ص 308 .309

نصّ عدد 88 :

رسالة من ديوان الجزائر الى السادة القناصل وحكام مدينة مرسيليا

الجزائر 25 أفريل 1623

بعد المقدّمة

«إنّنا نعلمكم بأننا توصّلنا بالرسالة التي حملها رجل كريم ووصل الى هنا. لقد تم قراءة رسالتكم وفهم محتواها بفضل الله ليكن في علمكم انه في الماضي، على عهد حسين، باشا الجزائر قد قمنا باطلاق سراح ما يزيد عن ثمانين اسيرا بدون فدية، من بين أولئك الذين جاءوا للاستيلاء علي ومعهم رئيسهم الذي تمّ أسره ونقل الى الجزائر وعومل معاملة كريمة ، ومراعاة لشرف كلمة سلطاننا تم ارسال هذا القبطان والكفار الآخرين اليكم، فبعد ان عوملوا من طرفنا معاملة كلها تكريم وعطف قاموا بقتل اولئك الذي أوفدناهم اليكم بدون ان يقترفوا مخالفة او ذنبا كما قتل سنان آغا مع ستين مسلما آخرين كذلك، لقد قاموا بهذا العمل الدنيء وأخلوا بالعهد وكانوا السبب في هذا العمل البشع، لقد قام قبطانكم هذا كذلك، بانزال اشخاص في اقاليمنا واختطفوا عددا من المسلمين الذين استرقوهم كما التقى ايضا ببعض مراكبنا فأغرقها وقتل من فيها، فهو لم يدخر جهدا من اجل القيام بأي عمل مؤذي يستطيع القيام به وبالرغم من ذلك فاننا لم ننظر الى أفعاله ولم نأخذها بعين الاعتبار.

إن قنصلكم الموجود هنا قد توفي بسبب الوباء والآن وقد وصلتنا رسالتكم التي تطلبون فيها الصلح وقرأناها ورأينا ما تقترحونه، وبما ان رغبتكم هو أن نتشاور ونتفق معا وان الذي مضى قد مضى، وإذا كنتم

ترغبون في الصلح حقيقة ابعثوا أحدا من رجالكم الأكفاء الى هنا وسيكون جوابنا بمشيئة الله هو ابرام الصلح والسلام على من اتبع الله وحده .

Plantet (E) : *Correspondances des deys d'Alger avec la Cour de France 1579* - 1833, p. 5-6.

نصّ عدد 89 :

الرسوم الجمركية بمدينة الجزائر

لعام (1061هـ/ 1651م)

قانون ما يأخذ الكمرك من التجار على القماش في مدينة الاسلام الجزائر ادامها الله بوفق العسكر الله ينصرهم ...

ما يأخذ كمرك قماش هندي أمتع اصطنبول لكل قنطار 21 صم قماش مصر للقنطار 15صم، القطن وقماش تونس لكل قنطار 8 صم، قماش ستن لكل قنطار 15 صم، صندوق مستك للقنطار 21 صم، الفسيا الطناني لكل قنطار 8 صم، الدخان لنكليز لكل قنطار صغير 10 صم الديم مناني 10 صم القهوة 6 صم صايم لكل قنطار، الروز للقنطار 25 درهما، النيل الهندي على كل قنطار 15 صم، الورق 6صم، القطن المغزول 5.25 صم البغار 10.22، وحمايم 10.22... الصّنادق الزّجاج لكلّ قنطار 5 صم، فلفل لكلّ قنطار 6 صم، قرمز بلدي 5.25 صم شقة ملف لنكليز لكل شقة 1.25 صم الفوصيم 3 بالكبير، القرتب قنطار صغير 0.24 صم، الجبن 1 دينار امسالك لبيض والكحل 6 صم، القطن بلا مغزول 5 صم، الكحل الفاسي لكل قنطار3صم، ملح البارود لكل قنطار 3 صم، عن البارود 3 صم، شنب لكل قنطار 1.20، سمغ الغرب للقنطار 1.25 الطفل الفاسي للقنطار 3 صم، الطرصار للقنطار 1.29 صم الحديد ما يأخذ على القنطار 54 درهما لكل قنطار، والذي كبير ما يؤخذ عليه أربعة وخمسون درهما قزدير خمس ذهب قنطار صغير الكافور ما يأخذ عليه، سبع وعشرون ذهب، الكافور الخام ثمانية عشر ذهب للقنطار، اللبان لكل قنطار ثلاث ذهب، اللك للقنطار وتسع ذهب صم اللك الأحمر خمس ذهب الأوراع دينار وخمس وعشرون، قرنفل 25، سكنجبير 2 صم، نحاس أصفر عشرة ذهب كانكوت يأخذ الكمرك ثلاث ذهب والأحمر 5، زراب والكليم احدى عشرة ذهب، شد حايك تلمسان 6 حايك نطاوتي ستة حايك

الأحمر يقوّم ثلاث للمائة والسيات ان وجد فيهاسلع يأخذ السيات أمتع اللباس لا يعطى شيئا الذي باش يختمون يأخذ عليه المحتسب ...

قانون مدينة الجزائر ورد بجمال قنان،
نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر 1987.

نص عدد 90 :

هدايا القناصل إلى دايات الجزائر

وجريا على تقليد شرقي قديم، فان القنصل عندما يقدم أوراق اعتماد في الجزائر، يقدم أيضا هدية إلى الداي وإلى كبار الضباط في الايالة، وهذه العادة كانت في مبدأ الأمر، بدون شك، مجرد مبادرة للمجاملة والإعراب عن التقدير، ولكن بمرور الزمن وتضعضع أحوال الدول تقدم إلى أصحابها فلا تثير في نفوسهم أي شعور بالرضا.

وقبل أن يمنح القنصل الإذن بالنزول من السفينة التي تقله، يجري تحقيق حول ما إذا كان يحمل معه الهدية التقليدية، وهذه الهدايا حينما تقدم إلى أصحابها لا تثير في نفوسهم أي شعور بالرضا، بل على العكس، فكثيرا ما تعاد الهدايا إلى القنصل باعتبارها غيركافية، وعقب ذلك يدخل المهدي والمُهدَى إليه في مفاوضات في الموضوع تنتهي عادة في صالح الأخير.

وباختصار، فان الهدايا التي يقدمها القنصل في الجزائر لدى تقديم أوراق اعتماده، لم تعد تتسم بطابع منحة ودية، بل أن الأمر ذهب بولاة الأمور إلى حد المطالبة، بحجة أن القناصل لا يتغيرون في وقت قصير، بدفع الهدية مرة في كل سنتين. وهذا الدعاء استجابت له الدول التي تدفع الضرائب للجزائر. وكذلك أصبحت هذه الهدية تسمى الآن «هدية السنتين»، وفي حالات معينة، دفعت الهدية القنصلية وهدية السنتين باعتبارهما دينان أحدهما مستقل عن الآخر.

وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت تغير قناصلها كثيرا، بناء على شكوى سلطات الايالة، فقد كانت تقتصد في الهدايا التي قلما زادت على المبالغ السنوية التي تدفعها الدول البحريّة التي ترتبط بمعاهدات مع الجزائر.

ولكن فرنسا وإسبانيا، بحجة إبراز عظمة ملوكها كثيرا ما تدفع الهديّة القنصليّة ضعفين أو ثلاثة أو أربعة أضعاف.

وعندما يرسو أسطول أو سفينة حربية في مرسى الجزائر، تطلق المدافع واحدة وعشرين طلقة على سبيل التحية، وعقب ذلك، يقوم الأسطول أو السفينة الحربية برد التحية بعدد مماثل من الطلقات، ومتى نزل قائد الأسطول أو السفينة إلى البر، تطلق المدافع أيضا خمس طلقات تحية له، وهذه التحية تكرر عندما يرحل نهائيا.

ومتى استمرت اقامة اسطول أو سفينة حربية في الميناء ثلاثة أيام، أرسلت السلطات إليها هدية، وهي عبارة عن عجول ودجاج وخبز وفواكه وخضر، وبعد ذلك، يدفع قنصل الدولة التي يتبعها الأسطول، أو السفينة، 40 دولار للتحية ومبلغ 14 دولار في مقابل الهدية.

مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر
(1816-1824)، تعريب وتقديم اسماعيل العربي،
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزئر، 1982.
ص 65-66

نصّ عدد 91 :

قصف مدينة الجزائر بالقنابل من طرف الانجليز 1661م

سنة إحدى وسبعين وألف في دولة رمضان بولكباشي، أتت عمارة الانكليز بثلاث وعشرين سفينة كبارا وأراد يجدد الصلح الذي بينهم وبين اهل الجزائر وشرط شروطا ومن جملتها ان سفائن الانكليز اذا تلاقت مع سفائن الجزائر تجوز سفائن اهل الجزائر من تحت ريحها، وإذا ظهر منها علامة الانكليز لا يفتشها اهل سفينة الجزائر بل يخلون سبيلها، فأجاب أهل الجزائر بأن هذا شيء لا يمكن وإذا أراد ان يكون مصطلحا معنا، فيكون الصلح على الشروط التي كانت من قبل والا فلا صلح بينه وبيننا، وإذا أراد شيئا يفعل بنا فعليه بمباشرته بقدر جهده وطاقته وطردوه.

فمكث اللعين منتظرا الجواب يوافق غرضه ثلاثة وعشرين يوما، فحين أيس اللّعين من رجائه اصطف جفنه تجاه الجزائر وشرع بالرمي الى الابراج والى المدينة فقابلهم اهل الجزائر من الابراج ومن سور المدينة ودام القتال بينهم في ذلك اليوم الى المغرب فعند ذلك اقلعت سفائن اللعين مناطقهم وحلوا اقلاعهم وتوجهوا الى بلادهم خائبين خاسرين ولم يمت في ذلك الحرب الارجل واحد انجرح ومات بعد ثلاثة وعشرين يوما، واما من النصارى الملاعين فقد مات منهم اكثر من مائة وسفينة القبوا دانها اسقطت حتى ما وصلت الى ما يورقة الا بشق الأنفس.

وفي ذلك الوقت كان في الجزائر من السفائن التي تحل الطاقة من الاسفل اثنتان وأربعون سفينة، فعند ذلك شرعوا في شحن السفائن واخراجهم الى السفر، وباشروا في أخذ سفائن الانكليز فلم يمضي ستة أشهر وفي مرسى الجزائر اثنان وستون مركبا من الانكليز، والحال ان اهل الجزائر كانوا يغرقون اكثر الغنائم بعد أخذ النصارى ورفع ارفع امتعتهم.

ودام هذا الحرب بينهما الى ان جاء الانكليز الى الجزائر وصار يحلل على الصلح، فلم يقبلوا منه حتى قبل شروط أهل الجزائر، خمسة عشر قنطارا من البارود اثني عشر الف من الكور واعطى لأهل الجزائر، وفي هذا لحرب، الى ان اصلح اللعين مع أهل الجزائر ضيع اللعين سبعة عشر جفنا وقد ضيع أهل الجزائر من سفائن الملاعين الانكليز اكثر من خمسمائة جفن والحمد لله، رحمة الله على هؤلاء الرجال رحمة واسعة.

محمد بن رقية التلمساني

ورد بجمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر** الحديث، الجزائر، 1987.

نص عدد : 92

البيئة العلمية في النصف الأول من القرن XVII

أبو العباس أحمد المقري، رحمه الله، أمين

ومن جملة من نذكره هنا، وإن نأت داره، وبعد مستقره وقراره، الحافظ النحرير أفصح زمانه، ودرة وقته وأوانه، أبو العباس أحمد المقري، وأختم به أنشاء الله هذا التأليف. كان خطيبا بجامع القرويين بفاس، وأصله من مدينة تلمسان، قريب خطيب جامعها أبي عثمان سعيد المقري، وارتحل إلى فاس وقطن بها وحصل له من العلم واستعان عليه بالحفظ، وبعد فساد بلد فاس بتبدّل دولها بين أولاد أميرها وتداعت للخراب، ارتحل (عنها)، يقال انه عن خوف من الأمير الذي تولى إذ ذاك لكونه، فيما يقال، له خلطة بالأمراء والانتماء إلى بعض دون بعض، فنزل بدار الجزائر على فقهائها وعلمائها وتصدّى للتدريس بها وقرأ التفسير على ما قيل في أيام إقامته.

وسأله عالمها وخطيبها حبيبنا لله تعالى أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الملقب بكدّورة. وبيني وبينه محبة ورسائل، نفعنا الله بما فيها، فأرسل إليه لغزا في (هاج الصنّبر) نظمًا، فأجابه على ما قيل لي، بديهة لم يصادف المرام فأعاد عليه السؤال فتفطن وأبدع في المقال. وهو مشهور متداول فيما بينهم، وأجابه جوابا جيدا موافقا للسؤال ...

ثم سافر للمشرق واجتاز على تونس، وصَحِبَهُ منها إمام جامع الزيتونة بها أبو محمد تاج العارفين المذكور قبله، ولم يكن إذ ذاك متوليا للجامع المذكور وانما تولأه بعد قدومه من الحج، فسافر معا إلى الحج في البحر، وأقام أبو العباس المقري بمصر ودرس بها بجامعها الأزهر، ووالاه من فقهائها الشيخ أبو الحسن الأجهوري وهو صاحب الجواب الذي ذكرته عنه في تأليفنا (محدد السنان في إباحة شرب الدخان)، وأما الشيخ اللقاني فبلغني عنه انه

فئة وحده عنهما، وأهل مصر ونواحيها تحت أمره فيما / يقال، والله أعلم بصحة الأمر.

وظهر للمقري صيت عظيم بمصر، وقصد أشراف دولتها بالنظم وأجازوه غير ما مرة، وكذا تجارها، وتزوج بها بنتا من بنات السادة الوفائيّة، وتكرر حجه وزيارته، وأخبرني أبو عبد الله محمد بن باديس أنه لقيه حين سافر إلى الحج وحج معهم تلك السنة، وأخبرني عنه أنه ذو خلق حسن وله محبّة في المغاربة وكذا صاحبه الشيخ الأجهوري، وله مباسطة معهم وتواضع، وكذلك أخبرني عنه، أعني عن الشيخ الأجهوري، أي حبيبنا لله تعالى سيدي علي بن سيدي محمد آبهلول.

عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 223-224

نصّ عدد 93 :

الحياة الثقافية بتلمسان

ولما انتقلت من تلمسـ [illegible] ـعباد، واخترت العـزلة عن العـباد، انهـال علي [illegible] وفـقـهـاء ذلك العـصـر، بسـبب هذه الأبيـات [illegible] ـم جـبـة لبـاس، وقصدونا للأنس والمذاكرة، والمـ [illegible] عندهم من كتب الأخبار، وتواريخ من كان ببلدهم من [illegible] الأديب السميذع الأريب، خطيب مسجد أبي مدين بالعباد بتاريخ الامام المؤرخ أحمد بن يحيى البلاذري في ستة أسفار اتى بها من مصر لما كان مجاورا في مدة أعوام، وطالعت بها تاريخ سليمان بن اسحاق المطماطي وتاريخ هاني بن يصدور القوصي، وتاريخ كهلان بن أبي لؤي الأوروبي في أنساب البربر وأيامهم في الجاهلية والاسلام لأنهم كانوا نسابة البربر، وتاريخ العقباني في دولة بني زيان وتاريخ ابن مرزوق الذي سماه «نفي الوسن في محاسن أبي الحسن» وغيرها من كتب التاريخ من جملتها «واسطة السلوك في سياسة الملوك» الذي ألفه السلطان أبو حمو موسى الزياني ملك تلمسان ووجه هدية لسلطان الأندلس، ومدحه فقهاء الأندلس وعجبوا من سياسته وأدبه وحسن ضيعه، ذكره أبو عبد الله بن الخطيب في الاحاطة في ترجمة الأمير أبي حمو موسى سلطان تلمسان وذكر من غرر قصائد قصيدة أجاب بها أحد رؤساء اياالته خرج عليه وشق عصاه، ثم طلب منه الرجوع الى الطاعة والانخراط في سلك الجماعة فأجابه بها وهي من المفردات التي يعجز عنها غيره تأتي بعد هذا مع نظائرها فقيدت منها كل غريب زيادة على ما في الجريب.

وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية لاصلاح اللسان ولا يتعاطون الفروع الفقهيه والأحاديث النبوية، وأقمت بها سنة ونصفها، وشربت زلالها واستنشقت عرفها.

أبو القاسم ابن أحمد بن علي الزياني، **الترجمانة الكبرى**، تحقيق عبد الكريم الفلالي : 1967 ص 374.

نصّ عدد 94 :

الثورة الفرنسية كما يراها الراشدي

ولقد قام في هذه السنة (1789) منهم الجنس المعلوم بالفرانسيس وهم الفرنج على جميع علمائهم فنفوهم الى بلاد الأصبنيول وغيرها، وقتلوا ملكهم، وتركوا الناس فوضى لا ملك لهم ولا عالم، فهم يتصرفون كيف شاؤوا في امور الدين وامور الدنيا، والسبب في ذلك ان ملكهم كثر مصروفه حتى ضاق عنه ما في بيت ماله وخاف من الفضيحة بين الملوك فاستشار وزراءه فأشاروا باتخاذ رقاع مطبوعة لا يسوغ بيع ولاشراء ولا نكاح ولاشيء من المعاملات الا بها، وعين عليها ثمنا قليلا لكن يجتمع منه ثراء كثير، ففعل ذلك فلما وقف الناس عليه انكروه واعلنوا بعدم قبوله فلما بلغ الملك ذلك بعث لهم فقدم عليه من كل بلد اربعة فخرج عليهم كلمهم في ذلك فقالوا هذا لا نقبله ولكن هلم نعمل امرا فيه قضاء دينك والا بقاء على ملكك وهو ان يحمل اليك كل واحد ربع ما بيده جل او قل، فتراضوا على ذلك وكانوا على ثلاث فرق، فرقة رعية، وفرقة علماء، وفرقة الاكابر الذين لا ينالهم مغرم ولا غيره، فلما وقع ذلك الاتفاق انعزل عنه العلماء والأكابر فوقع شنآن آل الى ان اصطلحوا على ان يكتب كل من اراد شيئا مراده في رقعة ثم يجمعون الرقاع ويحسبونها فان خرجت رقاع الرعية اكثر عمل بقولهم ففعلوا ذلك فاذا رقاع موافقي الرعية الاكثر فانفصل الشنآن بينهم وخرج الأمر عن الضبط وتغلب العوام فحملوا يوما (14 جويلية) على برج لهم عظيم شديد التحصين بحيث لا يرام فهدموه في أقرب مدة وتغلبوا على ملكهم فبقي تحت يد قهرهم فأجروا عليه رزقا يكفيه مؤونة وفطموه عن الامر والنهي واتفقوا على أن يكون الامر للديوان بأن يجتمع كل سنة اثنان من كل بلد فيبرموا من الامور ما شاؤوا ابرامه ويفترقون ...

أحمد محمد الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر 1993 ـ ص 224. 225.

نصّ عدد 95 :

رأي الداي في أحداث الثورة في فرنسا

الجزائر في نوفمبر 1791

إننا قبل كل شيء نقوم بأداء الذي تستوجبه الصداقة بالسؤال عن صحة جلالتكم ونرجو من الله ان يبقي دائما متمتعا بالجلوس على العرش الذي يزينه بخصاله الحميدة وبلذات عهد مبارك ومجيد وهي المنة التي نطلبها من الله ببركة عيسى بن مريم الذي له شرف الكلام مع الله خالق الكون.

إننا نعرف السبب الذي عطل وصول السفينة التي أمرتم بتجهيزها وإننا لا نجهل بكونها نجمت من جراء الاضطرابات التي اثارها بعض من ذوي النفوس الشريرة والنوايا الخبيثة امبراطورية فرنسا لزرع الخلاف والشقاق في المقاطعات ... لم يحدث شيء من هذا التجمع للمشوشين والاضطرابات التي أحدثوها وخروجهم عن الطاعة وإنه ليستحيل علينا ان نصف لكم مبلغ السرور والغبطة التي شعرنا بها عندما علمنا بالخبر السعيد أنه بفضل القدرة الالهية وعونه الخاص كل شيء عاد الى مجراه الطبيعي وكل انسان عاد الى مكانه. قطع الله دابر العصاة والمتعنتين اينما وجدوا آمين ...

الأرشيف الوطني، باريس، الشؤون الخارجية

مجموعة ب 1 الجزائر وعدد 30 ورد بجمال قنان

نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث،

الجزائر 1987.

نصّ عدد 96 :

صدى الحملة الفرنسية على مصر بالجزائر

ولما أخذ الفرنسيس مصر، وبلغ خبر ذلك الى مصطفى باشا، استدعى القنصل الفرنسي وسأله عن ذلك، فاخبره بانهم اخذوها فاغتاظ الامير لذلك، وأمر ان يجعلوا قيد الحديد برجله، وان يخدم الحجر مع الأسرى واستدعى جميع قناصل فرنسا الذين بالجزائر مثل عنابة ووهران وعندما قدموا وضع القيود في ارجلهم مثل صاحبهم، يخدمون الحجر، وعندما بلغ خبرهم لفرنسا، كتب رجالها للسلطان فبعث لمصطفى باشا ليطلقهم، فرجعوا لبلادهم، وبقي مع الفرنسيس في العداوة الى ان فتح الله مصر.

وكانت المراكب الجهادية قد سافرت اثناء ذلك فالتقت مع اثنين من مراكب الفرنسيس فأخذوها غنيمة وبقي اصحابها أسارى الى ان وقع الصلح، وقسم الغزاة تسعة عشر سلطاني لكل غاز منهم، ثم سافر قاره دنكزلي في سفينة بلا ندرة فلقي سفينة فرنسيس وهو قريب من قالص فلما قربت سفينة الفرنسيس من البلاندرة ابتدأها المسلمون بالقتال فاطلقت السفينة مائتي مدفع على البلاندرة غيضا عليها لانها ابتدأت القتال والبلاندرة لا تضاهي السفينة ثم اخذها المسلمون ودخلوا بها الى قالص فقال رايس سفينة الفرنسيس للأسبانيول انهم أخذوني قريبا من بلادكم فابقي الاسبانيول البلاندة عندهما، ثم ارجعوها للجزائر، واما رجالها فقد ذهب بهم الفرنسيس الى بلدهم ولما وقع الصلح بعد الثلاثة سنين ارجعوهم للجزائر بعد ان اعطاهم البونابارتي عشرة دورو وزوز كساوي ملف لكل واحد.

وخرجت بعد ذلك فركاطة من الجزائر بقصد الغزو ورايسها الحاج علي ططار، فرأى يوما من الايام مركبا فجعل له اشارة ليأتيه فلما رأى المركز الاشارة هرب، فزاد اشارة أخرى، فزاد في الهروب فعندما لحقه ضربه بكورة مدفع، فرقد المركب وجاء رايسه في زورق فلما طلع سأله عن جنسه فقال له

فرنسيس فقال له : ولماذا هربت ؟ فاعتذر له، فأمر به فربطوه الى مدفع، وضربوه مائتي سوط، ثم أطلقه.

ومن عادة رجال البحر القرصان، انهم اذا لقوا مركبا وجعلوا له الاشارة ولم يأتهم فانهم يلحقونه فيؤذونه، وهذا الرايس الفرنسيس قيل انه مات من ذلك الضرب، ورجعت الفركاطة بعد تمام سفرها.

وبعد أيام من ذلك ظهرت عمارة بحرية على مدينة الجزائر، فلما قربت، رفعت راية الفرنسيس، وكانت مؤلفة من اربعة عشر سفينة، وفي تلك الأيام كانت وقعت طريفوة اي مهادنة بين الفرنسيس والانكليز، الى اجل معين، فلمّا ارست السفن، ذهب اليها القنصل مع قائد المرسى، فوجدوا فيها اخوي البونابارطي، وقالا لهما اننا نريد مقابلة مع الباشا فرجعا، وأخبرا الباشا بذلك، ومن الغد ذهب القنصل ونزل مع الأخوين والتقوا مع الامير فاخبره الاخوان بما فعل الحاج علي ططار مع الرايس الفرنسي، وانه مات من الضرب، وسأله عمن قتل نفسا عن عمد في دين المسلمين، فقال له : القاتل يقتل، فقالا له : نطلب منك ان تحكم عليه بشريعتك ثم خرجا من عند الامير لدار القنصل.

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980 ـ ص 76ـ 77.

نصّ عدد 97 :

رسالة من تجّار مسلمين الى كاتب الدولة للبحرية الفرنسية

الحمد لله وحده وصلى الله على جميع أنبيائه

سلام الله الأتم ورضوانه الاعم وتحيته الأبدية ونفاحته السرمدية تسلم وتشمل به الذات العلية والأخلاق المرضية الذي لا زالت أيامه مشرقة كالشمس وضحاها ولياليه مستنيرة كالقمر اذا تلاها واحكامه نافذة فلا يخاف عقباها حضرة الوزير الأعظم والسيد المكرم اسعد الله ايامه ويلغه في الدارين آماله آمين. وطال الله عمره ويجعل الله أيامه كل يوم بألف ألف يوم ولتعلم سيدنا بأننا نشتكيوا لك من خديمكم قنصل الفرنصيص متاع القرنة وما يعمل من التشطين والتملعين وحضرتكم وحضرة السلطان ما لكم خبر بما يفعل. تعلم يا سيدي بأنه هنا في القرنة نصراني اسمه قيطان فرانصيصكينو قرينر وعنده مركب اشتراه وعمره قرصان واشترك هو والقنصل متاع الفرنصيص باش يقدر يدخل بهم للبلدان متاع المسلمين ويعمل الذي يحب، والآن انه عمره وراح لواحد المكان يقال له رأس التين من وطن طرابلس وعمل سنجق فرنصيص ونزل للبرهو الطائفة متاعه وباع وشرا مع الناس يحسبوه فرنصيص على الامان، وثم بعد ذلك أخذ نحو خمسين روح وجابهم للبحر فزعوا عليهم العرب فكوهم منه وانحازوا عنده سبعة أرواح جوز نسوان وخمس أولاد وبنات بهذا الامر رحنا للقنصل وخبرناه ما حب يسمع منا كلام، قال هذا قرصان أنا ما عندي ما نعمل معه لانه هو شريك معه. والآن هذا والناس اتّخذوا بالسنجق الفرنصيص على الأمان ان كان السلطان متاع فرانصة يرضا هذا الفعل احنا لما نعود ولبلادنا ونعلم الحكام يبقى المركب الذي يجي فرنصيص يشدوه ولا بقا أحد يأمن في سنجق الفرنسيس لأجل هذا الفعل الذي يفعل القنصل متاع القرنة وجميع المسلمين الذين يطيح تحت

يده يبهذل فيهم بزيادة وهذه اليسرى (الأسرى) الذي جاب القرصان القنصل أخذ منهم اثنين بايو وهم الآن عنده في الداريخدم، وحاصل الامر نحن نخبروا السلطان متاعنا على هذا الأمر الذي يفعله، ويعطيو الكولب الفرنصيص ويبهذلوا بجميع الفرنصيص .

والسلام. من الحاج مصطفى أفندي تونسي الحاج علي بن عمر السكندراني مركانتي الحاج حسين اسطنبولي بازر كان الحاج عبد الله الطرابلسي بازر كان يوسف افندي جزابرلي بازر كان الحاج سلمان طرابلسي بازر كان الحاج عبد القادر المصري بزر كان الحاج عثمان أزميرلي بازر كان.

الأرشيف الوطني باريس البحرية مجموعة ب 7، 223 مكرر

ورد جمال قنان **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث** الجزائر 1987.

نصّ عدد 98 :

معاهدة استسلام الجزائر سنة 1830 :
اتفاق بين الكونت دي بورمون
القائد العام للجيس الفرنسي وسموه داي الجزائر

ـ تسلم القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح، على الساعة العاشرة (بتوقيت فرنسا).

ـ يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي لسمو داي الجزائر بان يترك له حريته وكذلك كل ثرواته الشخصية.

ـ يستطيع الداي ان ينسحب مع عائلته وثرواته الشخصية الى أي مكان يختار الاستقرار فيه، وما دام مقيما في الجزائر فانه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وأمن عائلته.

ـ يؤمن القائد العام لجميع أفراد الميليشيا نفس الامتيازات ونفس الحماية.

ـ تبقى ممارسةالديانة المحمدية حرة ولن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات ولا من دياناتهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم.

إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك.

إن تبادل هذا الاتفاق سيتم قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح وستدخل القوات الفرنسية بعدها مباشرة الى القصبة ثم على التوالي الى كل حصون المدينة والى البحرية.

في المعسكر امام الجزائر في 5 جويلية 1830

خاتم الداي حسين باشا

ورد بجمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث** الجزائر 1987.

نصّ عدد 99 :

معاهدة بين أتراك تونس وفرنسا

سنة 1604 :

لكي يتمّ توطيد إقامة السلام والاتحاد وحسن الجوار بين خدّام ملك فرنسا ورعاياه ونائب السلطان والجنرالات وضبّاط الانكشارية ورؤساء البحر بمملكة تونس، ولضمان ذلك، وهو المرغوب والمبتغى، من كلا الطرفين فإنه لا بدّ من توفير مطلبين : أحدهما إصلاح ذات البين عن حسن نيّة وقدر الامكان بخصوص ما فرط من الشتم والسب سابقا، والمطلب الاثني هو إصدار الأمر بخصوص المستقبل بأن تجب المحافظة على الامتيازات ومعاهدات الصداقة والتّحالف المبرمة بين ملوك فرنسا والسّلاطين العظام الأتراك وهي امتيازات ومعاهدات وقع تجديدها وإثباتها عهدا تلو عهد منذ سنة 1535م الى حدّ الآن ويجب السير على هديها واتباعها كما ينبغي.

وسعيا لإرضاء الرؤساء مثل نائب السلطان والجنرلات الانكشارية يطلبون ان يرسل اليهم جميع الاتراك والمسلمين الموجودين حاليا في الايقاف في بروفانسة على المراكب او بوجه آخر فان الحكومة وضباط جلالته في بروفانسة يريدون في المقابل ان يرسل اليهم جميع رعايا جلالته الذين هم في الرّقّ أو في الايقاف بالقوة في مملكة تونس المذكورة وأن يسلموا اليهم ويقع عتقهم في الوقت نفسه بدون ان يقتصر التسليم والعتق على أولئك الذين وقع اخذهم بسبب شرعي وكذلك قوّاد المراكب.

وأن يقع مثل ذلك بخصوص البضائع والسفن والغنائم الأخرى التي قنصها قرصان مملكة تونس المذكورة من رعايا الملك سواء أكانوا من أصيلي بروفانسة او اصيلي غيرها من ولايات فرنسا وخاصة منذ وفاة عصمان داي.

وان يقع انجاز الاتفاق الذي أجراه انطوان لويز وأنطونيو بننجيفو بخصوص بعض الرزم من الحرير.

إنّ امتيازات التحالف والمعاهدات المذكورة المبرمة بين ملوك فرنسا المذكورين وسلاطين الأتراك المذكورين يقع فيما بعد الاحتفاظ بها والالتزام بها وبعدم فسخها سواء من قبل من ذكر نائب السلطان وجنرال وقوّاد الانكشارية والقرصان من مملكة تونس المذكورة او من قبل ممثلي جلالته الملك المسيحي من ولاة وضباط ورعايا.

وبمفعول ذلك فان هذا الامتيازات والأخيرة منها بالذات، التي وقّعها السلطان أحمد امبراطور المسلمين، الجالس على كرسي السلطنة حاليا عام 1604م، والتي تتضمن الامتيازات السابقة وتثبتها سيقع من جديد قراءتها ونشرها في ديوان نائب السلطان لأولئك الانكشارية في الاماكن البحرية في مملكة تونس المذكورة والامر بالمثل كذلك بالنسبة الى القوم الذين يجلسون ببلاط برلمان بروفانسة وضباط ديوان امارة البحر للبلاد المذكورة لكي لا يدّعي أي مدّع جهلها. وفي طليعة هذه الامتيازات المذكورة وبمقتضاها فان الفرنسيين من اية ولاية كانوا من المملكة الفرنسية لن يقع تنغيصهم في متجرهم من قبل قرصان مملكة تونس المذكورة سواء انهم يلاقونهم في عرض البحر او انهم يرسون بمواني تلك المملكة ومدنها بأية تعلّة كانت أو أي وجه، وفي صورة ما اذا قنص القرصان المذكورون او غيرهم من مملكة تونس المذكورة بعض الغنائم او قاموا بتعدّ ما على الفرنسيين المذكورين فانه يجب ارجاع تلك الغنائم الى اربابها وتلافي ضرر التعدّي من قبل نائب السلطان وجنرال الانكشارية وقباطن البحر المذكورين وذلك عملا بمقتضيات الامتيازات المذكورة.

وعلاوة على ذلك فإن سفن مدينة الجزائر وجميع سفن القرصان الأخرى التابعة لأية أمة كان إذا هي اوقعت في قبضتها فرنسيين فلا يمكنها الارساء بمملكة تونس المذكورة، وفي صورة ما إذا هي أرست بتلك المملكة فان نائب السلطان بتونس والجنرال المذكور والقواد المذكورين يكون من واجبهم ان يحجزوا تلك الغنائم ويردّوها الى الفرنسيين اصحابها المذكورين ومقابل ذلك

فإن جميع السفن والبضائع لرعايا السلطان الكبير المذكور المنطلقة من مملكة تونس المذكورة سيقع اقتبالها ذهبا وإيابا في متجرها بموانئ فرنسا في كل امن وحرية وبدون ان يحصل لها بتلك الموانئ أي ضرر وعلى العكس يقع استقبالها احسن الاستقبال واذا ما حدث عكس ذلك فانه يقع تلافي الضرر تلافيا منصفا عادلا.

إنّ السفن والمراكب والبوارج التابعة لمملكة تونس المذكورة وللفرنسين المذكورين إذا ما هي تلاقت عبر البحر فان كل واحدة منها ترفع عاليا رايات مولاها وتؤدي التحية بطلقة مدفعية واحدة، وبذلك يقع التعريف بالهوية الحقيقية لكل منهما بدون ان يكون ممكنا او مسموحا ـ وفقا لذلك التعريف ـ بالدخول الى متن السفن من كلا الجانبين بالقوة او بتعلة الزيارة ولا باقامة اي مانع من أي نوع كان أمام وجهة السفن.

وإنّ البضائع المحمولة بالكراء والأجرة على متن سفن فرنسية ان كانت بضائع على ملك أعداء السلطان الكبير التركي فإنه لا يمكن ان تحجز على أنها بضائع لأعداء السلطان المذكور وذلك وفقا لمقتضيات الامتيازات المذكورة.

إنّ من ذكر من نائب السلطان وجنرال الانكشارية والرايس وقواد مراكب مملكة تونس المذكورة قد حضروا والتزموا بتنفيذ الفصول المذكورة أعلاه وبالحفاظ عليها ولذا لا تقع متابعتهم أو خصامهم بمناسبة الامور التي حدثت في الماضي وهكذا تعتبر هذه الوثيقة مبرئة تماما للذمة بخصوص ما حصل في الماضي.

وختم هذا النص بالامضاءات وبالتاريخ الموافق لسنة 1604.

الأرشيف الوطني التونسي

السلسلة التاريخية صندوق 205، ملف 72.

نصّ عدد 100 :

تونس والباب العالي

وجرت العادة في هذه المملكة ان أميرها يتقدم برضى اهلها ويجعلون في ذلك عرض حال للسلطان، فيوليه اتماما لرضى أهلها.

ولأميرها الاذن في التصرف بالمصلحة، من ولاية القضاة والعمال ورؤساء العساكر، وجباية الأموال وصرفها في المصالح، شأن ولاية التفويض الشرعية ...

وهذا التفويض المؤسس على الطاعة والانخراص في سلك الممالك العثمانية، مقرر معلوم من لدن الفتح عام احدى وثمانين وتسعمائة.

ثم ظهر للدولة العلية ابطال بعض عادات، وذلك في دولة السلطان محمود خان، منها ازالة ولاة لهم تفويض في محلّ ولايتهم، يسمى الواحد منهم دارا باي ثم سار ابنه السلطان عبد المجيد خان، على هذا المنهج، وألحق طرابلس بالداربيات، لما وقع من الحروب في آل بيت قرمانلّي كما تقدم.

وفهم ابو العباس احمد باي من حال الدولة العلية انها تريد إلحاق تونس بطرابلس، وما جاز على المثل، يجوز على المماثل، ولأن هذا التفويض ربّما يغتر به المغرور، فيدعي ما ليس فيه، لا سيما والسبب في هذا التفويض البعد عن دار الخلافة، وقد زال بحدوث مركب البخار.

ومن أسبابه أيضا ما كان بين أهل الملة المحمدية وأهل الملة المسيحية من الحروب وزالت بتقرر الصلح، الى غير ذلك من الأسباب التي نافاها حلل الوقت.

وتفطن لذلك المشير احمد باي لما جاءه اوياله باي بفرمان الولاية، في صفر سنة 1254 فانه طلب على لسان الحضرة السلطانية ترتيب مال معين في كل سنة تدفعه تونس للدولة ...

ولما طلب من الدولة العلية لقب مشير سنة 1256 ست وخمسين، انتهز وزراء الدولة العلية هذه الفرصة لالحاق تونس بطرابلس على غير حرب ولا سفك دم في الاسلام ...

ولما بلغ ذلك لأحمد باي سقط في يده وذهبت نفسه كل مذهب ممكن وعزّ عليه نقصان شيء مما اعتاده سلفه ورأى ذلك ذريعة لخروج هذه الولاية من بيته يوما ما ...

أحمد ابن ابي الضياف ، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان**، الدار التونسية للنشر، تونس 1989 ج 6، ص ـ ص 12 ـ 16.

نصّ عدد 101 :

سيدي علي عزوز

الحمد لله، أقيد الآن ما تلقيته عن ثقات من تلامذة الشيخ، أولهم في الذكر : الشيخ الفاضل المعترف بحقوق فضل تربية شيخه، المغترف من عباب موادر نيله وسبحه، من ظهرت عليه أنواره، وأشرقت عليه أسراره، المربّي السالك أخينا في الله سيدي علي أرنووط، ومن خطّه نقلت، قال : تزايد الشيخ سيدي عزّور بمدينة فاس سنة، وفي حالة شبابه، لازم خدمة شيخه وهو الشيخ الوليّ الصالح صاحب الكرمات الظاهرة / والاشارات الباهرة القطب المتصرف المشهور في أقطار المشارق والمغارب الشيخ سيدي أبو القاسم ابو للوشة، ـ نفعنا الله به ـ ونال منه، واكتسب عنه، وحجّ حجّتين في الأولى خامل الذكر، وفي الثانية وقع له ظهور، وبعد عوده من بلاد المغرب، أشار عليه شيخه سيدي قاسم أبو للوشة بالرحلة الى بلاد المشرق والتّوطّن بافريقيّة تونس فامتثل لاشارته وسار ودخل مدينة تونس وبعد مكابدته الشّدائد وحكاية يطول ذكرها ومنها سار إلى بلاد زغوان، وكابد الشدائد فيها أيضا، ومن جملة مكابدته ان كان يجمع الحطب، ويحمله على ظهره للجماعة التي كان معهم، هو في تلك الحالة بالجبل يجمع الحطب، إذا اجتمع بأربعة من رجال الله المتصرفين في ذلك الوقت، فتكلموا معه، وبعد كلام يطول، أشاروا له بزاوية يعمّرها ويطعم الطعام فيها، ويذكر فيها اسم الله، ويتلى فيها القرآن العظيم، والصلاة على نبيه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكفّلوا له بجميع ما ينوبها وتكفلوا له أيضا بحفظ جنابها بأن تكون مأمنا للخائف وإغاثة للملهوف، وكل ذلك في غامض علم غيب الله، ومن جملة ما تكفلوا له به عدم مؤنة حمل الرماد من مطبخته، إذ لم يتخلف بعد الوقد منه شيء، كما هو معلوم ومشاهد الى يومنا هذا، ثم سار الى الحجّ وحجّ حجّتين، وشاع ذكره في بلاد المشرق، خصوصا بمصر ورشيد وغيرهما

وأخذ عنه خلق كثير ولقنهم، وله تلامذة قائمون بوظائفه، سالكون طريقته في مصر ورشيد الى يومنا هذا، ثم رجع الى زغوان ومنها عاد الى بلاد المغرب فوجد شيخه توفي وسار الى عفو الله تعالى، ومنها أيضا عاد الى بلاد زغوان واشترى دارا وهي الدار الملاصقة للزاوية الآن، وفيها كانت تجتمع عليه الفقراء والمريدون، وهناك كان اشتغالهم بقراءة القرآن العظيم، ودلائل الخيرات، والأذكار، وإحياء الليالي بالعبادة، والقيام، وفي كل عشية جمعة تقرأ الوظائف، ثم قصيدة البردة، وبعده يقومون على الأقدام لحضرة الذكر، والشيخ وسطهم، وترتكبه حالات أخرى، وينطق لسانه بكثير من المكاشفات، وما شهدته الناس وما سمعته يسعه عدّة من الأسفار، ودام على هذه الحالة، واجتمع عليه خلق كثير، وازدحمت الناس عليه، وكثر مريدوه.

[illegible]ما المعروف بالحفصي من أمراء تونس كان في ال[illegible]، وحالاته وسيرته، فدخل الى بلد زغوان في ع[illegible] كان في حشرة الذكر غائبا في حالاته، قال : ف[illegible]ار اليه، وتكلم بلسان طلق، مكاشفا بما في خ[illegible]خيرا، وكان له مراكب في البحر بنية الغزو، و[illegible]ال[illegible] حقق الله مقالات، هذا الشيخ، وأتاني الله بغنيمة من هذه المراكب التي هي في البحر، بنيت له زاوية، فصدق الله الشيخ في مقالاته، وكان من قدر الله بعد أمد قريب وردت عليه البشائر بغنائم جليلة من تلك المراكب المذكورة، فوفّى بالنّذر وبنى له زاويته التي هي مشهورة به الآن، وبها دفن رحمه الله ونفعنا به، وقبره هناك، يزار ويتبرك به، وهي زاوية عظيمة عامرة، كحالة حياته، قائمة بوظائفها، وطعامها مبذول للصادر والوارد، سالكين طريقته، تقام بها الصلوات الخمس، وتقرأ فيها الوظائف عقيب كل صلاة، وله تلامذة وزوايا في كثير من بلاد افريقية، قائمون بوظائفه وسالكون مسلك طريقته، فأول زاوية له ببلد بني غالب رأس الجبل، وأخرى ببلد تاستور، واخرى بمدينة تونس وشهرتها تغني عن التعريف، وأخرى ببلد نابل عامرة أيضا، ورسم وظائفه، وأحزابه ببلد صفاقس، وأخرى

بخارج مدينة تونس من باب قرطاجنة قريبة من حومة الاندلس، وفي اماكن كثيرة متعدّدة.

حسين خوجة، **ذيل بشائر أهل الايمان بفتوحات آل عثمان**، تحقيق وتقديم الطّاهر المعموري، الدّار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ 1975 ص ص 287 ـ 298.

نصّ عدد 102 :

سفارة إبراهيم الرياحي
الى المغرب الأقصى

واختاره الباي ابو محمد حمودة باشا، سفيرا للسلطنة الشريفة بالمغرب، على عهد ابي الربيع مولانا سليمان ابن مولانا محمد بن مولانا عبد الله ابن مولانا اسماعيل، في غرض جلب الميرة لهذه الايالة، في مسغبة، وذلك سنة 1218، وتقدم في ترجمة شيخه ابي حفص عمر المحجوب، المكتوب الذي أصحبه اياه، فجلّى في ميدان السفارة، وقابله السلطان باحتفال ومزيد إجلال، وانشده قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار

فلنا بزورة نجله استبشار

أوليس نور المصطفى بجبينه

كالشمس يظهر نورها الاقمار

ثم بلغه وهو بحاضرة فاس، عمرها الله، ان السلطان وقف درسه في «التفسير» عند قوله تعالي :«واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل»، فجاءه البشير بان سفينة من سفنه الحربية، غنمت من سفن اهل حربه غنيمة، وحسن موقع هذا الاتفاق، فهنأ السلطان بقصيدته الشهيرة التي مطلعها :

دلائل فضل الله فينا تترجم

وان غفلت عنها طوائف نوّم

ومن أكرم النعما ولاية من له

علينا وفينا حكمة ومحكم

وهنأ لما رجع ابنه من فريضة حجه بقصيدة مطلعها :

هذا المنى فانعم بطيب وصال

فلطالما أضناك طول مطال

هيفا ترفل في ثياب سندس

من نسج تونس لا تسام بمال

ومنها :

يا أهل تونس حزتم شرفا بما

ابديتموه من صالح الأعمال

يكفيكم أن فيكم هذا الذي

حلت بلاغته محل كمال

وقرئت هذه القصيدة على الباي في ديوان المحكمة، وذلك أنها أتت في ظرف مكاتيب الوكيل بجبل طارق، ولما قرأ الباي عنوان المكتوب، قال لوزيره ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع : «هذا مكتوب من مولاي سليمان للشيخ ابراهيم»، فقال له الوزير : «اقرأه وحدك» فأبى، فألح عليه، ففتحه فوجد المكتوب ومعه القصيدة، فقال له الوزير : «ان صاحب القصيدة انما قصده بشعره الشهرة» فأمرالكاتب الاديب ابا عبد الله محمد قلالة بقراءتها، فقرأها قائما في ديوان المحكمة، وبعث بها وبالمكتوب للشيخ.

وبهذا التقرير تعلم حال السلطنة المغربية الشريفة وقتئذ، من السذاجة الاسلامية، والتخلق باخلاق الخلفاء والصالحين، من إقراء التفسير، والتمدح باخلاق الصالحين، كما تقدم في العقد الأول من المقدمة.

أحمد بن أبي الضياف، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر 1989، ـ ص ص 73 ـ 76.

نصّ عدد 103 :

قدوم المولى سلامة العلوي
الى تونس

وفي هذه السنة قدم سلطان المغرب مولانا سلامة ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا اسماعيل الشريف، وقد بويع بالسلطنة بعد وفاة أخيه مولانا اليزيد، وخلعه أهل فاس، وقدموا للسلطنة أخاه مولانا سليمان، فخرج إثر خلعه، وجاب في الآفاق وأقام مدة بالديار المصرية، واجتمع فيها بنبليون الأول امير جيش الفرنسيس قبل ولايته ووقعت بينهما المهاداة.

وكان هذا الشريف منصفا، بذكر ما شاهده من حزم نبليون وشجاعته وثقوب فكره واخباره بما آل اليه حال المسلمين، وأسبابه العقلية من الانغماس في النعيم والتعس في الحضارة واستعمال السرف في مذاهب الترف، حتى ان أثقال أمراء الجيوش توازي أثقال الجيش أو معظمه، والحال ان بيت هذا الأمير بمصر تحتوي على فراش منامه وموضع جلوسه، وأمامه مائدة عليها أدوات وقراطيس، وأرائك لجلوس من يأتيه، لا غير.

واتفق أن كان يوم قدوم هذا الشريف الشيخ علي الباهي بحلق الوادي فقال للكاهية : «عجّل بإرسال الشواني لنزول الشريف فورا»، فقال له : «نتوقف في ذلك على اذن خاص من الباي» فقال له : «أنا رسول لك في هذا الشأن» وأتى الشيخ الباهي الى الباي بباردو، وكان مقرّبا عنده فقال له : «انني افتت عليك في امر يزيدك فخرا» وقصّ عليه الخبر وقال : «اشكر الله حيث لم يكن الأمر بالعكس»، فشكر صنعه وعظّم مقدم الشريف وأكرم نزله، ورتب له جراية كجراية أخيه، وعيّن له منزل وبقي بتونس معظما مكرما، مرموقا بما يجب لمقامه الديني والدنيوي، وتزوج عقيلة من بيت الشيخ القصري، أولدها ذكرا توفي صغيرا.

وكان آية الله في الكرم، زاره شيخنا العلامة ابو اسحاق ابراهيم الرياحي، ولما أراد الخروج قال له : «لا أسرّحك في حرّ الشمس، والزمه أن يتغدى عنده ويقبل».

ثم اعتراه في آخر عمره جذب احتقر به مقامه السلطاني، والدنيا القليل متاعها الفاني، فكان يأخذ من الاغنياء، ويناول الفقراء، الى ان لبّى الى الدار الآخرة، بهذه الحلة الفاخرة، في منتصف جمادى الثانية من سنة خمسين ومائتين وألف (الاحد 19 أكتوبر 1834م) ودفن بزاوية سيدي علي عزّوز بالحاضرة، بموكب شهده الديوان والأعيان، كجنائز ملوك الحاضرة، رحمه الله.

أحمد ابن أبي الضياف، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر، تونس 1989، ج 3 ص 68.

نصّ عدد 104 :

خير الدين والتقدّم الأوروبي

ومن أسباب تقدمهم العناية بمن اخترع شيئا لم يسبق اليه، أو أجاد في عمل مفيد، فمن ذلك ان يتخوت الممالك المشار اليها مواضع معتبرة، تعرض فيها نتائج المملكة من نباتات وحيوانات ومصنوعات مستغربة ونحوها بعد كل خمسة أعوام او أقل او اكثر بحسب مقتضى حال المملكة.

وينعقد لذل مجمع مركب من العارفين بحقائق الأشياء ليتأملوا فيها، فان وجدوا شيئا منها مستبدعا أعطى مخترعه قطعة من نحاس او فضة او ذهب تسمى المداليا، على شكل المسكوك مرسوما في احدى وجهيها صورة الملك وفي الآخر مكان العرض وتاريخه. وقد يستحق متقن صناعته نشان الافتخار فان قيل : ما فائدة هاته القطع التي أعلاها قطعة ذهب، وهي لا تفي ببذل الجهد والمكابدة في الاختراع ؟ فالجواب ان أخذ تلك القطع زيادة على الشهادة له بالكمال والتقدم فيما هو بصدده من الأعمال يتوصل بذلك الى ما يؤمله من الرغبة في سلعته المثمرة لنمو مكاسبه، لأن سائر ما يقع في ذلك المجمع يطبع في صحف الأخبار ليشيع في الناس، وربما اعطت المخترع مبلغا من المال، وقد كان نابوليون الأول أصدر أمرا باعطاء مليون فرنك لمن يحدث آلة تغزل الكتّان وحدها.

وحاصل سياستهم في هذا الشأن اعتبار ما حقه ان لا ينسى بأي نوع يقتضيه حاله من وجوه الاعتبار، كما اعتبرت ذلك الدولة العلية عند تاسيسها سوقا بدار الخلافة لعرض نتائج المملكة، وقد وقع العرض المذكور في سنة ثمانين ومائتين وألف هجرية (1280 هـ) وفي سنة إحدى وخمسين وثمانمائة وألف (1851) وقع بانكلترا للمعرض المشار اليه ترتيب عجيب وهو أنهم أسسوا محلا في غاية الاتساع والضخامة، وأعدوه لعرض نتائج الممالك من سائر المعمور، ثم وقع مثله في فرنسا سنة خمس وخمسين

وثمانمائة وألف (1855) ثم تكرر بانكلترة، ثم أعيدفي فرنسا بمزيد اعتناء سنة سبع وستين وثمانمائة وألف (1867) كل ذلك ليقتدي المتأخر بالمقدّم في الصناعات ونحوها، مع ما يحصل لتجار تلك المملكة من الأموال الغزيرة، الناشئة عن معاملة ملايين من النفوس الاجانب الوافدين عليها لذلك وادارة هذه المجامع، وتعيين المنازل لأرباب الصنائع والبضائع وتعيين من يستحق الجزاء ونحو ذلك موكولة لنظر مجلس مرؤوس بأمير من البيت الملي اظهارا لمزيد الاعتبار.

خير الدين التونسي، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك.** تحقيق المنصف الشنوفي، تونس 1986، ص ص 215. 217.

نصّ عدد 105 :

مركب للمسلمين يتعرّض للقرصنة الأوروبية

ثم اني بقيت مقيما بالجزائر سبعة أشهر الى أن فتح الله علينا في ردّ بضاعتنا.

وسبب الردّ أنّ الرجل الجزائري الذي كان أتى بالعسكر من إزمير أصله تونسي، ولما أسرهم الكفار، جنس النبلطان ودخلوا بهم لبلادهم ادّعى الرجل أنه تونسي، اكترى المركب من أزمير، ووسق فيه أرزاق التجار من تونس واكترى للعسكر الجزائري وتحاكم معهم بهذه الحجة فغلبهم، لأن أهل تونس مع هذا الجنس بينهم عقد مهادنة، فدفعوا للرجل بضائع للناس واكترى عليها مركبا آخر لتونس في الظاهر، وفي الباطن يبلغ البضائع للجزائر، وخرج قاصدا مرسى تونس الى أن دخلها وأقام بها يومين ورجع الى الجزائر.

وأمّا العسكر الجزائري والمركب فأخذه النبلطان لأنهم محاربون مع الأتراك.

فلما بلغ المركب لمرسى الجزائر قبضت ما كان لنا من الحرير والأثاث والصناديق بالقاهرة حتى المكاتب التي كنت دفعت لرئيس المركب يبلغهم للجزائر دفعهم النصراني للآخر، ولما فتحنا صناديقنا وحوائجنا وجدناهم على حالهم لم يفقد منهم قلامة ظفر بعد النهب والانتقال ...

أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**، تحقيق عبد الكريم الفلالي، 1967.

نصّ عدد 106 :

قراصنة سلا

بعد أن ظلت مدينة سلا، لفترة طويلة تحتضر تحت الخراب والدمار الذي ألحقته بها الحروب المتتالية، عادت من جديد الى الحياة بفعل النشاط القرصني والغزو الذي يمارسه سكّانها.

ويعود هذا التحولّ الى المورسكيين الذين أطردوا من اسبانيا من 25 سنة، وان كان للمدينة قبل ذلك التاريخ بعض السفن للقرصنة، فان نشاطها القرصني اليوم لا يقلّ شهرة وأهمية عن بقية بلاد البربر، سواء من حيث عدد السفن المعدّة للقرصنة او من حيث موقع مرفإها، وبما أنّ هذا المرفأ لا يبعد سوى 50 فرسخا عن مضيق جبل طارق، فانه يسهل على قراصنتها نصب الكمائن للسفن التجارية المارّة من الغرب الى الشرق أو العابرة من المحيط الأطلسي الى المتوسط.

وممّا يسهّل مهمة هؤلاء المرتدين، أصلهم الإسباني ومعرفتهم باللغة الإسبانية فكثيراً ما يتنكّرون للتّسلّل ومراقبة السّفن عند خروجها من المراسي الاسبانيّة، ويصل بهم الأمر إلى حد النزول للسواحل وأسر كل من يجدونه هناك.

وكان لاستقرارهم بعدّة مدن من الممالك البربرية، ضرر كبير لحق بالمسيحية، حيث علّموا الكفار فنون استعمال وصنع الأسلحة ودرّبوهم على حرف عديدة.

وقد مكّنهم سلطان المغرب من الاستقرار بهذه المدينة، فاستثمروا أموالهم في اقتناء السفن وتجهيزها لذلك الغرض.

وكانوا في البداية يعلنون أنهم لا يعترضون سوى السفن الاسبانية للأخذ بثأرهم، هكذا نجحوا في القيام بغزوات عديدة، فكانوا يخرجون

بسفنهم متظاهرين برفع الراية الاسبانية، ويعترضون السفن المسيحية، وعندما يفتضح أمرهم يرفعون الأقنعة ويهجمون للغنيمة والسبي.

وكانوا يدفعون عشر غنائمهم من السلع والاسرى الى السلطان.

وقد اتصف هؤلاء المورسكيين بشدّة الخبث والتحيّل فقد تفطّنوا الى الخطر الذي يمثلونه على أمير البلاد، بسبب تفوّقهم الحربي وحداثة تجهيزاتهم، فحاولوا التمرّد عليه والاستقلال بالنفوذ في المنطقة، فسيطروا على مدينة القصر، وأطردوا سكانها الأصليين والضباط الذين عيّنهم السلطان هناك، واستنصروا بمورسكيين آخرين قدموا لمساندتهم.

فما كان من السلطان إلاّ أن أرسل جيشا لحصار المدينة، لكن دون التمكن من أخذها لقوّة تحصينها، وللمساندة التي لقيها المورسكيون من قبل الولي المرابط الثائر ضدّ السلطان والمسمّى العياشي.

فرفع الحصار على المدينة وأبرم صلحًا بينهم وبين السلطان، يعترف بموجبه هؤلاء بسيادته ويقدّمون له جزءا من الغنائم مقابل تمكينهم من استقلالية في منطقة القصر تبدو اليوم وكأنها جمهورية قائمة لذاتها وسط مملكة المغرب.

الأب دان، **تاريخ بلاد البربر وقراصنتها**،

باريس 1637 ص 173 (تعريب المؤلفين).

نصٌ عدد 107 :

رسالة استغاثة أسيرة مغربية بمالطا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

الحمد لله مسبب الأسباب ومعتق الرقاب، وخلق آدم وحواء من التراب وجعل العلم يخط بالصواب، والقرطاس رسالة بين الأحباب، اعن بذلك من يوقف عليه كتبنا ويتصل بيده صوبنا، الى سيد مولاي سليمان سلطان الغرب نصره الله وناصر عسا كره آمين.

السيدة لا له فاطمة بنت سيد محمد بن عبد الرحمان كثير السلم وكل مسلم ألف سلم وسلم اعلى سيد مولاي اسليمان من عند زوجها مولاي امحمد ابن الحاج اعلى السبيع كثير السلم وكل سلم. يتبعه ألف سلم. واليوم يا سلطان الرحم الله ينصرك ويزيد في أيامك أنها من الى جابون الى مالطا وعملون في الكرنتين ابقيت فيها اربعين يوم بعد ذلك كيف كملت الربعين يوم الداوني الى عند السلطان أمتاع مالطا وقال لي أنت منين يا وليه ؟ وقلت له: يا سلطان أنا من الغرب، بنت من انتي ؟ وقلت له : أنا بنت السلطان مولاي ادريس ما ننكرشي أصلي وقريبت مولى محمد، وقلت لو يا سلطان أنا ما ننكر أصلي أنا بنت السلطان مولى ادريس واليوم أنا من إن جيت فيدك ما جيتش بغرض أعمل كيف ما تحب فيا جيت بالسف عليا وبعد ذلك قلت لو يا سلطان أنا جابني الله في يدك تبقا أنت تحكم عليا خير من غيرك ... وبعد ذلك كلم المركانتي الى جانبي وقال له هذا الشريد تبق عند لاتنباع ولا تنشر حتى يظهر أناس لاهيا ولا زوجها، اجعلهم في دار وحد بعد ذلك يا سيد اعطان الشهر جوزت امليح يا سيد الله ... عمرك ويزيد في ايامك وقال لي الروم الى انا عند : أنت عندك لمن تكتبي الورق ؟ وقالت لو أنا عند دار النبي دار سيدي مولاي سليمان الله ينصر ويطول عمركم ويزيد في ايامك راه كل ما جر بيا انعود لك في الوقت واليوم الروح الى انا عند

يقعد على الكرس وايحط الدويا في حجر امتاع ... ويشرب الدخان في حجر والدخان طالع من حجر وجه، وقلت لوعدو الله اعلاش تشرب الدخان في حجر وقال : أنت امتاع نعمل فيك كيف مانحب وقام الى زوجها وعمل في الحديد ودار في الحبس وبعد ذلك جا المركانتيا باش يشروها اعطو فيها خمسين ألف ريال مالطا هي وزوجها وخادمها هم في الثلثة...

وبعد ذلك سمع الجران العيطان امتاع وبعثل اجاو شد الخادم واعطها العمر وجاب المصلح وطللها بالنجس جاش وبعد ذلك قالت لو الخدم أنا ما نديش يا عدو الله النجس لاله ونشد الروم المكنس حاش وجه سيد بالنجس وطلهالي على وجه وقال لي : اعلي تقول أنا منش سيد، وقلت لويا عدو الله انا سيد مولى اسليمان الغالي ينصر وينصر عصاكريا عدو الله ...

... واليوم يا سيد الله ينصرك وايطول عمر اللي انت بعثت اخديمك ابعث اعلى يد الرايس امتاع اصبانية وهو يبحث الى مالطا الى دار (نباف)اخديم سيد محمد الله يرحم ويسلم اعل سيد مولى سليمان الله ينصر من عند المجاهدين الرياس والبحرية كلهم واليوم يا سيد مولى اسليمان الله ينصرك وايطول عمرك احنا ما عندنا حدً غير الله وثم انت واحنا نطلب الله فضل وفضلك راه جدك يشفع في الآخر وانتم تشفع في الدنيا الله يطول عمركم ...

الأرشيف الوطني بمدريد (قسم الدولة)

ملف عدد 3576 بتاريخ 1798م

وردت بـ. محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب.** الدار البيضاء 1991 ـ ص ص 178 ـ 180.

نصّ عدد 108:

توزيع غنيمة بحرية بمدينة الجزائر

في يوم 4 رجب 1213 (الموافق ليوم 12 ديسمبر 1798) عادت المراكب الى مدينة الجزائر بعد أن أخذت ثماني مراكب من بلد اليونان وغنمت منها حمولتها المتكونة من الحبوب، والكاغظ، والصابون والمشروبات الروحية.

وكانت مراكب الغزو متكونة من فرقاطة للحاج يعقوب، ومربّعة لأحمد رايس، وباطاش لأحمد الدنقزلي، وكرويطة للرايس حميد وشباكات لكل من الحاج سليمان والرايس نعمان والرايس مصطفى.

ووزعت الغنائم على النحو التالي :

بنجق (ما يعود إلى المخزن على القيمة الجملية الخام) 57865 ريالات

- فرق رجال السفن	603
- التفريغ	1000
- الديوان	84
- الورديان	27
الفرقاطة	43

59623

- الصيارفة	1620
- شاوش البنجق	288

ـ شاوش يهودي	144
ـ مراقب السفينة	18
ـ الحوانت	21
ـ الوزّان	150

61864

ـ رسوم الميناء 4000

65864

ـ القيمة الصافية	397062
ـ منها النصف	198531
ـ عدد الحصص	3879
ـ قيمة كل حصّة	51

القيمة الخام للمجموع 520791 فرنك.

عن أ. دفول «دفاتر الغنائم البحرية»

المجلة الافريقية عدد 15.

1871 ص 44

نصّ عدد 109 :

الورثيلاني بالأزهر

وقد زرنا في هذه الحجة (سنة 1179هـ) شيخنا الفاضل الكامل سلطان العارفين وامام الطريقة والسالكين الجامع بين الحقيقة والشريعة سيدي محمد الحفناوي والشيخ الصالح والبدر الواضح نخبة العارفين ودرّة الموحدين الشيخ الجوهري وزرت أيضا من بالأزهر من العلماء والطلبة وغيرهم واجتمعت مع أبي الحسن شيخ رواق المغاربة وأعارني الشيخ الحطاب شارح المناسك لخليل وهو شرح جليل قد سافرت به الى مكة أحياه الله على السنة النبوية وأعلمته بشرحي على خطبة شرح الصغرى فلما رآه وراى حاشيتي على المحقق المراكشي السّكتاني استحسن جميع ذلك وقد شرح هو أيضا هذه الخطبة غير أنه اختصره كثيرا ثم اجتمعت الطلبة وكلموني على مسألة الجوهر الفرد إذ عندنا معشر أهل السنة موجود وأما عند غيرنا فمستحيل لشبهات اوردها من منع فردها أهل السنة بأمور معلومة ... فلما أوردوا تلك الأدلة فمنهم من فهم الشبهة فمنع جواب اهل السنة ومنهم من لم يفهم الشبهة ولا الجواب عنها ففتح الله علي بسد تلك الثلمة ومنع تلك الشبهة من أصلها ورفع ما عسى أن يرد من المحال على وجود الجوهر الفرد فأشرق علي نور العرفان حتى علم الحق كل من حضر وتعجب الكل في ردع المفصح بها فصعق من حضر ذلك المجلس ...

نعم بعد ذلك طلب مني جميعهم قراءة الكبرى للشيخ السنوسي وقالوا لا بد أن تحضر الشيخ علي الصعيدي وقت إقرائه إيّاها وأنك لا بد ان تشتي عندنا فوافقتهم على إقرائها ومساعدتي لهم عليها فكل من سمع من الطلبة فرح وسرّ بذلك غير أن الله منعني من الإقامة في مصر لما كان من الهرج والفتنة والنزاع بين الحجاج ... فوقع هول عظيم وجميع الفضلاء يجري بين الجميع بالصلح حتى خفنا على انفسنا من كثرة الظلم الواقع من الجانبين

غير ان الحجاج مظلمون بالنسبة للمال إذا قرضوهم في الطريق فأكلوهم وأرادوا الزّيادة منهم وأمّا الحجّاج فقد ظلموهم بالظّرب في الضّرب والشتم وكل عمل قدروا عليه فانتقم الله من الجميع. رزق الله التوبة والندم على ما صدر من الجميع بمنه وكرمه.

الحسين بن محمد الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق محمد ابن أبي شنب، الجزائر 1908 ـ ص 284 ـ 285.

نصّ عدد 110 :

من رسائل اليوسي في التربية الصوفية

أمّا حكم الشيخ فاعلم أن كلّ مكلف جهل مسألة في دينه، فلا بدّ أن يطلبها ويسأل عنها، وكلّ من علّمه إياها فهو شيخه فيها مباشرة أو بواسطة وهذا واجب، وأمّا الشيخ المذكور في طريق التصوّف فهذا لا بدّ منه في حقّ المريد السالك إن لم يكتف عنه بأخ صالح، وقد اختلف المتأخرون في الاكتفاء عنه بالكتب فقيل : نعم إن كان ذكيا وان كان غبيا فلا بدّ له من شيخ وهو أكمل على كلّ حال، وقيل : يختلف ذلك باختلاف المجاهدات ففي مجاهدة التقوى لا يجب، ولكن وجوده أحسن وفي مجاهدة الاستقامة كذلك وهو فيها أوكد وفي مجاهدة الكشف، أعني طريق تجريد النفس عن رذائلها ورعوناتها لتتمكن فيها الحقيقة واجب، اللهم إلا أن يغني الله تعالى عنه بالجذب، والتراخي، (في طلب الشيخ) لا يذكر في الدين، والتوسّط عند الضرورة لا غنى عنه.

أما الزيارة فليست من ذاتها واجبة، وإنما المراد ملاقاة الشيخ ومشاهدته للاستفادة منه، وكان من حق المريد إذا صحب شيخا ألاّ يفارقه طرفة عين، لأنه يستفيد من قوله ومن فعله، ويستمدّ من مشاهدته فلا ينبغي له ان يفارقه لو أمكنه ليلا ونهارا، حتى يكمل ويأذن له في الفراق، كما أنّ الرضيع لا يفارق امه حتى ينفطم ولكن ضرورات المعاش تلجى المريد الى الفراق ...

وأما صحبة المريد شيخا آخر بعد موت الأول، لتكميل ما بقي عليه فهو على أصل الجواز ... ولكن من المشايخ (من لا يقبل) ذلك، حماية لقلب المريد، فمن علم من شيخه ذلك فليمسك، وحينئذ ان كان شيخه متصرّفا بعد الموت أو ناب عنه قطب الوقت فلا بأس ...

وأما الورد هل له وقت معلوم الى آخر المسألة، فذلك أمر موكول الى الشيخ الذي يعطيه وعلى المريد تقليده ...

وأمّا نداء الشيخ عند الشدّة، فلا بأس به وليتوسل بجاهه الى الله تعالى وكيف ما أمكن التعبير فلا بأس به وليحافظ على الأدب ... وأمّا النظر الى وجه الشيخ فحسن، ولكن كرهوا الاكثار منه مخافة زوال الحياء ...

وأمّا السبحة فهي عمدة الفقير وآلته وشغله، فلا ينبغي له أن يفارقها ... وأمّا إفشاء الكرامات فلا بأس به، ولكن للمصدقين السالمين من الحسد.

وأمّا زارع أرض المخزن فينظر في جل ماله فان كان حلالا (فليتنزه عنه فضل ليس بواجب) ولينظر في اصل الأرض التي زرعها هل مغصوبة لمالك معين، أم هي من أصل بيت المال على المعلوم، فتكون أخف ...

وأمّا الأفيون فما لا يسكر ولا يفسد فهو مباح على ما فيه من تغير الطبع ...

ولا أقول لكم إلا ما قال الشيخ البكري لاصحابه في القهوة : «وقل لأصحابي عن القهوة انتهوا ولا تجلسوا بمجلس هي فيه فليست بمكروه ولا بمحرم ولكن عدّت شرا...».

من رسائل أبي علي الحسن ابن مسعود اليوسي
جمع وتحقيق ودراسة فاطمة خليل القبلي،
شركة دار الثقافة ـ الدار البيضاء 1981،
ج 2 ص 408 ـ 414.

نصّ عدد 111 :

دور الأوروبيين في التجارة البحرية التونسية خلال القرن الثامن عشر

وكتبنا أمر للرايس ريقوا دينه مالطي رايس الشيطيه التي بها سبعة عشر بحري وأربعة يسافر من تونس للقرنه يوسق الشيطيه المذكورة من القرنة بالسلعة ويقدم بها الى تونس أواخر شوال سنة 1157 هـ هذا قدم لتونس اوائل ربيع الاول سنة 1158هـ.

وكتبنا امر للرومي انتنون زميث فرنصيص من سكان مالطة في ضمانة ولد قنصل الفرنصيص والذمي ولد بوجناح يوسق من مالطه سفينة بالأسارى والسلعة ويقدم بها لتونس ومدة الأمرة ثلاثة أشهر أولها عشرين محرم سنة 1158هـ.

كتبنا بصبرت للنصراني برناردوا ريسوا ابن النصراني دمينقوا جنويز يسافر لجنوه ويقدم لتونس بشيطيته موسوقة بالسلعة يوم 27 ذي الحجة من سنة 1157 في ضمانة جوان ملان ومدتها خمسة أشهر من محرم سنة 1158هـ.

وكتبنا أمر للرايس انتوان منتوبين جنويز ليسافر بجربة بطعام المعظم سيدي محمد باي حفظه الله ويقدم من جربه لتونس اوائل جمادى الثانية سنة 1158.

كتبنا بصبرت للنصراني جوزاب تريجه قورصوا يوسق سفينته من اي جنس من سردانيه ومن جنوه بالسلعة ويقدم بها لتونس اوائل رجب سنة 1158،

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية

دفتر عدد 93 ص 2 . 3.

نصّ عدد 112 :

التبادل التجاري بين تونس وأوروبا
المبادلات بين فرنسا وتونس خلال سنة 1792

واردات من مرسيليا الى تونس 5878031 ليرة

صادرات من تونس الى مرسيليا 7751318 ليرة

الحجم الجملي للتجارة الفرنسية 13629349 ليرة

حجم المبادلات الأوروبية الأخرى 6984003 ليرة

الميزان لفائدة الفرنسيين 6645346 ليرة

تم استعمال 79 سفينة و690 ربّانا، وقدّرت تكاليف الشحن ب 184442 ليرة، وتمكنت الدولة الفرنسية، في هذا المستوى أيضا من تحقيق تفوّق على منافسيها.

تونس ـ 10 فيفري 1793

من القنصل ديفواز الى مونج

E. Plantet : *Correspondances des Beys de Tunis et des consuls de France avec la cour (1577 - 1830)*, Paris 3 vol - 1893 - 1899, pp 219 - 220.

نصّ عدد 113 :

الصناعة الحديثة بتونس

مكتوبنا هذا بيد الماهر الفيلسوف المهندس النصوح الثقة الوجيه الكومنداتو شارلوبينوا الفرنسيس وأنه طلب منا مكتوبا يتضمن ذكر ما أحدثه من الآثار والمصانع المستحسنة في المملكة التونسية ... فأسعفناه، إظهارا لرتبته واستحسانا لصناعته التي منها أنه أحدث في سنة 1838 مسبحية فابريكه لصنع الملف بطبربة طولها ثمانون ميتروا وعرضها اثني عشر ميتروا وهي على طبقات ثلاثة وصنع جميع ما فيها من الماكينات بفابريكة أخيه التي فيلي وذلك على مقتضى ما رسمه المهندس المذكور وركب فيها عجلة يديرها الماء بقوة اثني عشر من الخليل. في يوليه سنة 1834 خدمت الفابريكة المذكورة وصنع بها الملف التونسي وجاء من أحسن ما يكون والأكابر والأعيان من أبناء الملوك وغيرهم ممن يأتي بهذه المملكة التونسيّة عمرها الله تعالى تتوق نفوسهم إلى رؤية فابريكة الملف المذكورة وتخدم بمشاهدتهم ويثنون على صانعها بما يستحقه ويظهرون استحسان عمله. وفي آخر هذه السنة سماه مولانا وسيدنا باش مهندس وازداد تعلقه بخدمة جنابه العلي الملكي وكلفناه بالنظر ببناء الجامع الذي تقربنا به إلى الله تعالى خارج باب القرجاني من محروسة تونس ... ولم يزل هو المرجع في عويص ما يعرض...

وفي مايو من هذه السنة صنع طرنبات تسقي البساتين والأشجار من وادي مجردة تحركها عجلة المسماة بونلي على شكل حسن وأسلوب سهل عجيب وبذل جهده في خدمة مقطع الرصاص وأحدث لإذابته فرن وأتقن إحكام صناعته. وفي سنة 1845 وجهناه إلى إيطاليا لينظر ما فيها من عجب المصانع ... وفي 1847 اختاره مولانا وسيّدنا وأولاه النظر بخدمة دار

السكة بحضرته ودار ملكه ورآه لذلك أهلا فقام بما يجب عليه أوفى قيام ...
وصارت السكة يدير خدمتها الفابور وهو أول فابور خدم في تراب المملكة التونسية ورتب بدار السكة الأوزان ومقدار الفرق في السكك إلى غير ذلك من ما تولى خدمته بنصح وإتقان ...

... كتبه الفقير إلى ربه وزير العمالة وأمير الأمراء مصطفى خزنه دار في 22 شعبان الأكرم سنة 1267 هـ (جويلية 1851)

الأرشيف الوطني، السلسلة التاريخية، صندوق 240،
ملف 602، وثيقة عدد 55

نصّ عدد 114 :

حملة اللورد اكسموث على الجزائر

وقد أقلع الأسطول المشترك من جبل طارق في 14 أغسطس تحت قيادة الأميرال البريطاني نفسه، اللورد اكسموث، ووصل إلى الجزائر في صباح يوم 17 من نفس الشهر.

كانت الصحف الفرنسية قد نشرت الأخبار التي تتعلق بهذه الحملة، وبذلك فشلت في مهمتها السفينة الحربية التي سبقت وكلفت بترحيل القنصل البريطاني وأسرته وإبعادهم عن خطر الحرب الذي سيتعرضون له حتما، في حالة وقوع معركة ومع ذلك، فان سيدات منزل القنصل أسعفهن الحظ وأفلتن من رقابة الجزائريين بلباسهن زي بحارة بريطانيّين و قد التجأن إلى السفينة، وقد كان في رفقتهن طفل صغير السن.

ولما ذاع خبر فرارهن، اعتقل القنصل وضباط وبحارة زورقين تابعين لسفينة حربية، فوضع القنصل تحت الحراسة في منزله ، بينما نقل البحريون إلى السجن.

ولما وصل الأميرال اكسموث إلى الجزائر، بعث بإنذار حكومته وطالب برد في ظرف مدة محددة.

وبهذه المناسبة تصرف الداي تصرفا يتسم بقلة التصميم والحزم، ولا يليق بشخصيته فان الباشا لم يكتف بأن يعيد رسول الأميرال البريطاني بدون جواب على إنذاره، بل أنه سمح في نفس الوقت أيضا للأسطول المشترك بأن يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة، دون أن تخطر في باله مقاومته .....

وبعد معركة دامية دامت تسع ساعات خضعت الجزائر وراحت تستجدي الرحمة أمام عدوها المنتصر. واثر ذلك صرح اللورد اكسموث بأنه لم يعلن الحرب لتدمير المدينة وطلب في مقابل الصلح، إطلاق سراح جميع العبيد المسيحيين، وإعادة مبلغ 350000 دولار، كان ملك نابلي وسردانية

قد دفعاه فدية لرعاياه الذين أطلق سراحهم في شهر أبريل الماضي، كما طالب بتنازل الايالة في المستقبل عن حقها في استرقاق رعايا الدول المسيحية.

سارعت السلطات الجزائرية إلى قبول هذه الشروط فعاد السلم إلى نصابه بين الأيالة وإنجلترا. والجدير بالذكر أن البارون فاندر كابيلان قائد القوات البحرية الهولندية في البحر الأبيض المتوسط، قد قام بدور نشيط وملحوظ في هذه المعركة وبتنسيق مع الأميرال اكسموث. اضطرت الأيالة إلى عقد معاهدة سلام مع هولاندة، بنفس الشروط التي عقدت على أساسها المعاهدة الجزائرية البريطانية.

وعقب معركة الجزائر مباشرة، اتجه القائد البحري الهولندي إلى طرابلس، وعقد مع حكومة هذه الايالة أيضا معاهدة سلام، وافقت هولاندة بموجبها بأن تدفع لطرابلس مبلغ 5000 دولار سنويا على سبيل الضريبة.

وفي إنجلترا اعتبرت نتيجة معركة الجزائر نصرا باهرا يخول بريطانيا الحق لاعتراف جميع الدول بفضلها. وبهذه المناسبة وزعت ألقاب ونياشين ومعاشات بدون حساب وبطريقة غير معهودة في المملكة، وكل ذلك في احتفالات ومهرجانات قومية. وكذلك علقت آمال كثيرة على المؤتمر الأوروبي الذي سيعقد في «اكس لاشابيل» (Aix la Chappelle) نتيجة لنجاح حملة الجزائر.

مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر
(1816-1824)، تعريب وتقديم اسماعيل العربي،
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982،
ص 156-158

جدول أهم الأحداث بالمغرب العربي
خلال الفترة الحديثة

تونس	الجزائر	المغرب
		ـ احتلال البرتغال لمدينة سبتة
		ـ احتلال البرتغال للقصر الصغير
		ـ احتلال البرتغال لأصيلا ـ احتلال البرتغال لطنجة
		- تسليم العرائش للبرتغال
	ـ احتلال الاسبان للمرسى الكبير	ـ تسليم اغادير للبرتغال
ـ ظهور الاخوين وبروس بجزيرة جربة		ـ تسليم مقادور للبرتغال
	ـ احتلال الاسبان لوهران	ـ تسليم آسفي للبرتغال
	ـ احتلال الاسبان لبجاية	ـ تسليم أزمور للبرتغال
	تسليم الجزائر وتنس للاسبان	ـ مبايعة قبائل السوس لمحمد القائم السعدي أمير للمؤمنين وقيام السلطة السعدية.
ـشل الاسبان في حتلال جربة		الحملة السعدية الأولى ضدّ البرتغاليين

تونس	الجزائر	
		ال 5 ال
	- افتكاك عرّوج مدينة بجاية من الاسبان - سيطرة عروج على مدينة جيجل	أ الا
	- سيطرة عروج على مدينة شرشل - استنجاد أهالي مدينة الجزائر بعرّوج	
	- انتصار عروج على الاسبان بالجزائر	
	- سيطرة عروج على تلمسان	م ال
	- محاصرة الاسبان مدينة تلمسان، ومقتل عرّوج	
	- استنجاد خير الدين بالسلطان العثماني سليم I وضم الجزائر الى الامبراطورية العثمانية. - تعيين خير الدين بيلربايا على ولاية الجزائر	

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
152[illegible]			ـ هدنة بين السعديين والبرتغاليين
152[illegible]		ـ تمرد ابن القاضي ملك «كوكو» في «القبايل» واتجاهه الى قسنطينة.	ـ انتصار السعديين على الجيوش الاسبانية قرب واد نون. ـ اخذ أحمد الاعرج ومحمد المهدي السعديين مدينة مراكش من يد الشيخ الهنتاتي
152	وفاة مولاي محمد الحفصي	ـ استعادة خير الدين لمدينة الجزائر ومقتل ابن القاضي	
152	مهاجمة خير الدّين	ـ ثورة قسنطينة بعد تحول خير الدين الى الجزائر ـ ارسال السلطان الحفصي القائد علي بن فرح الى قسنطينة لارجاع المنطقة تحت النفوذ الحفصي	
152	للاسبان بحصن البينون.		

		والتقائه بالجيوش القادمة من الجزائر. - ارجاع قسنطينة تحت النفوذ التركي على يد خير الدين
1534	- حملة خير الدين على تونس	تولية حسن آغا بيلرباي بالنيابة عن خير الدين
1535	- أوت : استنجاد السلطان الحسن الحفصي بالاسبان - معركة حلق الوادي بين جيوش شارل كان وجيوش خير الدين انتهت بانتصار الاسبان - معاهدة بين الحفصيين والاسبان ادّت الى دخول البلاد تحت الحماية الاسبانية. - سبتمبر : محاولة الحسن الحفصي استرجاع القيروان	

	من الشابيين والاتراك. ـ معركة بطن القرن وفشل السلطان الحفصي.		
1538	أفريل: الشابيون يطردون الأتراك من القيروان.		
1540	ـ نوفمبر: معركة جمال بين جيوش السلطان الحفصي والشابيين آلت الى انتصار الشابيين		
1541		أكتوبر: انزال اسباني بالجزائر وهزيمة شارل كان.	انسحاب البرتغال من صافي وأزمور ودعم شعبية السعديين.
1542	وفاة مولاي الحسن الحفصي	ـ زحف حسن آغا بجيشه الى الزاب واخضاعه لأولاد صولة وبسكرة. ـ بقسنطينة اسند حسن آغا لعلي بوعكاز قائد الذواودة لقب شيخ	صراع بين الاخوين محمد المهدي واحمد الاعرج. انتصار المهدي وخروج احمد الاعرج الى سجلماسة.
1543	أحمد بن السلطان الحفصي يزيح اباه من العرش و يتولى		انتفاضة السوس بقيادة الفقيه عبد الله الذي نسب نفسه للموحدين وبقي اسمه رمز

لاحتلال مستغانم.	
	تحول المهدي الشيخ لاول مرة الى فاس وقيام اهلها عليه بقيادة العالم عبد الواحد الونشريسي.
	.تلقب السلطان السعدي محمد الشيخ بلقبي «أمير المؤمنين» و«المهدي». - اقتحام محمد المهدي الشيخ مدينة فاس وفرار أبي حسون الوطاسي للجزائر. .ملاحقة الجيش السعدي لابي حسون وللاتراك بالجزائر

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1550	- افتكاك درغوث رايس المهدية من أهل نابولي والجنويين. - انزال اسباني بالمهدية.	- مواجهة سعدية - تركية بتلمسان وانتصار الجيش التركي.	- انتفاضة واسعة بالاطلس، تزامنت وهزيمة تلمسان بقيادة سيدي محمد والتحالف مع سيدي سعيد قائد انتفاضة السهل. - هزيمة الجيش السعدي الذي تصدى للانتفاضة.
1551	- استيلاء درغوث رايس على طرابلس وضمها الى الامبراطورية العثمانية.		
1552		السلطان العثماني سليمان القانوني يعوض حسن باشا بصالح رايس باشا بغية تحسين العلاقة مع السعديين. - حملة صالح رايس على توقرت.	- ارسال السلطان العثماني سفارة الى محمد المهدي الشيخ لتطبيع العلاقة مع السعديين. - انسحاب الجيش السعدي من الأجير. - السفارة العثمانية الثانية يرمي من ورائها السلطان العثماني الى اعتراف السعديين بالخلافة العثمانية.

تونس	الجزائر	المغرب
		.تصدّع العلاقة والرجوع الى الصدّام.
	. هزيمة الجيش التركي بقيادة ابن صالح رايس في جبال بني عباس.	
	. خروج صالح باشا الى الجزائر بمساعدة ابي حسون الوطاسي. . الهجوم على فاس وفرار السلطان السعدي نحو مراكش. . 22 سبتمبر : هجوم المهدي الشيخ على الاتراكم والوطاسيين ومقتل ابي حسون. .نهاية الوطاسيين وتراجع الجيش التركي.	
.استيلاء درغوث رايس على قفصة		
.مهاجمة درغوث رايس القيروان ودخول المدينة باعانة والي الجزائر. .تغلب درغوث رايس على الشابية وقتل الشيخ محمد	. مخطط تركي لاضعاف السلطة السعدية، تمثل في مساندة المنشقين في الشمال والأعتماد على الطريقة القادرية المنافسة للطريقة الشاذلية. . تعيين حسن باشا ابن خير الدين بيلربايا للمرة الثانية.	.مقتل السلطان السعدي محمد المهدي الشيخ على يد احد القادة الأتراك، وهو يقود حركة ضدّ مسيرة متمرّدة. .تولّى عبد الغالب بالله السعدي السلطة

	- استخلاف درغوث رايس حيدر باشا على القيروان ورجوعه الى طرابلس.		
1548 الى 1574	- أزمة الدولة الحفصية. - وفاة مولاي حميدة سنة 1563.		- ضعف سعدي فادح تفاقم بالتجاء السلطان عبد الغالب الى الاسبان لمواجهة الأتراك. - خروج الزعماء الدينيين عن السلطة السعدية ورفعهم شعار الاستقلال.
1573	- حملة دون جوان دوتريش على تونس.		
1574	- الحملة التركية على تونس بقيادة الصدر الاعظم سنان باشا. الحملة أدت الى تصادم تركي اسباني. - 23 أوت : سقوط حصن حلق الوادي في يد العثمانيين. 13 ديسمبر : سقوط حصن تونس في يدي العثمانيين. -ضم تونس	تولي القائد رمضان الجزائر.	- وفاة السلطان السعدي عبد الغالب بالله، واعتلاء محمد المتوكل العرش السعدي.

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1575	للامبراطورية العثمانية.		- قدوم الاخوين السعديين : عبد الملك المعتصم واحمد المنصور من الجزائر لافتكاك السلطة.
1578			- إندلاع واقعة وادي المخازن أو واقعة الملوك الثلاث بين المتوكّل السعدي ودون سبستيان ملك البرتغال من جهة، والمعتصم من جهة أخرى - موت دون سبستيان والمتوكل والمعتصم وتصدّر أحمد المنصور عرش السعديين
1582		- قلج علي باشا بيلر بايا للمرة الثانية.	
1587		- بداية فترة الباشاوات.	
1590			- حملة المنصور الذهبي على السودان.
1591	- ثورة الجند الانكشاري على قوادهم البولكباشية.		
1598	- انفراد عثمان داي بالسلطة.	- حصار خضر باشا قلعة بني عباس. مهاجمة القبائل الجزائر وفشل	

1599	- تعيين عثمان داي لرمضان باي على رأس المحلة. - خروج عثمان باي بالمحلة لتطويع القبائل المتمرّدة.		
1603			- وفاة السلطان السعدي المنصور الذهبي وبروز انقسامات هدّدت وحدة البلاد. - الصراع على السلطة داخل العائلة السعدية أدّى الى انقسام البلاد بين الاخوين المولى زيدان الذي بايعه أهل فاس وابو فراس الذي بويع من قبل أهل مراكش. - قيام الحركات السياسية - الدينية ضدّ السلطة.
1604 1606	- تفشّي وباء عرف بوباء «بوريشة».		

- معركة بين الاخوة الثلاثة على فاس، انتهت بانهزام المولى زيدان وفراره الى تلمسان، اما المأمون فبعد انضمام جند أخيه المهزوم اليه انقلب على اخيه وحليفه ابي فارس واعلن نفسه ملكا على فاس.
- إتّساع رقعة الاضطرابات داخل البلاد وفرار المأمون من فاس بعد حملة اخيه زيدان عليها واحتمائه بالاسبان .
- تسليم مدينة العرائش للإسبان طمعا في مساعدتهم.

- اندلاع ثورة الفقيه ابو محلي، شكلت الحركة خطرا كبيرا على سلطة المولى زيدان لما جمعه ابو محلي من رصيد رمزي قويّ استمدّه من الادارات والشعارات التي كانت تنادي بها حركته من ذلك المهدوية. - اقتحام الفقيه الثائر مراكش وطرد السلطان زيدان منها واعلان نفسه سلطانا. - احتمى السلطان زيدان «بصافي» ودعا الفقيه سيدي يحيى أبي زكرياء الحاحي لمقاومة ابي محلّي، وتمكن الفقيه «المخزني» ابو زكرياء الحاجي من القضاء على ابي محلي في معركة جليز في 30 نوفمبر ووضع حدّ لحركته.	
- قطيعة محمد العياشي مع السلطة وقيامه عليها.	

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1620	ـ تفشي الوباء الذي عرف بوباء سيدي ابي الغيث القشاش وموت الولي بسببه.	حملة هولندية ضد الجزائر	
1626		ـ طرد العناصر غير التركية من الجيش ومنهم الكورغلية	ـ موت الفقيه سيدي يحيى أبوزكريا ء الحاحي.
1628	ـ حرب جزائرية تونسية حول مسألة الحدود . ـ انتصار جزائري في واقعة السطارة وتوصل الاعيان الى فرض صلح بين الطرفين.		ـ موت السلطان المولى زيدان.
1629	ـ توجّه مراد باي بمحلة الى الكاف لضرب عصيان بني شنّوف.	ـ قيام الكورغلية الذين اطردوا من الجيش الانكشاري ومحاولتهم ردّ فعل الانكشارية.	
1630		ـ بروز الرايس علي بتشين.	
1631	تعيين مراد باي ابنه حمودة باشا للسفر بالأمحال. ـ حصول مراد باي على لقب		

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
	الباشا من الباب العالي.		
1631 1632	ـ وفاة مراد باي. ـ خروج حمودة باشا بمحلة الشتاء الى القيروان ودفعه عنها أولاسعيد وتشريدهم إلى طرابلس. ـ متابعته لضرب التمرد والعصيان القبلي بالحامة، بجبل مطماطة وجبل عمدون.		ـ التفاف اهل سجلماسة حول مولاي الشريف. ـ استقلال سجلماسة بيد العلوي مولاي الشريف وبداية تبلور السلطة العلوية.
1635			ـ انهزام مولاي الشريف العلوي امام جيوش ابي حسون السملالي واسره. ـ انتفاضة مسلحة بقيادة ابنه الأكبر مولاي الشريف.
1637	ـ وفاة يوسف داي وتولية اسطه مراد .		
1638		ـ تمرّد قبائل قسنطينة والتحاق قبائل الجنوب بقيادة شيخ العرب بن بوعكّاز بهم.	
1640	ـ وفاة الداي أسطه مراد وتولية احمد .	ـ 7 جويلية معاهدة امتيازاستغلال	طرد مولاي محمد العلوي ابي حسون

.تمرد قبائل الحضنة ونهاية عصيان قلعة بني عباس.	
.هجوم فرسان مالطا على ميناء الجزائر	. معركة القاع وهزيمة الجيش السعدي امام العلويين. . معركة بين العلويين والدلائيين وهزيمة جيش سيدي محمد بن الشريف واتفاق الطرفين على تحديد مناطق النفوذ بينهما. . فاس تصبح تحت نفوذ الدلائيين. . احتلال الدلائيين تافلالت وخروج محمد الشريف نحو الشرق بحثا عن سند لدى بعض القبائل العربية

تونس	الجزائر	المغرب
		من بني معقل.
		- خلع سكان فاس البالي بيعة الدلائيين ومبايعتهم محمد بن الشريف الذي تمكن من الوصول اليها بمساعدة عرب من بني معقل.
		- هزيمة الزعيم العلوي بدار الرّمكة أمام الشيخ الدلائي سيدي محمد الحاج واستعاد الدلائيين نفوذهم بفاس التي بقيت تحت سلطتهم حتى 1659.
		- ثورة «الخضر غيلان» ضد سيدي محمد الحاج في المنطقة ما بين طنجة وسبو واستيلاؤه على القصر الكبير وخضوع جميع قبائل الغرب له.
- طلب الباي حمودة منصب الباشوية من الباب العالي وتمكينه منه. - تقسيمه سلطة البلاد بين ابنائه : ولّى ابنه الأكبر مراد بايا للامحال، وعيّن محمد الحفصي على		- 1658 : وفاة مولاي الشريف مؤسس الدولة العلوية. - هزيمة قبائل الشراقة على يدي الخضر غيلان.

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
	القيروان وسوسة والمنستير وابنه الحسن على باجة.		
1659		- تحول السلطة الى الأغوات	- استيلاء الدلائيّين على سلا واصيلا والقصر الكبير وتطوان وإخضاع كامل منطقة الغرب لنفوذهم. - نشوب نزاع على الزعامة بين الأخوين محمد الشريف ومولاي الرشيد وانسحاب هذا الأخير الى تادلا ثم الى فاس، التي نكثت الدلائيين اعتمد المولى الرشيد في نزاعه مع أخيه على بني ازناسن ومساعدة الشيخ اللواتي الذي مكنه من جمع جيش لضرب أخيه.
1671 1672	- تأزم العلاقة بين الباي مرادII والداي شعبان خوجة وحوله الطائفة العسكرية التركية مما أدّى بمراد باي الى خلع شعبان		- موت المولى الرشيد واعتلاء المولى اسماعيل العرش. خروج المولى أبي العباس احمد بن محرز الى مراكش وتمرّده

التاريخ	تونس	الجزائر
	خوجة بالمحلة ومبايعة محمد.	
1673	- انقلاب الجند على الداي محمد منتشالي ومبايعتهم للحاج علي لاز دايا. - خلع الباي مراد الداي الذي كان بالمحلة وتعويضه بمحمد آغا. - واقعة الملاسين، والصراع بين الطائفة العسكرية التركية تؤازرها بعض القبائل (المثاليث، اولاد سعيد) انتهت الواقعة بانتصار مراد باي ومبايعة مامي جمل دايا.	
1675	- وفاة مراد باي، ومبايعة ابنه محمد	

التاريخ	تونس	الجزائر
1675	باي. - بداية النّزاع على الحكم بين الأخوين محمد وعلي. - خلع الديوان لمحمد باي ومبايعة العم محمد الحفصي بايا. - 14 شعبان 1086 : خروج محمد باي الى دواخل البلاد وتجميعه للانصار بمنطقة الكاف لمقاتلة عمه. - خلع محمد الحفصي لنفسه وخروجه من البلاد. - 10 رمضان 1086 : محمّد الحفصي يتوجه الى اسطنبول. - 2 شوال 1086 : تجديد بيعة محمد وفرضه على أخيه الاقامة بالمرسى.	
1676	- ذو القعدة 1086 : تفشي الطاعون. - خروج علي باي الى	

1676	نواحي قسنطينة وتقربه من الحنانشة واستعداده لمقاتلة اخيه. - قدوم محمد الحفصي بمنصب الباشويه ومنعه من الدخول الى البلاد. - إنطلاق الحرب الأهلية. - رمضان 1087 : تحصّن علي باي ومن معه من الأعراب بجبل وسلات.		
1677	- حرب الاخوين محمد وعلي حول جبل وسلات. - انهزام محمد وفراره الى الكاف. - جولة ثانية من هذه الحرب تمت في الفحص وانهزم فيها محمد باي. - استغل محمد باي خروج اخيه علي الى الجريد فهجم على الحاضرة وكانت واقعة «خطرة حرق الأبواب» لأن الداي	- اخلاء البستيون الفرنسي بسبب الخلافات الحادّة التي ظهرت بين مسؤولي الشركة في مرسيليا. ونقلت كل أملاكه إلى مدينة القالة.	- وباء الطاعون عـ البلاد واستمر الى 1679. - محاولة استرجاع طنجة من النصارى.

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
	محمد طاباق امر بغلقها.		
1678	- محرم 1089 : خروج محمد باي بجيشه لمحاصرة اخيه بسوسة. - انتصار علي باي ورجوعه الى الحاضرة. - قدوم العم محمد الحفصي بمنصب الباشا في اواخر شعبان 1089. - خروج علي باي بمحلته وحصار المنستير حيث يوجد أخوه محمد. - تدخل داي الجزائر للصلح بين المراديين وتم ذلك على ان يكون : - الملك بحاضرة تونس لعلي باي. - محمد الحفصي باشا. - محمد باي بالقيروان والساحل. - احمد بن محمد باي يكون تحت يد		

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1679	أخيه علي في محلته.		
	نفي محمد الحفصي بجزيرة كندية.	- إبرام معاهدة صلح مع هولانده	الوباء العظيم.
1680	- ثورة الجند على آغتهم لتأخر مرتباتهم.		- جفاف ومسبغة.
1682	- قيام الحرب بين علي باي والداي احمد شلبي الذي استغل خروج الباي بالمحلة وأخذ طاعة اهل الحاضرة. - تحالف الداي احمد شلبي والباي محمد ضد علي باي ومبايعة محمد بايا.	قصف فرنسي لمدينة الجزائر.	- 1681 : خروج السلطان المولى اسماعيل بحركته الى بلاد السوس لضرب تمرّد مولاي احمد بن محرز. - 1682 : اخراج المولى اسماعيل اليهود من مكناس الزيتون ليبني لهم خارجها ملاحا.
1684	- قدوم محلة الجزائر لنجدة محمد باي والداي شلبي. - خروج علي باي بالمحلة الى الكاف والتقاء الجيشين : هزيمة علي باي وفراره الى قفصة ثم استقراره بسوسة.	- 2 أفريل معاهدة صلح بين فرنسا والحاج حسين ميزومورتو عرفت بمعاهدة تورفيل.	- استرجاع طنجة من يد النصارى. - دخول المولى الحران والمولى أحمد بن محرز تارودنت وتمرّدهم على المولى اسماعيل.
1685 1686	- نشوب الصراع بين احمد باي والداي احمد شلبي.	- خروج الداي ابراهيم خوجة بمحلته مصطحبا باي قسنطينة ومحلته	- هزيمة المولى الحران ومقتل المولى أحمد بن محرز.

التاريخ	تونس	الجزائر
1685 1686	ـ انعقاد الصلح بينهما واقتسامهما البلاد واتفاقهما على محاربة الداي. ـ تقابل الطرفين في دخلة المعاوين ثم قرب القيروان وهزيمة الجيوش المرادية. ـ استنجاد الاخوين بداي الجزائر. ـ محاصرة الجيش المرادي والجيش الجزائري مدينة تونس واخذهم حلق الوادي. ـ تواصل القتال لمدة 9 أشهر من شوال 1086 الى رجب 1097. ـ هزيمة الداي احمد شلبي ودخول الاخوين الى الحاضرة (10 رجب). ـ 27 رجب 1097 : مقتل علي باي واحمد شلبي من قبل الجند وانفراد محمد باي بالحكم.	لنجدة البايات المرادين في قتالهم مع الطائفة العسكرية التركية.

	على محمد باي وقدومه بمحلة الجزائر.		المولى زيدان والترك.
1694	- نوفمبر : هزيمة محمد باي امام جيش داي الجزائر وسقوط الحاضرة في يد محمد بن شكر بعد حصار دام 3 أشهر.	- جوان : خروج الداي شعبان خوجة بمحلة صحبة محمد بن شكر المتمرد على محمد باي.	
1695	- تجميع محمد باي للانصار والجنود وقدومه الى القيروان لملاقاة بن شكر وجيشه. - 16 أفريل : هزيمة محمد بن شكر، - 27 أفريل : دخول محمد باي الحاضرة ومحاصرة الداي محمد طاطار بالقصبة.	- سوء قبول الداي شعبان خوجة للوفد التونسي الذي أرسله له محمد باي والمتكون من الشيخ أبي الغيث البكري، الشيخ سيدي علي عزوز، الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد فتاته ومحمد خوجة كاتب الديوان. - ثورة الجند على الداي شعبان خوجة وقتله.	- عدم قبول مولاي اسماعيل الشريف لمحمد بن شكر الذي فرّ من تونس بعد هزيمته امام محمد باي وموته بفاس.

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
	- 13 جويلية : تقتل الداي محمد خانار واستقامة الامر لمحمد باي.		
1696	- ثورة جبل مطماطة وخروج الباي محمد لضرب تمرده واقتحم الجبل واستولى عليه عنوة. - 14 أكتوبر : وفاة محمد باي ومبايعة رمضان باي.	- ولاية الحاج أحمد باشا دايا 1696 - 1698.	- وفد من السلطان العثماني الى السلطان مولاي اسماعيل لابرام الصلح مع أتراك الجزائر.
1697	- فرار مراد بن علي باي من عمه الى جبل وسلات والتفاف اهل الجبل حوله، وطاعة لقبائل له.		
1699	- 11 مارس : مبايعة مراد باي بالقيروان ومقتل عمه بسوسة. - 16 مارس : بيعة مراد باي بتونس.		
1700	- خروج مراد باي لمحاربة داي الجزائر - وانهزامه قرب قسنطينة وفراره الى الكاف.		- ثورة مولاي محمد بن اسماعيل بتارودنت.

التاريخ	تونس	الجزائر
1701	ـ ارسال مراد باي آغة صبايحية الترك ابراهيم الشريف الى اسطنبول لجمع المتطوعة من الترك.	
1702	ـ أواخر ماي : خروج مراد باي لمحاربة داي الجزائر. ـ رجوع ابراهيم الشريف من اسطنبول ومعه كتاب عهد الولاية من السلطان عوضا عن مراد باي. ـ 16 جوان : اغتيال ابراهيم الشريف لمراد باي. ـ قتل كل من تبقى من المراديين وانقراض ملكهم. ـ مبايعة الجند لابراهيم الشريف بالمحلة بوادي الزرقاء. ـ هروب حسين بن علي كاهية مراد باي الى جبل وسلات. ـ جويلية : تجديد البيعة لابراهيم الشريف بالحاضرة.	

التاريخ	تونس	الجزائر
	ـ 23 أكتوبر : عزل ابراهيم الشريف الداي قارة مصطفى ونفيه الى المنستير، مباشرته لمنصب الداي.	
1703	ـ وصول الأمر العثماني لتسمية ابراهيم الشريف «باشا».	
1704	ـ أكتوبر : خروج ابراهيم الشريف بمحلته لمحاربة صاحب طرابلس خليل داي. ـ ديسمبر : التقاء الجيشين وانتصار ابراهيم الشريف.	
1705	ـ جانفي : تراجع ابراهيم الشريف عن طرابلس لتفشي الطاعون في عسكره. ـ فيفري : دخول العسكر مدينة تونس وتفشي الطاعون فيها. ـ أفريل : خروج ابراهيم الشريف بمحلته الى الكاف	

قـابلتـه داي الجـزائر
نشي مصطفى.
جــويليــة : فــرار
لاعــراب من حـــول
براهيم الشــــريف
إنهـزامـه واسـره من
طرف الجزائريين.
مـبـايعـة اهل الحل
العقد حسين بن علي
اايا.
12 جويلية : بيعة
حسين بن علي بديوان
لمدافعية.
اتفــاق الجند على
مبايعة آغة القصبة
محمد خوجة الاصفر
اايا.
29 أوت : قـــدوم
لجيش الجزائري الى
تونس وتقــابل
لجيشين.
سبتمبر : انتصار
حسين بن علي ورجوع
مشي مـصطفى الى
لجزائر بمن تبقى له من

1706	الجند. - 3 جانفي : انفراد حسين بن علي بالسلطة. - وصول ابراهيم الشريف الى غار الملح قادما من الجزائر لمحاربة حسين بن علي ومقتله على يدي مجموعة من رؤساء البحر.		
1708		- استرجاع وهران والمرسى الكبير من ايدي الاسبان على عهد الداي محمد بقطاش	
1711		- منع الداي علي شاوش مبعوث الباب العالي من الدخول الى الجزائر.	- ثورة مولاي أبي النصر بن مولاي إسماعيل ببلاده السوس.
1724	- ثورة محمد بن مصطفى المعروف بابن فطيمة على حسين بن علي ومقتله.		

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1725	- تقديم حسين بن علي ابنه محمد للسفر بالامحال عوضا عن ابن اخيه علي الذي كان قد أولاه المنصب سابقا وتوليته منصب الباشا وبداية الازمة بين حسين بن علي وابن أخيه.		
1728	- 20 فيفري : خروج علي باشا مع ابنه يونس الى جبل وسلات والتفاف اهل الجبل حوله. - خروج حسين بن علي بمحلته لقتال ابن اخيه وانقسام البلاد الى شقين : حسيني وباشي. - انتصار حسين بن علي في القتال على سفح الجبل ومحاصرته الجبل 3 أشهر. - تعاطف اهل الكاف مع علي باشا وثورتهم على حسين بن علي واستيلائهم على قصبتها باسمه.		1727 : اعتلاء مولاي أحمد العرش، بعد وفاة مولاي إسماعيل

تونس	الجزائر	المغرب
- تحول حسين بن علي الى الكاف وضربه للتمرد. - ملاقاة علي باشا لعمّه حول الكاف وانهزام الباشا بالقيروان ثمّ بالسّاحل. تطويع علي باشا العديد من القرى بالسّاحل بالقوّة وامتناع القلعة الكبرى ومحاصرته لها.		- صراع بين الأخوين مولاي احمد ومولاي عبد الملك في شوال مكناس، انتهى بأسر مولاي عبد الملك واغتياله في السجن وايضا بموت مولاي احمد المنتصر.
- جويلية - أوت: انهزام علي باشا امام محلة حسين بن علي يقودها ابنه علي وهروبه الى الحامة ثم الى الجزائر.		خروج الودايا عن المخزن وتحركات وفوضى استهدفت السلطة تواصلت حتى 1759. - اعتلاء مولاي عبد الله بن اسماعيل عرش العلويين.
	- حملة على وهران التي رجعت تحت نفوذ الاسبان (حملة فيليب V).	
	- حصار بحري اسباني على وهران.	- 1734: ثور العبيد ومبايعة المولى ابي الحسن علي الاعرج.

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1735	- افريل - ماي : خروج علي باشا من الجزائر بمحلة لمحاربة عمّه. - 20 أوت : واقعة سمنجة. - 4 - سبتمبر : انهزام حسين بن علي وفراره الى القيروان. - 7 سبتمبر : دخول علي باشا منتصرا الى تونس وأخذه البيعة. - خروج محمد باي الى الجزائر.		- مجاعة واضطرابات. - ثورة العبيد وإعادة البيعة لمولاي عبد الله. - مبايعة أخوه محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية.
1736 1737			- استرجاع مولاي عبد الله بن اسماعيل العرش. - ثورة العبيد وخلعهم لمولاي عبد الله ومبايعة محمد بن اسماعيل.
1738	- محاصرة يونس باي للقيروان لمدة 9 أشهر.		- فتن وثورات في مختلف المناطق، - جفاف وارتفاع في الاسعار واضطرابات اجتماعية.
1739	- نوفمبر : حصار يونس الثاني للقيروان.		- جوان 1738 : خلع السلطان محمد

تونس	الجزائر	المغرب
- 13 ماي : دخول يونس القيروان وقتله لحسين بن علي. - انفراد علي باشا بالحكم وتشنيعه بأتباع عمه.		- ثورة العبيد وخلع مولاي المستضيء - ورجوع المولى عبد الله الى الحكم.
- أخذ علي باشا طبرقة من يد الجنويين. - الحرب بين علي باشا والفرنسيين حول قضية طبرقة، هزيمة المراكب التي جهزت لأخذ طبرقة. - طلب الفرنسيين الصلح خاصة وقد بدأت الحرب بينهم وبين الانقليز.		- تواصل الاضطرابات السياسية والاجتماعية.
		خلع العبيد للمولى عبد الله ومبايعتهم لزين العابدين. تفشي الوباء.
- ماي - جوان : ثورة جند الترك على علي باشا، ضرب يونس باي المتمردين.		- عودة مولاي عبد الله للمرة الرابعة الى الحكم.
- جوان - جويلية : خطرة «الجزيرية الكذابة» قدوم حسين باي قسنطينة بمحلته		ثورة أهل فاس وقبائل الغرب على السلطان مولاي عبد الله دامت 3 سنوات.

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
	لاعانة اولاد حسين بن علي على استرجاع ملك ابيهم وتراجع العسكر الجزائري عن الكاف لعدم تكافئ القوى		- وباء ومسغبة بفاس
1749			- الطاعون بفاس.
1751		- معاهدة مع جمهورية هامبورغ.	
1752	- 24 أفريل : تمرّد يونس باي على ابيه ودخوله القصبة وقيام الحرب بين الأب والابن. - جوان : استيلاء علي باشا على قلعة حلق الوادي وفرار يونس من الحاضرة متجها الى الجزائر.	- وباء الطاعون	
1755		- زلزال عنيف بالجزائر دامت هزاته شهرين (نوفمبر - ديسمبر).	
1756	- 6 جوان : وصول العسكر الجزائري مع أولاد حسين بن علي الى الكاف وبداية القتال.	- خروج الجيش الى تونس مصطحبا محمد وعلي اولاد حسين بن علي تركي.	- حروب وفتن بين ايت أدراسن وكروان مع الودايا.

- 22 جوان : سقوط الكاف في أيدي عسكر الجزائر. - أوت : محاصرة الجيش الجزائري للحاضرة واقتتال الجيشين حول الحاضرة. - 26 أوت : دخول عسكر الجزائر وابناء حسين بن علي القصبة وفرار علي باشا واتباعه. - 25 سبتمبر : مقتل علي باشا وانفراد أولاد حسين بن علي بالسلطة - بيعة محمد باي.		
	- حملة علي باشا على تلمسان التي كانت شبه مستقلة يحكمها القائد رجم بن البجاوي وارجاع المدينة الى طاعة الجزائر.	- معاهدة مع الدانمارك تمكن هذا البلد من احتكار نشاط ميناء صافي. - وفاة المولى عبد الله اسماعيل وتولى المولى محمد الحكم.
12 فيفري : وفاة محمد باي . - بيعة علي باي.		

الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر واخمادها من طرف الجيش، معاهدة مع البندقية.	فجيج بزعامة الثائر أحمد الخضر.
	ـ قصف فرنسي لمدينة الاعراش وسلا.
ـ تولي الداي محمد بن شعبان. ـ 8 أفريل : موت علي باشا الملقب بيوصباع وتولية محمد باشا .	ـ سفارة عبد الكريم راغون التطواني إلى الدولة العثمانية.
ـتمرد جبل فليسة واخضاعه في 1769 عن تولية محمد باشا لصالح باي على قسنطينة.	ـ معاهدة صداقة بين محمد III والفرنسيين.

	ـ قحط ومجاعة وغلاء فادح في الأسعار.	ـ محاصرة مزاقان من طرف قوات محمدIII وتحريرها من ايدي البرتغاليين.
ـ 17 جوان : قدوم الأسطول الفرنسي الى حلق الوادي. ـ قصف المراكب الفرنسية لغار الملح، بنزرت وسوسة (الحرب كانت حول مسألة كورسيكا).	ـ تأسيس الطريقة الرحمانية.	
ـ أفريل ـ ماي : خروج المراكب الحربية التونسية لاعانة الدولة العثمانية على حرب الموسكو.	ـ تولية صالح بايا على قسنطينة. ـ حملة صالح باي على أولاد نايل وأولاد عمور.	
	ـ حملة O'Reilly على مدينة الجزائر وبداية الحرب الجزائرية الاسبانية. ـ 21 جوان : الحملة الاسبانية على الجزائر. ـ 8 جويلية : واقعة وادي خنيس وانتصار صالح باي.	ثورة العبيد على مولاي محمد ومبايعتهم لابنه مولاي اليزيد.

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1777 1778	ـ 9 فيفري : انعقاد البيعة لحمودة باشا بن علي باي قدّمه أبوه وهو لا يزال على قيد الحياة. ـ وقوع «المسغبة» (الجفاف والقحط) أدّت الى خسائر كبرى في الأرواح والحيوانات والنبات.		ـ 1778 : ثورة العبيد وإخراجهم من الرباط.
1781			ـ تأسيس الطريقة التيجانية.
1782	ـ 31 ماي : موت علي باي وتجديد بيعة حمّودة باشا.		
1783	ـ تفشّي الطاعون المعروف «بالوباء الكبير» وتوخي حمودة باشا «الكرنتينة».	قصف اسباني لمدينة الجزائر.	ـ الوقوف الى جانب الدولة العثمانية في حروبها الاوروبية.
1785		ـ 16 جوان : معاهدة سلم بين مدريد والجزائر ونهاية الحرب الجزائرية الاسبانية.	

	ـ وباء بمدينة الجزائر عرف «بالوباء الكبير» وصل عدد الموتى الى 500 في اليوم، وتواصل الى 1792.	
	ـ اعلان قبائل أولاد نايل المتمركزة بين مسيلة وبوسعادة والاغواط، وجلفة العصيان، وفشل قائد تيطري في اخضاعها. ـ وتمكن صالح باي قسنطينة من ضرب تمرّدها وارغامها على الطاعة.	
ـ الحرب ضدّ البندقيّة والوصول إلى صلح.	ـ حملة صالح باي على مدينة توقرت التي كانت خاضعة منذ قرنين لحكم عائلة بني جلاب وقضاؤه على هذا الحكم المحلي وادخال توقرت تحت نفوذ السلطة العثمانية.	
	ـ إستلام حسن باشاداي الحكم	ـ تمرّد المولى يزيد على أخيه سيدي محمد بن عبد الله واحتماؤه بمقام مولاي عبد السلام بن مشيش. ـ وفاة سيدي محمد

1791		الغرب واسبانيا. - الجلاء النهائي عن مدينة وهران على يد الباي محمد الذي افتكها من يد الاسبان بعد حصار طويل وتحولها الى مركز بايليك الغرب. - فشل محاولة الداي محمد بن شعبان في تحويل السلطة الى ملوكية. - بداية الحرب مع السويد وامريكا. - صائفة 1791 : مقتل صالح باي قسنطينة.	بنهب ملاّح تطوان والرباط وبعض المدن الأخرى. - السلطان اليزيد يتلقب بمحمد المهدي.
1792	- 10 فيفري : تعرض حمودة باشا لمحاولة اغتيال من قبل مجموعة من مماليكه.		- موت مولاي اليزيد ومبايعة المولى سليمان.
1793	- جويلية - أوت : التجاء الباشا قرامنلي الى تونس	- الحرب ضدّ الفلامنك.	

لما استولى علي برغل على طرابلس واكرام حمودة باشا.		
ـ 30 سبتمبر : استيلاء علي برغل على جربة. ـ 17 أكتوبر : خروج امحال تونس لطرابلس. ـ 2 ديسمبر : استرجاع العسكر التونسي جزيرة جربة.	ـ انتعاش القرصنة مع الرايس حميدو. ـ اعلان الحرب على جنوة. ـ اعلان الحرب على نابولي.	
ـ 19 جانفي : انتصار عسكر تونس في قتالهم لعسكر علي برغل واسترجاع آل قرمنلي حكم طرابلس. ـ عصيان اولاد مساهل بقيادة حامد بن شريفة.	ـ تسليم الجزائريين مدينة وجدة للمغاربة بعد ان بقيت مدّة طويلة تحت دولة الجزائر.	
		ـ تمهيد بلاد الريف من طرف اليزيد وعودته الى فاس.
	ـ ولاية مصطفى باشا على الجزائر.	ـ انزال علوي بوجدة وافتكاكها من ايدي

تونس	الجزائر	المغرب
		الاتراك.
. 25 ديسمبر : انتقاض الصلح بين فرنسا وتونس نتيجة حملة نابليون على مصر.		
. غزو المراكب التونسية جزيرة سان بيار الراجعة لسردانيا وأسر العديد من سكانها.	. ثورة على الداي مصطفى باشا وتمكن الداي من اخمادها.	
. 18 جوان : وفاة ابن حمودة باشا.		
	. معاهدة سلم بين فرنسا والجزائر.	
. الاستعداد لحرب الجزائر.	. انزال بالقليعة.	
. سفر الشيخ ابراهيم الرياحي لجلب الميرة من المغرب واكرام الشريف سليمان بن محمد له.	. قحط ومجاعة. . ثورة ابن الأحرش في شرق الجزائر.	
. مجاعة بتونس	. اغتيال الداي مصطفى باشا. . فتنة الدرقاوة بقيادة ابن عبد الله بن الشريف الدرقاوي في ناحية وهران. . بداية العدوان بين	

	احمد باشا داي الجزائر بمراكب لغزو المراكب التونسية كردة فعل جزائرية عن إيقاف حمودة باشا ارسال الزيت للجزائر. - اعتداءات ضدّ يهود الجزائر وانتفاضة الانكشارية. - مبايعة أهالي تلمسان لسلطان المغرب مولاي سليمان.
- جانفي : الاعلان عن الحرب مع الجزائر وسفر المحلة قسنطينة. 3 ماي : انهزام محلة تونس ورجوعها الى الكاف. 29 ماي : خروج الامحال التونسية والحملة الثانية على الجزائر. 13 جويلية : التقاء الجيش التونسي بالجيش الجزائري بسلاطة وانتصار الجانب التونسي.	

	انتفاضة الجند على الداي أحمد باشا وقتله ومبايعة على الغسال دايا.	
- قدوم المولى سلامة ابن محمد ابن اسماعيل الشريف الى تونس بعد خلع اهل فاس لسلطنته ومبايعتهم اخاه المولى سليمان. - ثورة جند الترك في 11 سبتمبر 1811. - ثورة نوبة الحمامات والكاف وقتل المتمردين والثائرين وتخلي الباي عن تمييزه جند الترك واكثاره من جند زواوة.		- تفاقم الحروب بين قبائل البربر آيت ادراسن وكروان وآيت ومالو.
23 جويلية : قدوم الاسطول الحربي الجزائري لمرسى حلق الوادي لمحاربة تونس. تعطب مراكبهم واقلاعهم عن المرسى ورجوعهم خائبين.	انعقاد الصلح مع البرتغال.	- اجتياح الجراد البلاد وقضاؤه على نصف المحاصيل الزراعية في جنوب البلاد.

	باشا.		
1813	ـ 16 سبتمبر : موت حمودة باشا. ـ مبايعة الوزير يوسف صاحب الطابع عثمان أخ حمودة باشا ورفضه تقدم أبي الثناء محمود باي بن محمد باي الوريث الشرعي حسب قاعدة تولية العهد.		ـ تحجير السلطان مولاي سليمان بيع الحبوب للنصارى وردعه لقبائل الريف بسبب ذلك.
1814	ـ 13 أكتوبر : تولى يوسف صاحب الطابع خطة خزنة دار بعد ان ابطل اسمها حمودة باشا مع اسم كاهية دار الباشا.	ـ الحرب ضدّ الأمريكان واستشهاد الرايس حميدو.	ـ جفاف عمّ البلاد،
1815	ـ 12 ديسمبر : مقتل الباي عثمان على يد محمود باي. ـ مبايعة يوسف صاحب الطابع لمحمود باي تلتها البيعة العامة يوم 21 ديسمبر.		

تونس	الجزائر	المغرب
ـ 23 جانفي : مؤامرة ضدّ يوسف صاحب الطابع على يد ابني الباي وأخيه اسماعيل والوزير أبي عبد الله محمد العربي زروق.		
	ـ ثورة الجند على عمر باشا وتولية علي باشا. ـ اتخاذ حصن القصبة مقراً للامارة.	
ـ 1 ماي : ثورة جند الترك وتشريد الباي الطائفة المتمرّدة.	ـ 22 اوت : حملة الأميرال ايكسموث. ـ التهديدات الاوروبية وفرض تحجير النشاط القرصني.	
ـ وباء الكوليرا يجتاح البلاد : موت 4 آلاف من سكان تونس العاصمة.		ـ الطاعون يجتاح البلاد ويتواصل حتى 1820.
ـ أكتوبر ـ نوفمبر : اقرار اداء العشر على زيت الساحل عوضا عن القانون المؤدّى على الاشجار.		

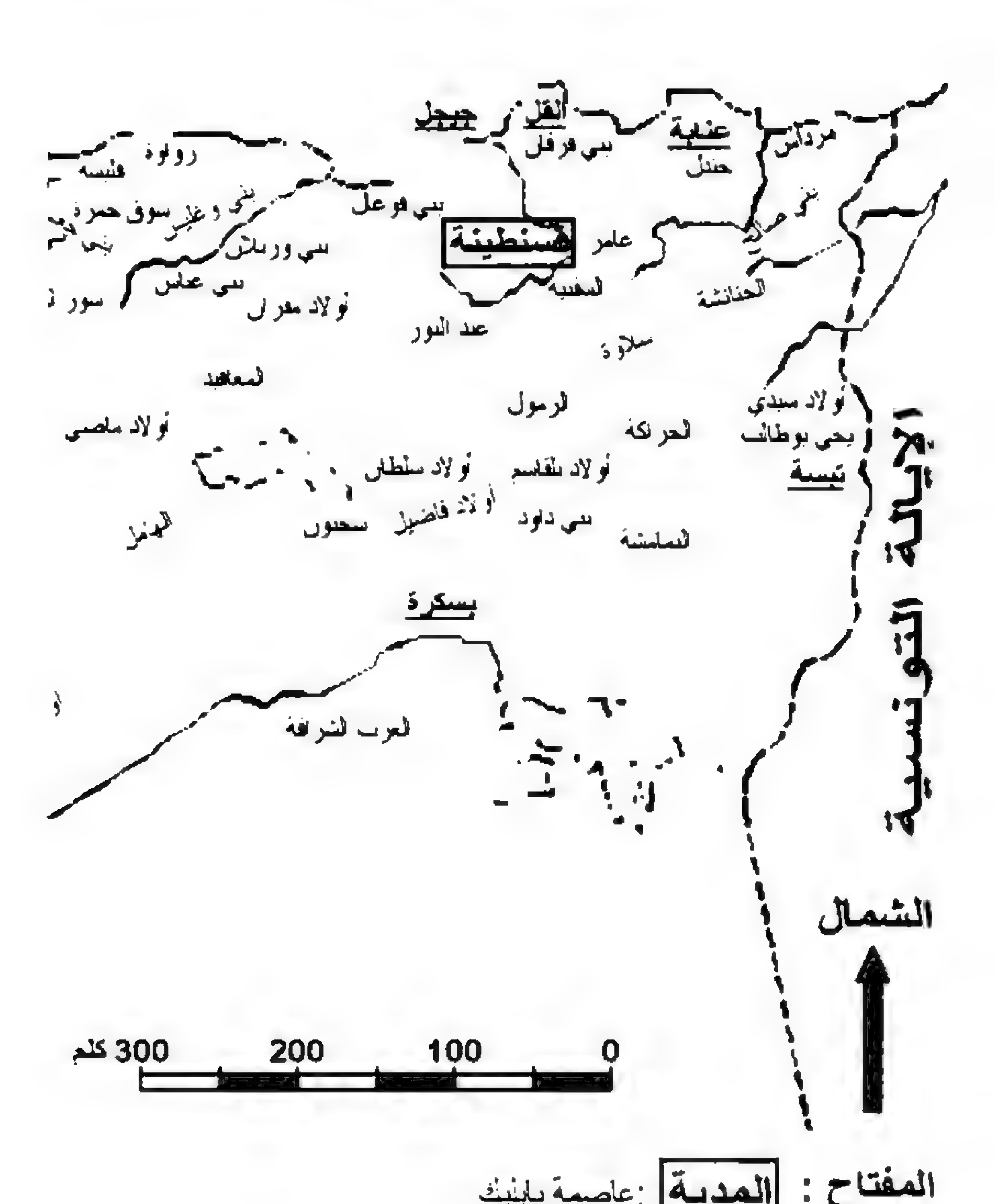
1820	ـ أوت : نفي الشيخ المفتي اسماعيل التميمي الى ماطر. ـ 26 سبتمبر : سراح الشيخ التميمي ورجوعه الى خطة الافتاء في مارس 1824. ـ جويلية : نكث الجزائر بين الصلح المبرم مع تونس اثر حرب 16 ـ 1817 وأخذهم مراكب لبعض تجار تونس واستعداد الباي لمحاربة الجزائر.		
1821	ـ 20 مارس : تدخل الدولة العثمانية وعقد الصلح بين تونس والجزائر.	ـ 14 مارس : امضاء الصلح مع تونس.	
1822	ـ 29 أكتوبر : قتل الوزير أبي عبد الله العربي زروق بامر من الباي واستصفاء امواله وسجن ابنه واتباعه.		ـ وفاة المولى سليمان ومبايعة عبد الرحمان بن هشام.
1824	ـ 27 مارس : وفاة أبو الثناء محمود باشا.		

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1824	ـ 28 مارس : بيعة ابنه حسين.		
1825 1826	ـ ديسمبر ـ جانفي : عام الثلجة. نزول الثلج وما انتجه من خصب في الحبوب والزيتون. ـ 17 أوت 1826 : سفر اسطول من تونس لاعانة الدولة العثمانية في حرب القريف.	ـ 1826 : تولية الحاج أحمد دايا على الجزائر.	
1827	ـ أفريل : تعيين الباي احمد بن ابي الضياف في ديوان الانشاء بمحكمته وخصه بكتابة سره.	ـ 20 أفريل : حادثة المنشّة.	
1829		ـ جوان : حصار فرنسي على مدينة الجزائر.	
1830	ـ افريل ـ ماي : قدوم طاهر باشا اثر محاربة الفرنسيين الجزائر واحتلالها.		
1830	ـ 17 أوت : قدوم مراكب فرنسية وفرض فرنسا شروطا على تونس من اهمها :	ـ 19 جوان : معركة أسطا والي. ـ 5 جويلية : معاهدة الاستسلام.	

التاريخ	تونس	الجزائر	المغرب
1830	- تحرير التجارة التي كانت حكرا على البايليك. - معاملة التجار الفرنسيين مثل التجار التونسيين. - ابطال القرصنة. - ابطال تملك الأسرى.		
1831	جانفي 1831 : شروع الباي في ترتيب العسكر النظامي.		
1832			تمرّد الودايا.
1844			- الحملة الفرنسية ومعركة إيسلي.

ملحق الخرائط

خريطة توزيع السكان بال



المفتاح : المدية :عاصمة بايليك

بجاية : مراكز حضرية

النمامشة : قبائل

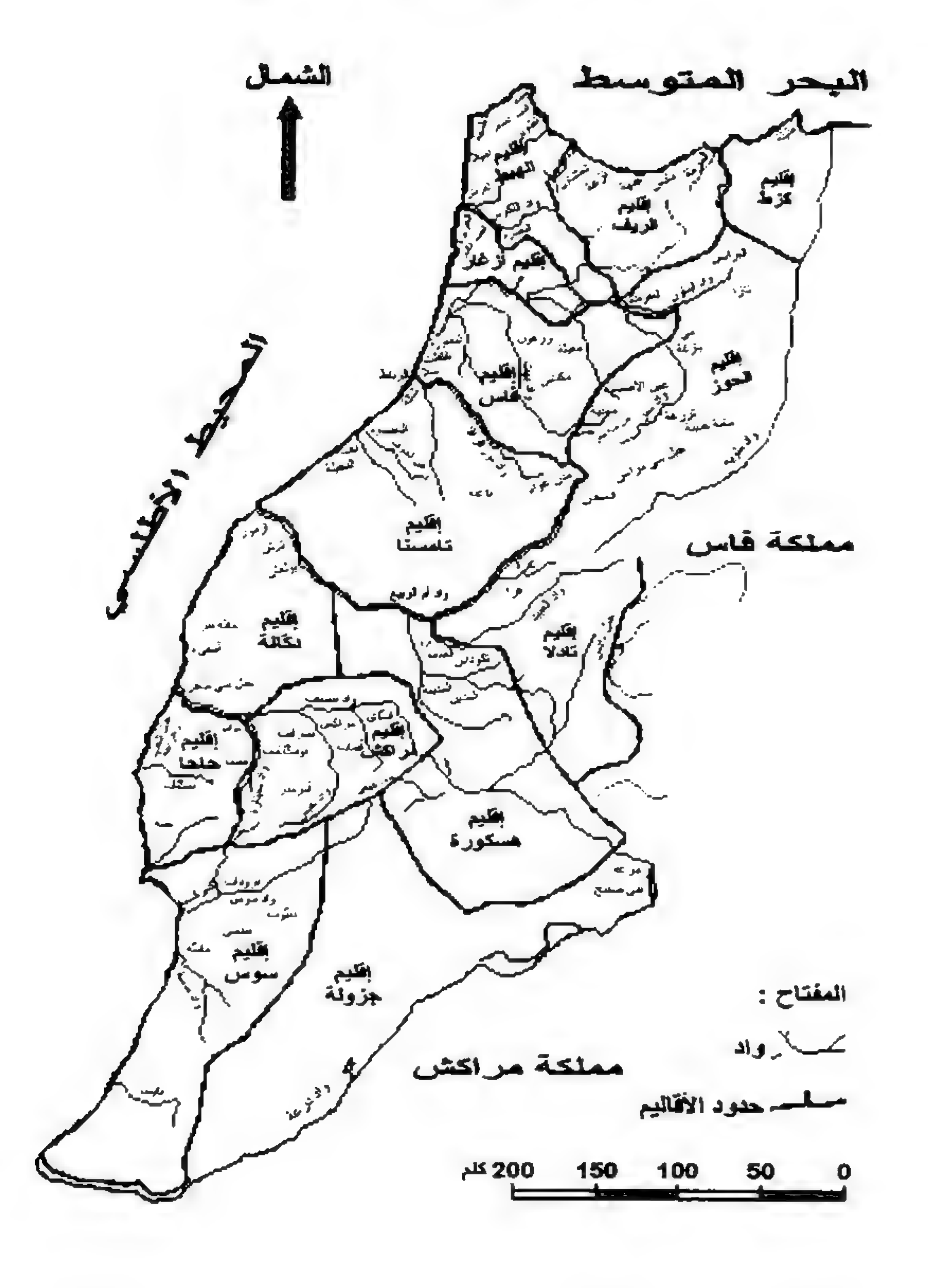
ئر في أوائل القرن XIX

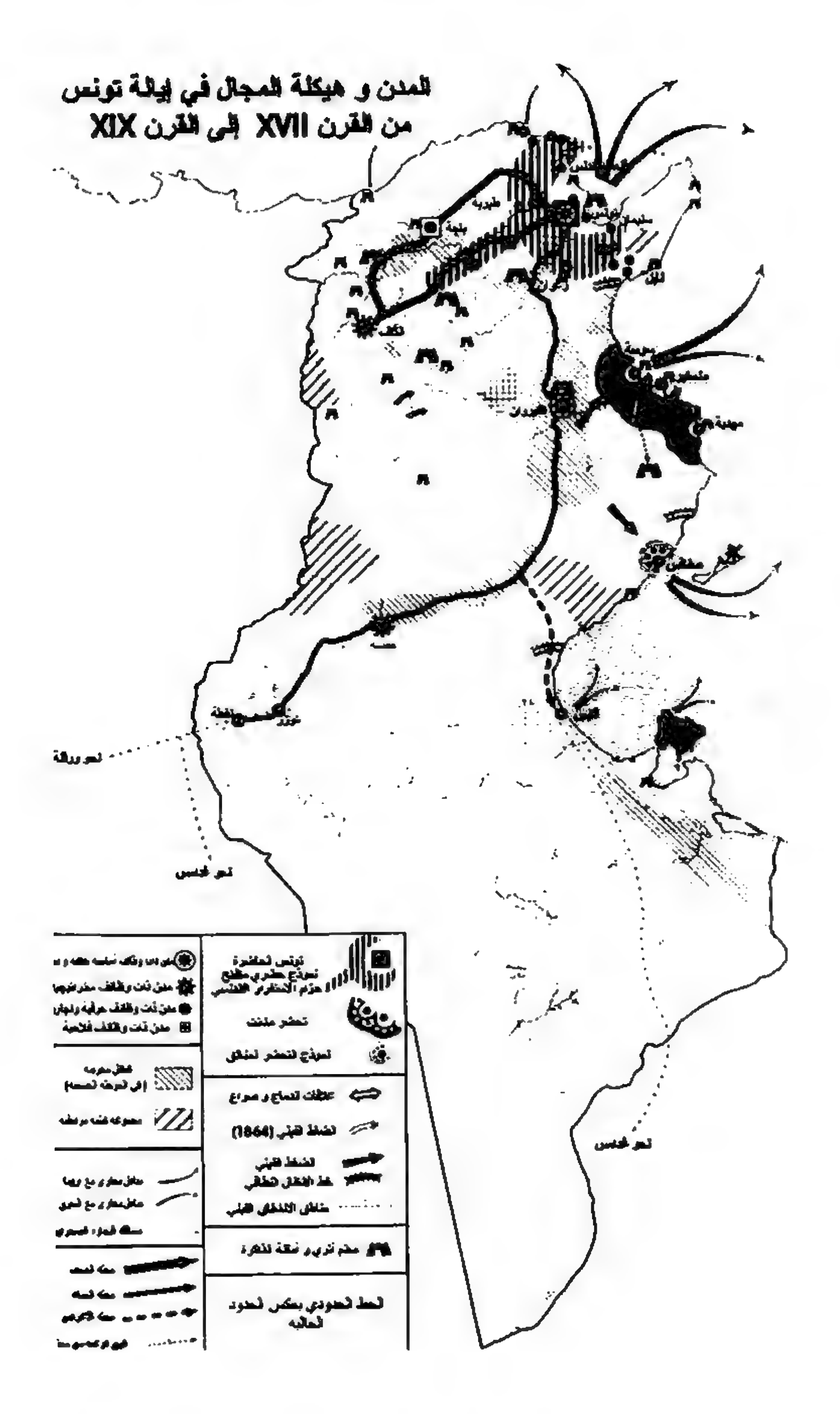
البحر المتوسط



المصدر: د.ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية: 1800 - 1830 الجزائر 1979 ص 261

أقاليم المغرب الأقصى




المدن و هيكلة المجال في إيالة تونس
من القرن XVII إلى القرن XIX

خريطة توزيع القبائل و مدى حضور السلطة
في القرن XIX



قائمة أهم المصادر والمراجع

المغرب الأقصى

I ـ المصادر

1) باللغة العربية :

ـ **الأفراني (محمد)** ـ نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي طبعة هوداس، باريس، 1888.

ـ روضة التعريف بمفاخر مولاي اسماعيل ابن الشريف، المطبعة الملكية 1382هـ.

ـ **ابن أبي محلي (أحمد)**، سليت الخريت في قطع بلعوم العفريت، تحقيق وتقديم عبد المجيد القدوري، منشورات عكاظ، الرباط 1991.

ـ **ابن القاضي (أحمد)** ـ درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، الطبعة الثانية 1970. 3 أجزاء.

ـ المنتقى المقصور على مآثر مولانا الخليفة المنصور، تقديم وتحقيق محمد زروق، جزآن، الرباط 1986.

ـ **الريفي (عبد الكريم بن موسى)**، زهر الأكم، تقديم وتحقيق آسيا بنعدادة الرباط 1992.

ـ **الزياني (أبو القاسم)** الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة المحمدية، الرباط، 1967.

ـ **الشفشاوني (محمد)**، دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، الرباط 1976.

ـ **الضعيّف الرباطي (محمد بن عبد السلام)**، تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها الى أواخر عهد مولاي سليمان، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء 1988 (جزآن).

- **الفشتالي (عبد العزيز)**، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء، نشر عبد الله كانون، المطبعة المهدية بتطوان 1964.

- **الناصري (أحمد)**، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب ـ الدار البيضاء، 1954. 9 أجزاء.

- **مارمول (كاربخال)**، إفريقيا ـ الجزء الأول ـ ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد زنبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، الرباط 1984.

- **اليوسي (الحسن بن مسعود)**، المحاضرات، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1976.

- رسائل، جمع وتحقيق ودراسة، فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة الدار البيضاء 1981 جزآن.

- **الوزان (الحسن بن محمد)**، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ـ الرباط 1980 ـ 1982، جزآن.

2) باللغات الأجنبية

- **CAILLE (J)**, "Le vice Consul Broussonet et ses mémoires sur le Maroc, Hesperis-Tamuda, 1961, vol. II fasc.I.

- **FOUCAULD (ch)**, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1888.

- **LEMPRIERE (N)**, *Voyage dans l'Empire du Maroc et au royaume de Fes*, sylvie Messinger, Editrice, Paris, 1990.

II . المراجع

1) باللغة العربية :

- **بورقية (رحمة)**. السلطة والمجتمع في المغرب في القرن التاسع عشر، الرباط 1990.

- **ابن سودة (عبد السلام)**، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء 1960.

- **التوازني هراج (نعيمة)**، الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن(1873 ـ 1894) مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب م فضالة ـ المحمدية 1979.

- **التوفيق (أحمد)**، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، اينولتان (1850 ـ 1912)، الدار البيضاء، 1983.

- **حجي (محمد)**، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، فضالة، المحمدية، 1978، جزآن.

- **حركات (ابراهيم)**، المغرب عبر التاريخ، الجزء الثاني ـ الدار البيضاء، 1978.

- **السوسي (محمد المختار)** ايليغ قديما وحديثا، الرباط 1966.

- **العروي (عبد الله)**، مجمل تاريخ المغرب، المعارف الجديدة، الرباط 1984.

- **رزوق (محمد)**، دراسات في تاريخ المغرب، أفريقيا للنشر 1991.

- **المنوني (محمد)**، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الدار البيضا ـ الجزء الأول 1983.

- **مزين (محمد)**، فاس وباديتها، فاس، 1989.

- **المحمدي (علي)**، السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج أيت باعمران، دار توبقال للنشر 1989.

- **ضريف (محمد)** مؤسسة السلطان الشريف بالمغرب، الرباط، 1988.

2) المراجع باللغة الفرنسية :

- **ARNAULD (L)** ; *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca ; 1952:

- **AYACHE (G)** ; *Etudes d'histoire marocaine, Rabat*, S. M. E. R., 1977.

-**BERQUE (J)** - *Structure sociale du Haut Atlas*, Paris; P.U.F., 1955.

- *Ulemas, fondateurs, insurgés du Maghreb*, Paris, sindbad ; 1982.

-"Qu'est-ce qu'une tribu Nord Africaine," in Evantail de l'Histoire vivante, Paris 1953.

- **BRAUDEL (F)**, *La Mediterranée et le monde mediterranéen au temps de Philipe II*. Paris 1976.

- **DRAGUE (G)**, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

- **GELLNER(E)**, " Pouvoir politique et fonction religieuse dans l'Islam, marocain", in A. E. S. C, mai - juin, 1970.

- **LAROUI(A)**, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain* : 1830 - 1912, Paris, Maspero, 1977.

- **MONTAGNE (R)**, *les Berbères et le makhzen dans le sud marocain*, Paris, Felix Alcan, 1830.

- **LEVI-PROVENCAL (E),** *les Historiens des chorfa*, Paris Emile arose editeur, 1922.

- **MEZZINE (L),** *Contribution à l'histoire du Tafilalet ; aspects d'histoire économique et sociale du sud-marocain au XVII et XVIII Siècles*, Rabat, 1987.

- **MIEGE (J.L),** *Le Maroc et l'Europe : 1830-1894*, Paris, P.U.F., 1961-1963 4 vol.

- **MORSY (M),** *Les Ahansala : Examen du rôle historique d'une famille Maraboutique de l'Atlas marocain*, Paris, Mouton Lahaye, 1972.

- **PASCON (P),** *Le Haouz de Marrakech*, Z.T. Rabat, 1977 .

- **TERRASSE (H),** *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français*, Casablanca, ed. Atlantis, 1942, 2 vol.

- **VALENSI (L),** *Le Maghreb avant la prise d'Alger*, Paris, Flammarion, 1969.

الجزائر

I - المصادر :

1) باللغة العربية :

- **الراشدي (أحمد بن محمد)**، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر 1973.

- **الزّهار (الحاج أحمد)**، مذكرات، تحقيق احمد توفيق المدني، الجزائر 1980.

- **العياشي (محمد أبو سالم)**، رحلة العياشي، طبعة فاس الحجرية.

- مجهول، كتاب غزوات عروج، تحقيق ونشر عبد القادر نور الدين الجزائر 1930.

- **ابن مريم(أبو عبد الله محمد بن محمد)** البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان تحقيق ابن أبي شنب، الجزائر 1908.

- **الورثيلاني (حسين بن محمد)**، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ابن أبي شنب، الجزائر، 1908.

- **الفكون (عبد الكريم)**، منشور الهداية في كشف حال من إدّعى العلم والولاية تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي 1987.

2) باللغة الفرنسية :

- **DAN (P)**, *Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli.* Paris, 1637.

- **HAIDO (Fray Diago de)** : *Histoire des Rois d'Alger, Traduit et Annotée par Grammont(H)*, Alger, 1881.

- **LAUGIER DE TASSY** - *Histoire des Etats barbaresques qui exercent la piratrie*, Paris, 1757.

- *Histoire du royaume d'Alger. Un diplomate français à Alger en 1724*. Editions Loysel, Paris 1992.

- **PELLISIER DE REYNAUD (E)** : *Mémoires hisoriques sur l'Algerie*, Alger, 1884. TII.

- **SHAW (Le Docteur)**, *Voyage dans la Régence d'Alger*, traduit de l'Anglais par J. Mac Carthy. 2ème édition. Ed Bouslama, Tunis 1980.

II . المراجع :

1) باللغة العربية :

- **ابن اشنهو (عبد الحميد)** دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر، الجزائر 1972.

- **بو عزيز (يحي)**، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500 - 1830)، الجزائر، 1984.

- **التميمي (عبد الجليل)**، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1861 - 1871) تونس، 1972.

- **سعد الله (أبو القاسم)**، تاريخ الجزائر الثقافي، جزآن، الجزائر الطبعة الثانية 1985.

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، 1982.

- **سعيدوني (ناصر الدين)**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني الجزائر، 1984.

. فرج (محمود فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، الجزائر 1977.

. قنان (جمال)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 . 1830) الجزائر 1987.

2) باللغة الفرنسية :

- **BENACHENHOU (A)**, *l'Etat Algérien en 1830 : ses institutions sous l'Emir Abdel Kader*, S.N.E.D - Alger.

- **BOYER (P)**- *La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française*, Hachette, Paris, 1963.

- "Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger (XVI - XIXe , siecle)", in R.O.M.M. n° = 1966, .pp - 11 - 49.

-"Des pachas triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey (1571 - 1817)", R.H. N° 495, 1970, PP. 99 - 124.

- **DENY (J)**, " A propos du fond arabo-turc des archives du gouvernement géneral de l'Algerie", in R.A. tome 62, 1921 P P. 375 - 357.

- **EMERIT (M)** - *l'Algérie à l'époque d'Abdelkader*, la rose, Paris, 1951.

- "Un document inédit sur Alger au XVIIe siecle" in A. I. E. O, tome XVII, 1959, PP 234 - 242.

- **GALLISSOT (R)**, "Le Maghreb précolonial, mode de production archaique ou mode de production féodal", in la *Pensée*, N° 142, 1966, PP 385 - 412.

- **KADDACHE (M)**, *l'Algérie durant la période ottomane*, Alger, 1992.

- **LACOSTE (Y), Noushi (A)**, *l'Algérie passé et présent*, éd. sociales, Paris 1960.

- **MASSON (P)**, *Histoire des établissements de commerce français dans l'Afrique Barbaresque, 1560-1793*. Paris, 1903.

- **PANZAK (Daniel)**, *Les Corsaires barbaresques la fin d'une épopée : 1800-1820*. CNRS, Paris 1999.

- **SARI (DJ)**, *Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale Kalaa-Mazoura-Nedronma*, S.N.E.D, Alger 1970.

- **VALENSI (L)**, *Le Maghreb avant la prise d'Alger* , Flammarion, Paris, 1969.

تونس

I ـ المصادر :

1) باللغة العربية :

ـ **ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم)**، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967.

ـ **ابن أبي الضياف (أحمد)**، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1989، 8 أجزاء.

ـ **ابن عبد العزيز (حمودة)**، الكتاب الباشي، تحقيق الشيخ محمد ماضور ـ الجزء الأول، تونس، 1970.

ـ **ابن يوسف (محمد الصغير)**، المشرع الملكي في سلطنة أولاد حسين بن علي تركي، مخطوط دار الكتب الوطنية، بتونس، عدد 18688.

ـ **برناز (أحمد)**، الشهب المحرقة لمن ادعى الاجتهاد لو لا انقطاعه عن أهل المخرقة ـ تحقيق الطاهر المعموري، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1990.

ـ **بيرم الخامس (محمد)**، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، دار صادر بيروت ـ 3 أجزاء 1884.

ـ **خوجة (حسين)**، ذيل بشائر أهل الايمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1975.

ـ **الدباغ (عبد الرحمان)**، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ـ تونس (1320 ـ 1325 هـ) 4 أجزاء في مجلدين.

ـ **السراج (أبو عبد الله محمد، المعروف بالوزير)**، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، جزآن، تونس 1970.

- **مقديش (محمود)**، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق محمد محفوظ، تونس، 1990.

2) باللّغة الفرنسية :

- **ANONYME,** *Histoire des dernières révolutions du Royaume de Tunis et des mouvements du royaume d'Alger,* Paris 1713.

- **ARVIEUX(chevalier d'),** *Mémoires,* Paris, 1735.

- **BERANGER (Nicolas),** *Mémoires pour servir à l'histoire de Tunis depuis 1684,* Paris 1712.

- **FRANK (Dr),** *Histoire de Tunis,* Edition Bouslama, 2ème édition, Tunis 1985.

- **GRANDCHAMP (P),** *La France en Tunisie, au XVIIème siècle,* 10-Vol. Tunis, 1928-1933.

- **PLANTET (E),** *Correspondances des Beys de Tunis et des consuls de France avec la cour, 1577-1830,* Paris, 1893-1899, 3. Vol.

- **PELLISIER (E) :** *Description de la Régence de Tunis.* Tunis, Ed Bouslama, 1980.

- **PEYSSONEL (J.A),** *Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger.* Ed, Le découverte, Paris 1987.

II . المراجع باللغة العربية :

- **الأرقش (دلندة)**، التجديد والتواصل في الحياة الفكرية في البلاد التونسية في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية عدد 58 . 57 تونس 1989.

. "المدينة وفضاؤها الخارجي : مثال المنستير في القرن التاسع عشر" المجلة التاريخية المغربية عدد 47 . 48 . 1987.

."التطور اللاأمتكافئ والهيمنة الخارجية، مثال الفئة الحنفية ومكانتها في المنستير والمهدية في القرن التاسع عشر" . المجلة التاريخية المغربية عدد 49 . 50 تونس 1988.

. **الأرقش (عبد الحميد)** "المؤسسة البلدية والهيكلة العمرانية والتبعية، في تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، المجلة التاريخية المغربية عدد 47 . 48 تونس 1987.

. **الامام (رشاد)** سياسة حمودة باشا في تونس (1782 . 1814) تونس 1980.

. **البشروش (توفيق)**، جمهورية الدايات . تونس 1993.

. ربيع العربان، بيت الحكمة، تونس، 1992.

. **بن طاهر (جمال)**،"أضواء على الأسواق الريفية في البلاد التونسية خلال القرن التاسع عشر" الكراسات التونسية، مجلد 37 / 38. الاعداد 145 . 146 . 147 . 148 / تونس 1989.

."وثائق عن ملكية الماء بزغوان خلال القرن الثامن عشر". المجلة التاريخية المغربية عدد 55 . 56 . 1989.

. **التميمي (عبد الجليل)**، دراسات في التاريخ العربي العثماني : 1453 . 1918 منشورات سرمدي، زغوان 1994.

. **الشريف (محمد الهادي)** تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس 1980.

. **عبد السلام (أحمد)** المؤرخون التونسيون، بيت الحكمة . تونس 1993.

. **عيسى (لطفي)**، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ، سراس للنشر تونس 1993.

- الغزّي (حمودة)، الأدب التونسي في العهد الحسيني، تونس 1972.

- الفخفاخ (منصف)، موجز الدفاتر الادارية والجبائية بالارشيف الوطني التونسي، منشورات الأرشيف الوطني، تونس 1990.

- هنية (عبد الحميد)"الملكية والاسرة عند بعض القبائل التونسية في بداية القرن الثامن عشر"، الكراسات التونسية عدد 22 / 121 . تونس 1982.

المراجع باللغات الاجنبية :

- **BACHROUCH (Taoufik)** : *Formation sociale Barbaresque et pouvoir à Tunis au XVIIe-siecle*. Tunis 1977.

- *Le Saint et le Prince en Tunisie* : Tunis. 1989.

- " Pouvoir et Souveraineté territoriale. La question de la frontière Tuniso-Algèrienne sous Ahmed-Bey". Tunis. CERES- 1979. PP 195-208.

CHATER (Khelifa) : *Insurrection et Répression dans la Tunisie du XIXe siècle. La Mahalla de Zarrouk au Sahel (1864)*. Tunis. 1968.

- *Dépendance et mutations précoloniales.(La Régence de Tunis de 1815 à 1857)*. Tunis 1984.

- **CHERIF (Med Hedi)** ; - *Pouvoir et société dans la Tunisie de Hussein Bin Ali* (2T). Tunis - 1986.

-"Hommes de religion et pouvoir dans la Tunisie des XVIe et XVIIIe siècles". Annale. E. S. C. Mai-Août 1980.

-"Expansion européenne et difficultés Tunisiennes. 1815 - 1830" Annale E.S.C, Mai-Juin 1970, PP 714 - 745.

- "l'Etat Tunisien et les campagnes du XVIII^{e} siècle" in l'Ankylose de l'économie méditerrannéene. XVIII^{e} et XIX^{e} siècles, Nice : 1973.

- **BARGAOUI (S),** " Fortunes tribales dans la Tunisie du milieu du XIX^{e} siècle : Le cas des Beni Said" in Cahiers de la Méditerranée, N° 45, 1992.

- **BEN ACHOUR(MA.)** : *Catégories de la société tunisoise au 19e siècle*, Tunis 1989.

- **BOUBAKAR (Sadok)** : *La Régence de Tunis au XVIII^{e} s, ses relations commerciales avec les ports de l'Europe méditerranéenne : Marseille et Livourne*, Zaghouan, 1987.

- **BROWN (cl)** ; *The Tunisia of Ahmed Bey - 1837 - 1855* Princeton. 1974.

- **HENIA (A)** : *Le Grid et ses rapports avec le Beylik de Tunis*, 1980.

- **LARGUECHE (Dalenda)** : *Watan al-Munastir (1676-1856). Fiscalite, Etat et Société*, Tunis - 1993.

- **LARGUECHE(A)** : *l'Abolition de l'esclavage en Tunisie à travers les archives* (1841 - 46,) Tunis1990.

- **LARGUECHE (D et A)** : "Les Sources de la démographie historique de la Tunisie moderne", in : *La démographie historique en Tunisie et dans le monde arabe*, Tunis 1992.

- **LARGUECHE (A)** : les Ombres de la ville, Pauvres, marginaux et minoritaires à Tunis aux XVIII et XIX^{e} siècles. C.P.U. Tunis 2001.

- **LARGUECHE (D)** : Territoires sans frontières, La contrebande et ses réseaux dans la Régence de Tunis au XIX^{e} siècle. C.P.U. Tunis 2001.

- **MANTRAN (Robert)** : "l'Evolution des relations entre la Tunisie et l'Empire Ottoman, in Cahiers de Tunisie - N26- 27. 1959.

- **SAADAOUI (Ahmed)**, *Tunis, ville Ottomane*, C.P.U. 2001.

- **SEBAG (Paul)** : *Tunis au XVII^{e} siècle*. Paris 1989

- "La peste dans la régence de Tunis aux XVII^{e} et XVIII^{e} siècles in I.B.L.A. N° = 109. 1963.

- *Histoire des juifs de Tunisie*. Paris 1991.

- **VALENSI (Lucette)** : *Fellahs Tunisiens : l'économie rurale et la vie des campagnes aux XVIII^{e} et XIX^{e} siècles*. Paris - La Haye- 1977.

- *Le Maghreb avant la prise d'Alger* (1790 - 1830) ; Paris ; 1969.

- **ZOUARI (Ali)**, *Les Relations commerciales entre Sfax et le Levant aux XVIII^{e} et XIX^{e} siècles*, Tunis 1990.

فهرس النصوص والوثائق

فهرس المواضيع

الباب الثاني

الباب الرابع

ص.ب 255 - تونس - ر.ا.ب. 1080.
الهاتف: 000 874 71 (216) الفاكس: 677 871 71 (216)

ISBN 9973-807-35-9

هذا الكتاب هو قبل كل شيء وليد قناعة اصبحت راسخة لدى عدد من الجامعيين والباحثين المغاربة. فلم يعد من الممكن تناول دراسة تاريخ بلدان المغرب العربي بصورة منفصلة أي دراسة كلّ بلد على حدة.

ويتناول الكتاب تاريخ البلدان المغاربية الثلاث (تونس - الجزائر و المغرب الأقصى) في العصور الحديثة، وهي حقبة تاريخية هامة على الصعيد العالمي، بدأت بتبلور مميزات النهضة الأوروبية وبداية النقلة النوعية التي ستدفع بتلك البلدان الى المسك بزمام المبادرة التاريخية والارتقاء الى مركز قيادة العالم.

ISBN - 9973807359



2003 مركز النشر الجامعي

ميدياكوم